تهامة
TIHAMA

الكتاب العربي السعودي ٨٦

وحي الصحراء

صفحة من الأدب العصري في الحجاز

جمعه

محمد سعيد عبد المقصود و عبد الله عمر بلخير

الطبعة الثانية
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
جدة - المملكة العربية السعودية



جمعه

محمد سعيد عبد المقصود و عبد الله عمر بلخير

الطبعة الثانية
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
جدة - المملكة العربية السعودية

الناشر
عبد المقصود محمد سعيد خوجه
جدة

© عبدالمقصود خوجه ، ١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

عبدالمقصود ، محمد سعيد

وحي الصحراء : صفحة من الأدب الحجازي ./ محمد سعيد عبدالمقصود ، عبدالله بلخير .- جدة ١٤٢٧هـ

٥٤٤ ص ؛ ١٧×٢٤سم (كتاب الاثنينية ٣٦)

ردمك ٩-٧٥٥-٥٦-٩٩٦٠

١ - الأدب العربي - الحجاز ٢- العصر الحديث أ . بلخير ، عبدالله (مؤلف مشارك) ب ــ العنوان

ديوي ٨١٠,٩٩٥٣١٢ ١٤٢٧/٦٠٣٧

رقم الإيداع : ١٤٢٧/٦٠٣٧

ردمك ٩-٧٥٥-٥٦-٩٩٦٠

الطبعة الثالثة

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

الناشر

عبدالمقصود محمد سعيد خوجه

جدة

وَحْيُ الصَّحْرَاءِ


بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

كثيراً ما تختلط المشاعر الشخصية مع الارتباط الذاتي تجاه أي عمل إبداعي مهما كان لموقعه هوى في النفس طالما أن طرفاً فيه يشكل مصدراً لتلك المشاعر.. ولا شك أن الأمر يغدو أكثر تأثيراً عندما يكون الطرف هو الوالد "رحمه الله" بما له من مكانة لا ترقى إليها الكلمات ولكن تتقاصر دونها العبارات.. هكذا أجد حالي مع كتاب "وحي الصحراء" الذي أصبح ملكية عامة بمجرد نشره عام ١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٦م، وخرج من عباءة كاتبيه الأستاذ محمد سعيد عبد المقصود خوجه، ومعالي الشيخ عبد الله بلخير "رحمهما الله" إلى فضاءات أيدي القرّاء أينما كانوا.. وتناولته أقلام النقاد والكتّاب بما يستحقه من حفاوة وتقدير، والجدير بالذكر أنه لم يفسح إعلامياً لفترة من الوقت تحفظاً على كلمة "وحي" إلى أن تدخل الملك فيصل بن عبد العزيز "رحمه الله" الذي كان نائباً للملك آنذاك بموجب خطاب من سيدي الوالد وأذن بإطلاق الكتاب وطباعته.

لقد شهدت دوائر ثقافية عديدة داخل وخارج المملكة بأهمية هذا الكتاب باعتباره عملاً أسهم في تأسيس نهضة ثقافية وأدبية مباركة كواحد من بواكير ما كتب في الشأن الأدبي، ووثق الروح الثقافية الوثابة التي انتظمت مجموعة من الشباب مع بداية العهد السعودي.

طبع كتاب "وحي الصحراء" مرّتين، أولاهما التي أشرت إليها آنفاً، والأخرى عن طريق شركة تهامة للنشر والتوزيع والعلاقات العامة عام ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، وقد رأيت إعادة طباعته نزولاً عند رغبة كثير من المتابعين للشأن الثقافي داخل وخارج المملكة، حيث نفد من نقاط التوزيع المعروفة مما أدى إلى ظهور طبعة غير معتمدة، الأمر الذي قد يؤدي إلى مزيد من التغول على الحقوق الفكرية بكل أسف، لذا فإن توفر النسخ المعتمدة كفيل بكف أيدي من تسوِّل لهم أنفسهم سد الفراغ بأساليب لا ترتضيها النزاهة وحقوق الملكية الفكرية والثقافية والعرف السائد في الأوساط الثقافية والأدبية.. كما حرصت أن تأتي هذه الطبعة صورة طبق الأصل عن نسخة "تهامة" التي بدورها صورة طبق الأصل عن النسخة الأصلية، غير أنها منقحة من حيث التصويبات التي نفت الحاجة إلى صفحات التصويبات التي كانت في آخر الكتاب، أما الإخراج ورسم الحرف فهي كما في الأصل تماماً.

آملاً أن يصل الكتاب بدون عناء إلى كل من يهتم بهذا الجانب التوثيقي في حياة أولئك النفر الذين أسهموا في ظهور الأدب الحجازي خاصة واسم المملكة العربية السعودية عامة في كثير من المحافل الثقافية على الصعيدين المحلي والإقليمي.. مع الأخذ في الاعتبار أن المولى عزّ وجلّ وفقني لطباعة الأعمال الكاملة لبعض روّاد كتاب "وحي الصحراء" مع مجموعة كتب شرفت بإصدارها مؤخراً بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية في سبعة عشر عنواناً ضمن سبعة وخمسين مجلداً، من بينها ما يتعلق ببعض روّاد "وحي الصحراء" وهي حسب ترتيبهم فيه: الأعمال الكاملة للأستاذ السيد أحمد العربي في ٥٥٩ صفحة (جزء واحد)، والأعمال الكاملة للأستاذ حسين سراج في ٥٤٠٠ صفحة (١٠ أجزاء)، والأعمال الكاملة للأستاذ عبد الوهاب آشي في ٣١٨ صفحة (جزء واحد)، والأعمال الكاملة للأستاذ عبد الحق النقشبندي في ٥٧٦ صفحة (جزء واحد)، والأعمال الكاملة للأستاذ عزيز ضياء في ٢٥٩٣ صفحة (٦ أجزاء)، والأعمال الكاملة للأستاذ محمد عمر عرب في ١٤١ صفحة (جزء واحد)، والأعمال الكاملة للأستاذ عبد الحميد عنبر في ٥١٠ صفحات (جزء واحد) رحمهم الله جميعاً وأمد في عمر أستاذنا حسين سراج.. وقد حرصت أن تأتي هذه الإضمامة في سياقها الطبيعي ربطاً للحاضر بالماضي، فالجذع كتاب "وحي الصحراء" لسيدي الوالد وصديق عمره معالي الشيخ عبد الله بلخير "رحمهما الله" والفروع تتشكل من المجموعات الكاملة التي شرفت بنشرها لكل من ورد اسمهم في ذلك الكتاب الذي أرّخ لمرحلة مهمة في تاريخنا الأدبي، وبعث ما لم ينشر من قبل في كتاب، ولم شعث ما تناثر ولم يبق منه إلا القليل، حفظاً لها وإسهاماً في الوفاء لذلك الرعيل من أساتذتنا الكرام "رحمهم الله".. وقد سبق هذه المجموعات كلها تشرُّفي بإصدار الأعمال الكاملة لمعالي الأستاذ أحمد إبراهيم الغزاوي في ٢٧٧٥ صفحة (ستة أجزاء) سعدت بمراجعتها وتنقيحها وتصحيحها.

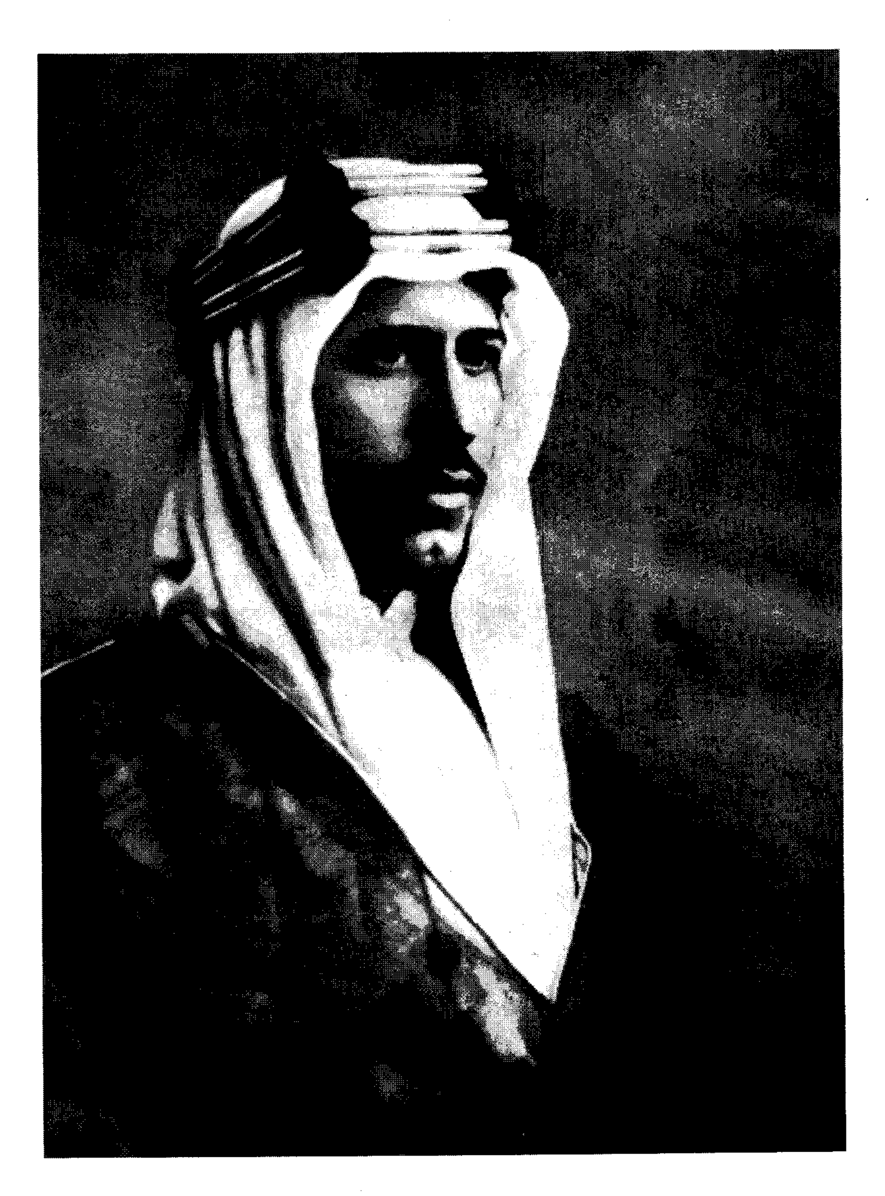
سائلاً الله سبحانه وتعالى أن ينفع بهذا الكتاب ويجعله في ميزان حسنات مؤلفيه "رحمهما الله"، وكل من أسهم في الكتابة من روّادنا الأفاضل.

والله من وراء القصد.

عبد المقصود محمد سعيد خوجه



جلالة الملك عبد العزيز آل سعود



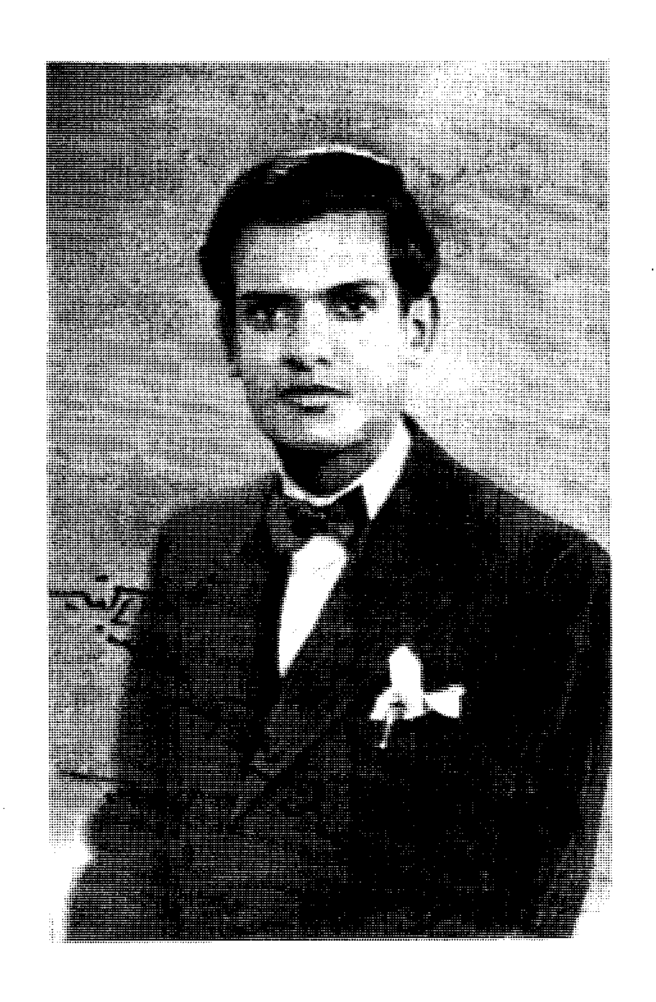
سمو الأمير سعود



سمو الأمير فيصل



محمد سعيد عبد المقصود



عبد الله عمر بلخير

تقديم

هذا الكتاب الذي نطرحه بين يدي القاريء، هو أثر من تراثنا لاثنين من روادنا الذين ساهموا في تسجيل فترة هامة من تاريخ الأدب السعودي، هما: معالي الأستاذ الشاعر عبدالله بلخير والأديب الراحل الأستاذ محمد سعيد عبدالمقصود خوجة.

ولقد حرصنا على أن ننقل هذا الكتاب برسمه وشكله و بنفس طبعته دون أن نحاول التدخل من جانبنا بما اعتاده القاريء في إصداراتنا شكلا وإخراجا، وذلك حرصاً منا على الأمانة التاريخية ونقل أثر من تراثنا بنفس ظروفه الطباعية، خصوصاً وأن هذه النسخة واحدة من بضع نسخ لا توجد إلا عند بعض الخاصة.

ولقد كان لهذا الاتجاه هدفان مهمان... الأول الحرص على شكل من أشكال الطباعة تم إنجازه في جدة في العقد الخامس من القرن الرابع عشر الهجري، وهو أمر يستحق التسجيل دون شك؛ لأنه بصورته هذه قد دخل في عداد المخطوطات النادرة، وهذا وحده ـ في مضمونه ـ رسالة هامة ـ عبر التاريخ ـ موجهة إلى كل باحث وكل دارس وكل راصد «لبيبلوغرافيا» المكتبة السعودية.

أما الهدف الثاني فهو إعادة طبع هذا الكتاب لقيمته التاريخية خصوصاً وهو يتناول بواكير النهضة الفكرية في البلاد.

أما المؤلفان: عبدالله بلخير ـ محمد سعيد عبدالمقصود خوجه، فيعدان من رجالات الأدب البارزين الذين ساهموا بقدر وافر من عطائهما في الأدب المحلي، وكتابهما هذا من أهم المصادر الأدبية لهذه الفترة.

لهذا كانت ميزة هذا الكتاب أنه يحمل هذه الثروة بشكله الطباعي في عصره دون أي تغيير أو تبديل وذلك للأمانة التاريخية وتسجيلاً لمرحلة من أهم المراحل الفكرية وحركة النشر في المملكة في تلك الفترة.



كلمة المؤلفين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى

يجد المتتبع للنهضات الأدبية فى الأقطار العربية صعوبة وشدة عناء عندما يحاول الكلام عن الحركة الأدبية في الحجاز ، ويحوجه البحث والتنقيب الى إضاعة الوقت للحصول على مستند أو مرشد يستطيع بالنظر فيه لمس بوادرهذه النهضة الفتية، للحكم عليها وإعطاء صورة صادقة عنها للناطقين بالضاد ، وهواة الأدب العربى ، فيحاول أن يجد لها أثراً فى كتاب مؤلف ، أو صحيفة سيارة فلا يظفر بشىء اللهم الا نفثات مبددة فى بعض الصحف ، وكتيبات غير صالحة ، لأن يحكم بها على نهضة أدبية فى شعب فتىّ .

وتجمعنا مواسم الحج فى كل عام بلفيف مثقف من شباب العرب فنجدهم يجهلون عن أدب هذا القطر الشىء الكثير ، مما يأسف له كل غيور مخلص ، ويحفظ عنا صورة غير صحيحة تشوه السمعة وتوجب الاشمئزاز وعدم الرضاء .

لذلك اعتزمنا جمع ما نتحصل عليه من آثار أدبائنا المعاصرين

لتأليفه كتاباً مستقلا يكون صفحة صادقة من الأدب العصرى فى الحجاز ، ورأينا أن نوجه الى أدبائنا دعوة لموافاتنا ببعض آثارهم الأدبية فأجابوا الى ذلك سراعاً ، وشدوا أزرنا وقاموا بكل مجهود فى سبيل مساعدتنا ، وبعد أن تكاملت لدينا ردودهم رأينا ألا نستأثر بشرف هذه الخدمة الوطنية منفردين ، فدعونا لفيفا من شبابنا المبرزين ، وعرضنا عليهم ماوصل الينا ، وطلبنا انتخاب لجنة تتولى درس مواد الكتاب ، فانتخب نفر شريف الغاية ، سامى الغرض ، نبيل المقصد ، استمر يوالى جلساته وبذل كل مافى وسعه حتى تم اختيار ما يجده القارئ بين يديه ، ورأينا من الواجب أن يقدمه الى قراء العربية علم من أعلامها ، فاستفتينا الشباب فوقع اختيارهم على الاستاذ الكبير الدكتور محمد حسين هيكل بك، الذى تفضل فأجاب الطلب وكان عند حسن ظنهم ، وإنا نقدر له هذا الجميل ونحفظ له هذه اليد .

وهكذا استطعنا إبراز هذا السفر كما يراه القارئ شاكرين كل من ساعدنا وعضدنا ، مؤملين أن نكون قد وفقنا الى بعض ما يجب علينا نحو بلادنا وشعبنا . وفق الله الجميع لما فيه صلاح العروبة والوطن .

عبد الله عمر بلخير   محمد سعيد عبد المقصود

مقدمة

بقلم حضرة الكاتب الكبير الدكتور محمد حسين هيكل بك

هذه مجموعة من مختار الأدب الحديث فى الحجاز ، وهى تضم من الشعر والنثر ماجادت به قرائح طائفة من شباب بلاد كانت مهد الأدب العربى ومتنزل الوحى على النبي العربى (صلى الله عليه وسلم) وما تزال مطمح أنظار الأمم التى تتكلم العربية وتدين بالاسلام

وأول مايلفت نظر المطلع على هذه المجموعة حداثة الكتاب والشعراء الذين اختيرت لهم ، فكثيرون منهم لم يبلغوا الثلاثين ولم يتجاوز الاربعين منهم أحد ، والكثرة الكبرى تقع بين الثلاثين والأربعين . هم جميعاً إذن من أبناء هذا القرن العشرين المسيحى وان كانت نبذ الترجمة التى قُدّم لكل منهم بها تذكر سنة ميلاده بالتاريخ الهجرى ولا تشير إلى التاريخ الميلادى الا نادراً ، واذا قلت انهم أبناء هذا القرن العشرين الميلادى قلت انهم أبناء النهضة الحديثة فى الأدب العربى ، هذه النهضة التى بدأت فى مصر وفى

سوريا منذ بدأت فيها الأحداث السياسية فى طلب الحرية منذ أكثر من نصف قرن .

والحق أن الأدب الحجازى الحديث متأثر بهذه النهضة تأثراً تاماً، وانك لترى أثناء قراءتك هذه المجموعة أثر النهضة باديا فى كل مااشتملت عليه ، وقل أن تقف عند شيء يشبه القديم من الأدب العربى ، فالاسلوب والصور وطرائق التفكير والتعبير تجرى كلها مجرى ماتقرؤه فى أدب مصر وسوريا والعراق وغيرها من البلاد العربية فى هذا العصر الأخير ، بل تجرى مجرى الصور الأخيرة لهذا الأدب الحديث فى تلك البلاد ، فأنت ترى شعراً منثوراً ، وترى أوزانا فى الشعر من أوزان المدرسة الحديثة ، وترى تفكير هؤلاء الأدباء مصوراً فى قوالب تكاد تردها الى مصادرها فى تفكير العصر الحاضر وأدبه ، ثم انك ترى أساليب يحتذى فيها أصحابها بعض الكتاب المعروفين اليوم فى مصر وغير مصر .

ولا عجب فى هذا فناشئة الحجاز شديدة الولع بالاطلاع على جميع الآثار الأدبية التى تظهر فى البلاد العربية فى العصر الأخير ، ولقد أتيح لى أثناء مقامى بالحجاز واتصالى بالمثقفين من أبنائه أن ألاحظ هذه الظاهرة أشد وضوحاً فيهم منها فى أبناء مصر ، فهم يحدثونك عن أدباء العربية حديثا مفصّلا ويذكرون كل واحد منهم بآثاره

وكثيراً مايتناولون هـذه الآثار بالنقد دون أن يخفي نقدهم إياها على إعجابهم بها .

وكثيراً مايقارنون مؤلفات الكاتب الواحد وما تدل عليه من أطوار تفكيره وتصوره الحياة والأدب ، وهم أشد ولعاً بالأدب المصرى منهم بالادب العربى فى غير مصر من البلاد العربية مع إحاطة بهذا الأدب تعدل إحاطتهم بالأدب المصرى ، ولعل سعة اطلاعهم على الآثار العربية ترجع الى أن أكثرهم لايعرفون غير العربية والى أنهم يحرصون على أن يقفوا على أدق صور التفكير الحديث فهم يلتمسونها عند الكتاب الذين درسوا وعاشوا فى الغرب ووقفوا على آثاره ، وهم لذلك يدرسون ماينتجه هؤلاء الكتاب من ثمرات دراسة كانت موضع إعجابى بل كان التعمق فيها موضع عجبى .

ومرجع حرصهم على معرفة آثار الحياة الحديثة تشوقهم لبلوغ بلادهم مابلغت غيرها فى أقصر زمن تستطيع فيه أن تدرك هذه الغاية ، فلقد كانت الحجاز الى ما قبل سنة ١٩١٤ ايالة عثمانية تتنازعها أسباب التدهور التى كانت تتنازع بلاد الامبراطورية العثمانيـة جميعا فى ذلك الزمن ، ولم يكن أهل الحجاز يفكرون فى أمر بلادهم من ناحية الرقى الفكرى اكتفاء بوجود الأماكن الاسلامية

المقدسة فيها وباقبال المسلمين من كل البلاد على زيارة هذه الأماكن لاداء فريضة الحج ولزيارة الروضة النبوية .

ولم تكن الثورة التى اهتزت لها أرجاء الامبراطورية العثمانية من قبل سنة ١٩٠٨ ولا كان الدستور العثمانى الذى صدر فى تلك السنة ليحرك أهل الحجاز حركة عميقة وان تركت مجهودات الهيئات التى كانت تعمل لتتريك العرب أثرها فى بعض النفوس ، فلما نشبت الحرب العالمية فى سنة ١٩١٤ برزت حركة دعاة المملكة العربية وأسرعت فكرتهم الى الانتشار وزاد فى سرعة انتشارها ما اشتهر عن الأتراك من قسوة بالعرب وشدة عليهم فى سوريا فى الشهور الأولى من الحرب ، فلقد كان القائد التركى جمال باشا مضرب المثل فى هذه القسوة وهذه الشدة . وسواء أكان ما نشر من ذلك حقا أم كان دعاوة سياسية فقد كان له أثره فى نجاح مفاوضات الشريف حسين مع انجلترا وفى اتباع العرب إياه حين نادى فيهم بالخروج على تركيا وفى اعلانه ملكا عليهم. من ثم بدأ عهد النهضة فى الحجاز وكل نهضة سياسية تحتاج الى نهضة أدبية تؤازرها ، ولقد كان فى الحجاز يومئذ ناشئة تتذوق الأدب ولا تعرف أيان تتجه به ، وكان فيه شباب يتعلمون ويتطلعون الى هذه الحياة الجديدة التى اهتزت

لها أرجاء بلادهم ومن ثم كانت النهضة الأدبية في الحجاز وكان الطابع الذي طبعت به .

ثم ان الأدب يتأثر دائما بالبيئة التي تحيط به في المكان كما تتأثر بأحداث الزمان، واذا كانت هذه الأحداث قد بعثته في الحجاز حتى جعلت أهله يتطلعون الى غيرهم من الأمم المجاورة لهم فان البيئة العربية الصحيحة التي لم تتغير قد بقي لها أثرها في هذا الأدب شأن كل بيئة في أية أمة من الأمم ، ولعل أثر البيئة الطبيعية أكثر وضوحا في شعر أدباء الحجاز منه في نثرهم ، فأكثر النثر مرماه الاصلاح الاجتماعي وقلما يتصل الاصلاح بالبيئة الا اذا أريد الالتجاء الى التحليل ومعرفة آثار هذه البيئة في نفسية الشعب وترتيب الاصلاح على ما يتصل بهذه النفسية ، وهذا ما لم نصل اليه نحن في بلاد الشرق العربي ، فنحن مانزال عند الأمور العامة من الاصلاح ولا نزال ننقل عن الغرب ماأبدع من نظم دون التعمق في بحث هذه النظم من حيث ملاءمتها لبيئتنا الطبيعية ، أما الشعر الحجازي فينم عن هذه البيئة التي أنبتت الشعراء الأقدمين . ولئن كان الكثير منه متأثراً بحاجات الوقت لتجدن بعضه ينسج على منوال الأقدمين في جزالة لفظه ورقة معناه، وتأثره بوحي البادية وعيشها الحر الطليق

فى بساطة أدنى الى الشظف منها الى هذه الكظة الظاهرة فى حياة الغرب العقلية والفنية ظهورها فى حياته المادية والمدنية .

ولو أننى أردت التماس الأمثال لذلك مما فى هذه المجموعة لطال بى الاقتباس فحسبى أن أنبه اليه وأن أشير الى أن أبناء البادية ومن ولدوا فى جوها أدنى الى التأثر ببيئتها ممن ولدوا بمكة أو بالمدينة ، وسيرى القارئ ذلك حين يتلو ما فى هذه المجموعة من شعر ونثر ، وسيرى الى ذلك مافى اتصال أهل البادية بحياة الحضر وبحياة هذا العصر الذى نعيش فيه من بالغ الأثر ، ثم انه ليرى خلا هذا وذاك مافى الروح العربية من توثب وطلعة وحرص على الانتشار الى غاية ماتستطيع بلوغه كحرص البدوى الرحالة على أن يصل فى اناة وصبر الى كل ماتيسر له راحلته الوصول اليه من أصقاع وان نأت . فابن البادية يترسم اليوم الطائرات ويخيل لنفسه عيش أهل الغرب فيما كان بدوى العصور الماضية يرسم لنفسه صورة إيوان كسرى ويخيل لنفسه ترف الفرس والروم ، وقد يجول بخاطر ابن البادية اليوم مثل ماجال بخاطر سلفه القديم من غزو أهل الحضارة الحالية وان كان مايزال بحاجة الى الوقت والى العلم والى ظهور رجال من طراز خالد بن الوليد فى قيادة الجيوش وعمر بن الخطاب فى سياسة الدول لتصبح أمنيته أملا ، وكان مايزال بحاجة الى إيمان

مستنير كايمان المسلمين الأولين الذين اندفعوا موقنين أن الاستشهاد بالموت سبيل الحياة فغزوا من حولهم ورفعوا لواء الحضارة الاسلامية فى ربوع العالم .

وليس خيالا ماأقول من ذلك فالحياة فكرة والسلطان على الحياة فكرة وانما تتاح هذه الفكرة لمن آتتهم الطبيعة مزاج السلطان والقدرة على الاستشهاد بالموت . وتاريخ العرب شاهد بأنهم حكموا العالم ووجهوا حضارته حين شبت فكرة تحضير العالم عن طريق الايمان وترعرعت فى نفوسهم ، واذا كان العالم يقر إيطاليا اليوم على أن تجعل برنامج سياستها إعادة مجد روما وإعادة الامبراطورية الرومانية فمن حق العرب أن يدور بخاطرهم مثل مادار بخاطر أهل ايطاليا وأن ينتظروا الداعية الذى تهيئه الأقدار للنجاح فى هذه الغاية ، وما دام شباب العرب قد بدأوا نشاطهم الفكرى على الصورة الواضحة فى هذه المجموعة فمن حقهم ومن حق كل عربى أن ينفسح أمامهم ميدان الأمل فى المستقبل، فالأدب نواة كل عمل وكل حياة، بل هو رحيق الحياة وروحها والروح ماقويت قديرة على كل شىء ، ولقد أتيح لى أن أتعرف الى كثيرين ممن اختيرت لهم المجموعة بعض آثارهم فرأيت فيهم طموحا وأملا وحرصا على تحقيق هذا الأمل ، أما وهذا شأنهم وهذه عزيمتهم الصادقة فلهم

أن يصوروا مستقبل بلادهم كما يشاؤون ، فاذا جاء الوقت الذى تدوى في العالم صيحته كان هذا طليعة العظمة العربية المقبلة وكان المتقدم الذى يسير فى اثره أمجاد أبناء امجاد يعيدون لبلادهم عظمتها ومجدها ·

ان حياة الأدب فى العالم العربى بشير كبير للمستقبل ونهضة الأدب فى الحجاز آية من الله للناس بأن النبع الذى غاض ماؤه عاد الى فيضه كما كان كشف عبد المطلب عين زمزم آية الله للناس بمقدم صاحب الرسالة . قوى الله عزائم الذين أقاموا هذه النهضة وأمدهم بروح من عنده ليبلغوا بها غاية رقيها ولتبلغ ببلاد العرب الى المكانة التى يجب أن يتبوأها منزل الوحى فى العالم ؟

محمد حسين هيكل

تحية «وحى الصحراء»

أهـلا بأنفاس الحجا ز ومرحبا بصدى الحرَمْ !
هبّت على الاقطار مُحـ ـيية ً، ودوّى فى الأمم

***

ذهبا يعيدان الرّجا ء الى النفوس اليائسه
ان العروبة سوف تُبْـ ـعَثُ فى رُباها الدارسـه

***

وبنو العروبة سوف يبـ ـنون الحضارة من جديد
فى مصر ، فى أم القرى فى الشام ، فى مغنى الرشيد

***

فى تونس الخضراء ، فى الا أحقاف ، فى اليمن السعيد
حِلم مُطِلٌ من كُوى الا أيام يبسم من بعيد!

***

نرنو اليـه وفى جوا نحنا الصبابة تلتهبْ!
نفترُّ من ثقةٍ به حيناً وحيناً ننتحبْ!

***

نجمٌ يعلّمنا الفـدا ء بما يشعُّ من الضياء
يهدى الى حقِّ الحيا ة ، ولا حياة بلا فـداء !

علی احمد باكثير

الأدب الحجازي والتاريخ

تمهيد :

الأدب ميزان ثقافة الأمة ، ودليل حياتها ، وهو فن الحرية والجمال ، يزدهر إذا تعهدته الفطر القوية بوسائل الانعاش . وأدب كل أمة صورة دقيقة لحياتها ، ومقياس لتقدمها ورقيها ؛ وكما أن الحياة تتقلب فى أدوار مختلفة ، وتحيط بها ملابسات متباينة ، وتسير طبقاً لسنن الكون فى النمو والارتقاء ، والذبول والاضمحلال ، فكذلك الأدب يزدهر بازدهار الحياة ويذبل بذبولها .

مرت على هذا الوطن العزيز أدوار مختلفة، كان يسير فى كل دور منها طبق ما يحيط به من نزعات وما تكتنفه من ملابسات، متأثراً بالمبادئ المتنوعة التى كانت تتجدد بتجدد التقلبات السياسية وأحداثها التى اعتورته والتى كانت أشبه بكوكب دوار لا استقرار له ولا نهاية لدورانه .

فتلك الحياة المزعزعة ؛ هى بلاشك حياة نفعية محضة ، لاميزان فيها لغير الأهواء ، وهى خليقة بأن تنشئ العثرات فى سبيل التفكير

الحر والكفاءات الأدبية، فلا بدع إذا أخذ جمال هذا الوطن العزيز في الذبول ينتقل من سيئ الى أسوأ ، حتى اقفر من كل شيء ، ولولا ماله من مكانة دينية لغدا بلقعاً وانقلب قاعا صفصفاً .

بقي كذلك حتى دار الزمن دورته وتنفست الحياة من جديد ، فنهض ليستعيد مجده الداثر وعزه المسلوب ، ولكنه كان أشبه بالثمل يتخبط يمنة ويسرة ويخطئ طريقه في تلك الظلمة المطبقة حوله ، وهو أحوج مايكون الى أيد مخلصة تدفعه الى طريق النجاة والرشاد ؛ ولكنه – وباللأسف – لم يلق تلك النجدة التي ينشدها في أبنائه القلائل. هكذا كانت حياة هـذا الوطن البائس ، وهي نفسها ادوار أدبه . ولما كان القصد من وضع هذا السفر هو اعطاء صورة صادقة عن الأدب الحجازي كان لزاماً أن ندرس الأدب الحجازيّ في جميع عصوره التاريخية ، ونثبته هنا كما أيده التاريخ وسجلته حوادثه ، وليس لنا من غرض نرمي اليه الا اظهار الحقائق جلية واضحة ، وان كان في بعض هذه الحقائق ما يخجل ويؤلم .

في العصر الجاهلي :

ان مركز مكة الديني ، ومركز مكة والطائف والمدينة التجاري كان لهما أعظم أثر في حياة أهل الحجاز الاجتماعية، وان اختلاط أهل

مكة والمدينة والطائف بصنوف من العرب مختلفى اللهجات واللغات فى أيام المواسم الدينية والأدبية ، وتنقلهم فى المدن والأمصار المتمدنة كان لهما تأثير مباشر فى تطور حياتهم الفكرية، فاتسعت هذه الحياة، وكوّن هذا الاتساع ألواناً جديدة من الثقافة البسيطة رحُب معها أفق حياتهم ، واكتسبوا به مرونة مكنتهم من اقتباس ألفاظ وأسالب كان يقضى باقتباسها واصطناعها الاحتكاك والاشتراك فى مؤثرات متشابهة مهدت لها المواسم الدينية والأدبية خير تمهيد . فلا غرو أن كان بروز الأدب الحجازى على غيره من الأدب العربى ظاهراً

وتستطيع أن تلمس أثر ذلك التطور فى سعى قريش لأن يكون عكاظ موسماً للأدب العربى ومعرضاً لمنتخبات أفكار العرب وثمرات عقولهم ، ومنبراً لخطبائهم وشعرائهم ، فيه يتفاخرون ، وفى ميدانه يتناشدون، وفى مضماره يتسابقون ، ذلك المعرض العظيم الذى كان يقام للأدب العربى ونوابغ العرب ، لاشك قد أفاد العرب عامة والحجاز وأهله خاصة بما هيأ لأدبهم من الظهور والرجحان على الأدب العربى كله ، ولا شك اننا اذا استعرضنا الشعر الجاهلى الموجود بين أيدينا اليوم ، نجد أكثره بلغة أهل الحجاز ، وسواء كان للحجازيين أو لغيرهم ، فان تغلب لغة قريش على غيرها من اللغات العربية ، معناه تغلب الأدب الحجازى على غيره من الآداب العربية

فى العصر الجاهلى ، نعم ان قسما من الأدب الجاهلى طعن فى صحته بعض أعلام الأدب ، ولكن قسما ممتازاً منه ثبت أمام النقد ، يقوم أقوى الأدلة على صحته بالروايات الثابتة ، والمنطق السليم ، ومالنا نستدل بهذا وأمامنا كتاب الله ؟ وحسبنا نزوله بلغة قريش دليلا على ماتم لتلك اللغة من الغلبة والظفر فى أحفل عصور الجاهلية، وقد قلنا ان غلبة اللغة تعنى غلبة الأدب . وبالأحرى غلبة الحياة نفسها ، وقد أجمع علماء اللغة على ان قريشاً أفصح العرب ، وان لغتهم أحفلُ اللغات بالمحاسن والقوة وأخلاها من مستبشع اللهجات، وما نحسبنا بعد فى حاجة الى أن نقول :

إن الأدب الحجازى فى العصر الجاهلى كان جماع حضارة العرب الفكرية ، وانه بلغ من القوة والتفوق ماهيأ له القيادة والسيادة اللتين تجد أثرهما ماثلا بين دفات الكتب وآثار ثقافة العرب وتأريخها الناصع .

فى صدر الاسلام

نزول القرآن خلق مادة جديدة للغة العربية ، فوسع من دائرتها كثيراً وأكسبها طلاوة ورقة لم تكن لها من قبل ، ثم انقسام القبائل الى قسمين : قسم يناصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقسم

يناوئه ـ واعتمادهما على الشعر، وقد كان وسيلة من وسائل الدفاع ـ خلقا روحاً جديدة فى الشعر العربى، أضف الى ذلك ان القوم أخذوا يشعرون بتطور عظيم فى حياتهم، فكان طبعياً أن يحيا الحجاز بدافع تلك المؤثرات حياة جديدة لها لونها الخاص بها، وكان لزاماً أن يصور لنا أدب ذلك العصر تلك الحياة مع مايحيط بها، وان شعر الشعراء المخضرمين يكشف لنا الى حد بعيد حياة القوم يومذاك.

نعم ان الشعر فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من حيث المبني جاهلياً إلا أنه تحللَ من قيود الجاهلية وجفائها معني، إذ العراك الدينى الذى كان قائماً على قدم وساق يومذاك أدخل على الشعر معانى جديدة لم تك مألوفة، واذا شئت فقل لم تك معروفة، ثم ان ماجاء به القرآن من متانة الأسلوب وروعة المعانى، وجودة التراكيب، وسهولة الألفاظ، قد أحدث تأثيراً ظاهراً فى اتجاه الأدب العربى، وبلد كالحجاز تدفعه أمثال هذه العوامل فى عصر كان للأدب فيه أعلى منزلة لا جرم أن يتأثر به أبلغ تأثر، فلذلك حمي سوق الشعراء إبان ظهور الرسالة، وبقى كذلك الى أن أتم الله نعمته على المؤمنين، وعم الاسلام بلاد العرب، ثم اعترى سوقَه الكسادُ لانصراف المسلمين الى الحياة العملية من فتح وغزو، زد على ذلك

ان بعض قواد المسلمين كانوا يرون ان الشعر يعيـد الى النفوس العصبيةَ الجاهلية وهم قريبو عهد بها فلذلك كرهوا التمادى فيه، الا ان سوق الخطابة فى هـذا العصر اتسعت ، لأن الفتح والغزو كانا يستلزمان ذلك ، والخطابة فى صدر الاسلام غيرها فى الجاهلية اذ أن الاسلام و القرآن أضافا اليها مادة جديدة جعلتها أكثر متانةوأقوى تأثيراً ، وأجود فناً ، وأعذب أسلوباً ، وأحسن وقعاً ، وقد عرف فى هـذا العصر الى جانب الخطب الدينية خطب سياسية أخذت تقوى وتنمو بتطور حيـاة القوم يومذاك . وان كتب الأدب والتواريخ طافحة بالخطب وأخبار الخطباء ، وكل ما نريد أن نثبته هنا هو ان الأدب الحجازى فى هذا العصر كان على جانب عظيم من السمو وعلو المنزلة ، وانه امتاز على غيره من الأدب العربى بعوامل شتى تهيأت له ولم تتهيأ لغيره ، وان الشعر نشط فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم حتى أفقده الاقبالُ على الفتح ذلك النشاطَ وبعكسه الخطابة، فقد صارت اليها قيادة الفكر والسيطرةُ على الأهواء .

فى العصر الاموى :

قلت إن القوم أخذوا يشعرون بتطور عظيم فى حياتهم ، وقد ظهر هذا التطور واضحاً فى الحجاز فى هـذا العصر أكثر من أى

عصر آخر ، لأن السياسة مهدت لتلك الحياة من جهة ، ولأن النفوس أخذت تصطبغ بحضارة الأمم المغلوبة من جهة أخرى ، ولقد كان لسيل السبايا والرقيق الذى ملأ دور الحجازيين أقوى الأثر فى طبع حياتهم بطابع جديد يختلف عن حياتهم الماضيةِ التى ألفوها . وكان لزاماً أن يتطور الأدب بتطور حياتهم ، وأن يتأثر بثقافة العناصر الجديدة التى دخلت فيه ، ولكنه بالرغم من كل هذه المؤثرات فقد كان الأدب الحجازى يسير فى لفظه وأسلوبه على سننه فى العصر الجاهلى وصدر الاسلام ، أما فى معانيه وأغراضه فقد خالفهما كل المخالفة بحكم تلك المؤثرات التى طبعت نفوس الحجازيين بطابعها الجديد . ثم ان الصدع الذى ظهر فى صفوف الأمة العربية يومذاك ونشب على أثره النزاع بين بنى هاشم والأمويين من أجل الملك ، وكان من عوامله أن رفعت العصبية الجاهلية رأسها فانقسم العرب إلى شيع وأحزاب متعددة ، وكان ظهور تلك العصبية فى مثل ذلك الظرف أمرا طبعياً اذ هم قريبو عهد بها ـ أضف إلى ذلك أن السياسة خلقت لها جواً فسيحاً مثلت على مرسحه أدوارها ـ وكان لزاما أن يظهر شعراء الفريقين أمام ذلك النزاع الشديد ، وتلك العصبية المستفيضة ليدافع كل شاعر عن شيعته . ولقد استخدمت السياسة الشعر ـ أو اذا شئت فقل الأدب

لأغراضها ، فكان من نتجته أن وجدت فى الشعر حياة جديدة غير حياة عصر الخلفاء ، وألقى على أساليبه ومعانيه ألوانا من الفتنة والسحر والتأثر ، ولم يقتصر هذا على الشعر ، بل ان الخطابة لم يك سوقها أقل نشاطاً ، إذ قد أدت واجبها في ذلك المعترك الهائل على الوجه الأكمل ، وان مواقف عمرو بن العاص ، وزياد بن أبيه ، وابنه عبيد الله ، وعبد الله بن الزبير ، وأخيه مصعب ، والحجاج بن يوسف الثقفى وغيرهم من خطباء أهل هذا العصر أكثر من أن تذكر وأبلغ من أن توصف ، والذى يلاحظ أن السياسة طغت على الخطب الدينية فى هذا العصر فجعلتها فى حدود ضيقة جداً ، وطبعتها بطابع خاص حتى لقد كادت تحدد عباراتها ، كما يلاحظ ان الخطب السياسية كادت تكون على وتيرة واحدة ، أو اذا شئت فقل تخدم غرضاً واحداً ، وهو الذب عن سياسة أصحاب الملك ، والوعيد لمن يتحرك بالفساد ضدهم . وانا لنجد صاحب العقد الفريد وأبا الفرج صاحب الأغانى يسهبان فى وصف ذلك ، ولا نشك مع كل هذا فى ان سطوة الأمويين ضيقت على ألسنة خصومهم فأخذت رقعة الخطب السياسية ضد الأمويين تنكمش حتى تقلصت مع تقلص خصومهم فأصبحت بعد أن استتب لهم الأمر وقفاً عليهم وعلى دعاوتهم ، وليس هذا مكان الافاضة فى هذا البحث، اذ الذى يعنينا من أدب

هذا العصر الأدب الحجازى الذى نبحثه الآن .

* * *

نشب النزاع على الخلافة ، وانقسم المسلمون على أنفسهم فكان فى الحجاز عبدُ الله بن الزبير ، وفى العراق بنو هاشم ، وفى الشام بنو أمية ، وكان أغلب هذه الأقسام يتقدمها رجال كلهم من أهل الحجاز وصميمه . الا أنهم كانوا يعملون للسياسة التى يوالونها ويؤيدونها ، ولم تكن الجامعة التى تجمع القوم دينية محضة كما كانت فى صدر الاسلام، بل ان العصبية القبيلية قد أفسدت عليهم ذلك ، وقد تطورت هذه العصبية القبيلية حتى صارت اقليمية ، فشهد العرب عصبية حجازية وعصبية شامية . وانا لنجد ابن يزيد الأزدى فى كامله وابن عبد ربه فى عقده ينقلان الينا أقوال الهاشميين عن الحجازيين وأقوال الأمويين عن الشاميين، وكيف ان كلا منهما يرى ان جماعته أحقُّ بالأمر من الآخرين ؛ وبالرغم من أن أغلب دعاة المتنازعين كانوا حجازيين وأن قومهم كانوا من مختلفى العناصر ، الا أن تلك العناصر كانت تتأثر بعصبية الاقليم الموجودة فيه. وانا لنجد الجاحظ فى بيانه ينقل لنا الخطب السياسية لدعاة المتنازعين وفيها مايثبت نظريتنا

قلنا ان ذلك النزاع وتلك العصبية قد أوجدت فى الشعر حياة جديدة ، وقد كان للحجازيين من ذلك قسط وافر . ولما هدأت الحال

واستقر الأمر أخذت السياسة تلعب دورها ، وقد كان الأمويون يعرفون انهم سلبوا الحجازيين (بنقل الخلافة) حقاً من حقوقهم ، فكانوا موقنين ان قنبلة الخطر لاتزال كامنة فى الحجاز والعراق ، فحرموا عليهم المناصب الحكومية وأخذوا لقاء ذلك يبذلون لهم المال فى سعة وبسطة قضت السياسة باتباعها فأصبح من فى الحجاز من المعارضين والمنازعين أهل ثراء وأبهة ، ولقد فرضت عليهم السياسة الأموية حجراً سياسياً اشترته بهذا البذل وبذاك الاحسان الذى استرقتهم به ، فكان أكثرهم لايغادر الحجاز الا باذن خاص من دار الخلافة. وقد ذهب الأمر بالأمويين الى أبعد من هذا فجعلوا الحجاز منفى سياسياً لهم ، وصاحبا الأغانى والموشح يحدثاننا عن ذلك فى توسع . فهذا الجو السياسى الذى حصر الحجازيين فى أضيق الحدود ، وحد مطامعهم وقيد حرية أفكارهم السياسية ـ سبب انغماسهم فى الترف وافراطهم فيه وانتهى الترف ببعضهم الى العبث والمجون فمارسوه وغلوا فيه . وانا لنجد الأصبهانى ينقل لنا من شعر العرجى والأحوص وغيرهما مايصور لنا حياة أهل هذا القسم . والحقيقة ان الحياة الحجازية انشطرت فى هذا العصر الى قسمين : قسم منها كان كما وصفنا حياة لهو وترف ومجون ، وقسم آخر كان حياة علم وفقه ودين، والذى يعنينا الآن القسم الأول لأنه يمت

بادق الصلات الى بحثنا ، فقد كان الادب ـ واذا شئت فقل الشعر ـ هو الذى يصور حياة أهل هذا القسم وكان الشعر الحجازى فى هذا العصر أرقّ الأشعار العربية حتى لقد قالوا : « شعر حجازى لو ضغطه برد الشام لاضمحل » وكان ابن عباس يقول « الشعر علم العرب وديوانها فتعلموه وعليكم بشعر الحجاز » . وقد دخلت ضروب عديدة على فن الشعر لم يك متأثراً بها، أو اذا شئت فقل لم يك يعرفها، فظهر الشعر السياسى ، والنقائض والشعر الغزلى . وظهور الشعر السياسى كان مع ظهور النزاع على الملك، وعلى أثره وتحت تأثير العصبية ظهر النقائض ، وما ان استقر الأمر لبنى أمية ، وفتحوا بسياستهم للحجاز حياة جديدة حتى طغى الشعر الغزلى فغمر غيره من ضروب الشعر الحجازى وملك قياد الأدب، ولقد كان حامل لوائه عمر بن أبى ربيعة.
ويذهب الدكتور طه حسين (في حديث الأربعاء) إلى أن ابن أبي ربيعة زعيم الغزليين فى الأدب العربى منذ وجد حتى الآن، واسمعه يقول : « فعمر اذن زعيم الغزليين الامويين جميعاً لانستثنى منهم أحداً، ولا فرق فيهم بين أهل البادية وأهل الحاضرة، بل نحن نذهب الى أبعد من هذا فنزعم ان عمر بن أبى ربيعة زعيم الغزليين فى الأدب العربى كله على اختلاف ظروفه، وتباين أطواره ، منذ كان الشعر العربى حتى الآن » اه

ولقد كانت أغراض هذا الشعر الغزلى تختلف باختلاف الوسط والبيئة التى يقال فيها ، فبينما نجد فى شعر ابن أبى ربيعة حياة الدعابة واللهو نجد عليها مسحة من العفة تصور لنا الحياة المكية يومذاك ، بخلاف الحياة الطائفية والمدنية فانا نجد فى شعر العرجى اباحة ومجونا، وفى شعر الاحوص دعابة ولهواً، وكلاهما قد تجاوز الادب المكشوف بمراحل ؛ وهذا يرجع الى أن حياة اللهو فى الطائف والمدينة كانت غيرها فى مكة ، ولقد كان القوم يعدون سكان مكة من الاعراب. وانك لتجد الطبرى يحدثنا ان عبد الملك أرسل الى خالد بن عبد الله كتابا يقول فيه : « قبح الله رأيك حين تبعث أخاك أعرابياً من أهل مكة على القتال » ثم لمكة ميزة أخرى وهى وجود الكعبة فيها ، وهذا يقضى بأن تحافظ على وقارها الدينى ولو بعض المحافظة ، ولذا فقد كانت حياة لهوها وعبثها أقل من حياة أخواتها الطائف والمدينة .

وشهد الحجاز فى هذا العصر فن الغناء وانغمس فيه ، وهنا يجب أن نقف لنسجل كلمات وجيزةً عن الغناء فى الحجاز لما له من الصلة العظيمة ببحثنا :

قضت سنة الفتح الاسلامى بانتقال الكثيرين من موالى الفرس والروم الى الحجاز ناقلين اليه فنونهم وألواناً من حياتهم كان الغناء

أكثرها فتنة ، وأعمقها تأثيراً. ولما انتقلت الخلافة الى الشام وفرغ أهل الحجاز من العمل ، وأعدت لهم السياسة الأموية أسباب الترف انغمسوا فى الغناء حتى صار فناً منظماً .

ولقد كانت مكة مهد هـذا الفن الجميل فى الاسلام ، وسرعان ماانتقل منها الى المدينة والطائف ومنهما الى سائر الأقطار الاسلامية. ويحدثنا صاحب الأغانى ان ابن مسجح المكى هو أول من تلقى الألحان الرومية واتخذ منها صناعة فى التلحين والوضع ، الى ماحذقه من الضرب على الآلات الفارسية حتى تهيأ له أن يجعل ما مارسه فناً عربياً له سماته العربية ومميزاته العربية. ولقد ازدهر الحجاز بالغناء فى هذا العصر حتى وصل الأمر بالقوم الى أن جعلوا له مدارس يدرس فيها . ذكر أبو الفرج ان جميلة المغنية كانت لها فى المدينة مدرسة تعلم فيها الجوارى فن الغناء ، وذكر فى مكان آخر ان بقميقعان دارا يجتمع فيها مغنو البلدة ، وذهب أمر الاعتناء بالغناء الى أبعد من هذا الحد، فروى لنا صاحب الأغانى : ان سعيد بن سريج والغريض المغنيين ، كانا يجتمعان بدار فى طرف من أطراف مكة كل جمعة فيتناقضان الغناء ويترادانه ، ويجتمع عندهما خلق كثير ، ولقد شهد عقيق المدينة حفلات غناء لم يشهدها موضع فى الحجاز ، ولقد شهد خيف منى فى أيام معبدها المقدس حفلات غناء زاهرة ، ولم يك الطائف أقل حظا

من مكة والمدينة فطالما عقدت مجالس الغناء تحت ظلال كرومه وخمائل أزهاره ، وطالما ترددت أصوات ابن سريج ومسجح ومعبد وابن عائشة ، وطويس ، وغريض ، وجميلة ، وبثينة ، وعزة الميلاد ، وحبابة ، وسلامة ، وخليدة ، وربيحة ، وغيرهم من مغنين ومغنيات الحجاز فى فضائه . وبالطبع فان مجالس الغناء كانت تتعدى حدودها بما تقتضيه من ألوان الأدب والظرف وازجاء الفكاهة والمجون ، وتندر الجلساء ومساجلاتهم الأدبية ، وكتب الأدب ـ وأخص منها الأغانى، والعقد الفريد ، وزهر الآداب ، والكامل ـ مفعمة بأخبار ذلك .

ولم تكن هذه الحياة مقتصرة على طبقة العامة بل شملت الأشراف والأمراء والملوك . وانا لنجد المبرد فى كامله يقص علينا خبر بغض عثمان بن حيان أمير المدينة للغناء حتى ذهب به الأمر لاخراج المغنين منها وأجلهم ثلاثا، فتوسط ابن أبى عتيق لسلامة المغنية واحتال حتى أسمعه صوتها فقام من مجلسه وجلس بين يديها وقال : « لا والله مامثل هذه تخرج » فقال ابن عتيق : « لاتدع الناس يقولون أقر سلامة وأخرج غيرها » قال : « فدعوهم جميعاً »ويروى لناالأصبهانى مامعناه « غنى طويس أبان بن عثمان بن عفان فى امارته حتى صفق أبان وقام من مجلسه واحتضن طويساً وقال : (يلوموننى على طويس) »

وان أمر سعيد بن سجيح وما نمى عنه لعبد الملك بن مروان وتسييره اليه واحتيال ابن سجيح ليسمع صوته عبد الملك حتى أمّنه ووصله وكتب الى عامله بالمدينة يأمره برد ماله عليه وعدم التعرض له بسوء ـ ليس بخاف ولا بمستتر. ويحدثنا صاحب مروج الذهب ان أول خليفة شجع فن الغناء ودعى اليه يزيد بن معاوية.

ولقد بقى الغناء محصوراً فى الحجاز الى زمن الوليد بن يزيد، وفى زمنه انتقل من الحجاز الى الأقاليم العربية. ويحدثنا ابن عبد ربه ان الوليد ارسل الى المدينة فحملوا له المغنين.

مما تقدم نعرف أية درجة بلغها الأدب الحجازى فى هذا العصر، ونفهم جيداً مادخل عليه من التحسين، وما طرأ عليه من أنواع طريفة أوجدتها حياة الحجاز الجديدة.

ولايفوتنا أن نسجل هنا ان النساء الحجازيات كان لهن موقف مشرف فى الأدب الحجازى فى هذا العصر، فقد جاء فى الأغانى: «ان النساء كن يتناشدن الشعر فى المسجد فيتذاكرن الشعراء ويروين لهم» وفى موضع آخر «ان سلامة المغنية كانت تقول الشعر». وكل ما نريد أن نسجله فى هذا الباب: ان الأدب الحجازى فى هـذا العصر بلغ أوج مجده وكان عاماً جميع الطبقات. ويقول الدكتور طه حسين فى كتابه «الحياة الأدبية فى جزيرة العرب»

مالفظه . (فكبار الشعراء فى العصر الأموى جميعاً من البادية أو من حواضر الحجاز ونجد) ولا يفوتنا أن ننبه القارئ الى ان للسياسة **يداً في هذا التطور فهي التى مهدت له ذلك بالأموال والحجر السياسي ، وكل** هذا لا يمنعنا من أن نقول : ان أول صدمة سياسية صدم بها الحجاز ترجع الى هذا العصر اذ هو عصر انتقال السيادة السياسية والسلطة الحكومية من الحجاز الى غيره .

فى العصر العباسى الأول

قامت الدعوة العباسيةبالعراق معضدة بعناصر غير عربية كانت تنقم على الحكم الأموى تعصبه للعرب ، وكانت نظرة المنصور الى الأدب تختلف كثيراً عن نظرة الدولة الأموية ، وكان فى المدينة محمد بن عبد الله بن الحسن المعروف بالنفس الزكية يتوثب للثورة وقد فتح أبوابه للشعراء واتجهت أنظارهم اليه فأمعن فى اكرامهم وأجزل لهم العطاء ، فطار صيته واستفحل تأثيره . ولما كان الشعر وسيلة من وسائل الدفاع يومذاك عانى المنصور الأمرين فى اخماد ثورته ، ولقد كان عمل محمد بن عبد الله هـذا درسا بليغا للعباسيين اتجهت بسببه أنظار ولاتهم الى استمالة الشعراء والادباء، كما ان ثورة محمد بن عبد الله كانت سببا فى التضييق على الحجازيين بعد ذلك ،

وقد ساعد على هـذا ان العناصر الاجنبية التى كانت تشد عضد العباسيين كانت سياستها ضد العرب ، وكانت الحياة قد تطورت عن العصر الذى قبله وتأثرت بحياة الأمم المغلوبة تأثراً صبغ سياستها بصبغة جديدة كان من نتيجتها أن استمالت الحجازيين البارزين وحملتهم على استيطان العراق ، فكانوا يجدون من خصب العيش وحسن الوفادة ماحمل البقية الباقية على أن تولى وجهها شطر العراق . وكان امعان الخلفاء فى اللهو والترف ، والولع العظيم بالغناء داعياً أشهر المغنين ، وأظرف النـدماء الى التحول من الحجاز الى حيث المـال والوجاهة والحرية . وحيثما كان المتاع واللذة ،كان الأدب وفنونه ، وكانت الحرية الشخصية وآثارها . زد على ذلك ان المدينة ومكة كانتا فى أول العصر العباسى تضمان نفراً غير قليل من المغنين والمغنيات والمتأدبين والمتأدبات ، وكان أغلبهم خليطاً من آباء عرب وأمهات أعجميات فكان طبعياً أن تتغلب على هـذا النفر وراثة الأمومة وتأثيراتها . فلما تحولت الخلافة الى العراق وكانت قائمـة بتعضيد عناصر غير عربية ، وجد هذا النفر مجالا للظهور والسمو والاثراء . وصاحب الأغانى قد حدثنا فى سعة عن سياسة المهدى ابن المنصور فى الحجاز وجده فى استمالة الحجازيين اليه ، ونقله خمسمائة من الأنصار الى بغداد ، كل هذا يعطينا دليلا واضحا على ان تحول

دهاة الحجاز وأدبائه ومغنيه ومغنياته الى بغداد أثر كثيراً فى الحركة الفنية وتطورها فى الحجاز . ولما أمعنت الدولة العباسية فى الترف وتحولت عصبيتها الى عصبية فارسية أخذت الصلات الاجتماعية بين الدولة العباسية وبين بلاد العرب فى الضعف ، ان لم يكن فى أواسط العصر العباسى الأول ففى نهايته ، ولقد كان مالمكة والمدينة من قداسة ومقام دينى سبباً فى اكتسابهما بعض المميزات من عطف وعناية عبرت بهما السياسة عن رغباتها الخفية . وكان هذا العطف محصوراً فى صلات أهل الحرمين بالغلال والنفقات حتى أصبحت نفقة أهل الحرمين فى ميزانية الدولة العباسية من النفقات الضرورية . ولكن تلك النفقة كانت لا تكفى لسد الرمق ، وكان طبعياً أن يؤثر هذا فى الحياة الحجازية . زد على ذلك أن الحجازيين الذين نزحوا الى العراق حل محلهم سيل المجاورين من أمم شتى تتباين والحجازيين فى الأخلاق والعادات واللغات ، وهذا جعل الرجولة الحجازية تصطبغ بغير صبغتها الفطرية شأن كل الأمم فى بدء ضعفها وانحلالها .

مما تقدم نفهم جيداً ان الأدب الحجازى كان حتى أواسط العصر العباسى الأول يؤدى واجبه على الوجه الأكمل ، ولقد كان حظه من الشعر التعليمى ، والمجون ، والخمر ، والزهد ـ وهى من فنون الشعر العربى التى ارتقت فى هذا العصر ـ أعظم حظ ، ثم أخذ الأدب

الحجازى فى التقهقر وأخذت الروح الأدبية تضعف رويداً رويداً متأثرة بتلك العوامل التى سردناها ، فلم ينقض العصر العباسى الأول الا والحركة الأدبية الحجازية قد اعتراها الشلل . وهذا ماحدا بالأصمعى وهو من متأخرى أهل هذا العصر أن يقول: «أقمت بالمدينة زمانا ما رأيت بها قصيدة واحدة صحيحة الا مصحفة أو مصنوعة ، وكان بها ابن دأب يضع الشعر وأحاديث السمر وكلاماً ينسبه الى العرب فسقط وذهب علمه ، وخفيت روايته» وهو حكم شديد قاس فيه شيء من التحامل . واذا عرفنا أن الأصمعى - كما يقول صاحب ضحى الاسلام - من المتشددين كثيراً ، يقف عند النص اللغوى فلا يتعداه ، ويكره القياس ويعارضه ، اذا عرفنا هذا أدركنا مبلغ قسوة الأصمعى فى حكمه .

نعم . لقد أصيب الأدب الحجازى فى هذا العصر بشيء من الضعف ولكنه لم يتدهور بالشكل الذى يصوره الأصمعى . وانا لنجد الدكتور طه حسين يحدثنا فى كتابه « الحياة الأدبية فى جزيرة العرب » عن الأدب الحجازى فى هذا العصر بما يخالف تقرير الأصمعى ، اذ هو يقول : « فمن المحقق أن أعراب الحجاز لم ينصرفوا عن الانتاج الأدبى بمجرد أن تقطعت الصلة بينهم وبين مراكز الحضارة الاسلامية ، بل كان فيهم الشعراء والخطباء ، والقصاص ،

والرواة؛ ولكن شعرهم وقصصهم وآثارهم الأدبية بوجه عام لم تكن تنقل الى مدارس البصرة والكوفة وبغداد وتدرس فيها كما كانت الحال فى القرون الأولى، ولم تكن تدون فى البادية، وانما كانت تحفظها الذاكرة عشرات السنين، ثم يذهب بها موت الرواة والحفاظ وتنتثر فى الصحراء كما تنتثر الرمال بتأثير الرياح. وليس هذا مكان مناقشة الأصمعى فى رأيه ولكنها الحقيقة حدت بنا لهذا الاستدلال وذاك الايضاح.

ولئن ضعفت الحركة الأدبية فى هذا العصر فى الحجاز فقد أينعت وأثمرت الحركة العلمية فيه، فقد ظهر فى الحجاز مالك بن أنس، وأبو الوليد محمد الأزرقى، ومحمد بن اسحاق، والواقدى، وسفيان بن عيينة، وربيعة الرأى وغيرهم من عظماء رجال الدين والتاريخ. ولقد أعان على اتساع هذه الدائرة ما لمكة والمدينة من مركز ممتاز فى الثقافة العلمية منذ الهجرة، ولكونهما مصدراً من أوثق المصادر فى رواية المسائل الدينية، فلا غرابة اذا بقى الحجاز كعبة يحج اليها مريدو العلم ومنهلا عذباً يرد اليه طلاب الدين وثقافته.

فى العصر العباسى الثانى

يبدأ العصر العباسى الثانى من سنة ٢١٩ هـ حتى سقوط الدولة

العباسية وانهيار ملكها . ويمتاز هذا العصر بادخال العنصر التركى فى تدبير أمور الدولة بدلا عن العنصر الفارسى فى العصر العباسى الأول ، وهذاقضى بانحلال أمرالدولة وتسرب الضعف اليها ، فأخذ الحكام يستقلون بالبلاد التى يحكمونها حتى قامت دويلات عدة ليس هذا موضع الكلام عنها . وكانت طبيعة هذا النزاع السياسى تقضى بنشاط سوق الشعر من جديد فنشط واتسع ، الا أن الحجاز كان فى معزل عن ذلك ، لأن الحركة الأدبية كانت متسممة من أواخر العصر السابق ، فلذلك كان الحجاز فىهذا العصر نزر المادة فى هذا الجانب .

زد على ذلك ان الثورات الداخلية فى الحجاز أخذت فى الظهور بين حين وآخر ، وتعدد الدول الاسلامية كان يقضى على كل منها بسط نفوذها على أرض الحرمين الشريفين لتدعيم مركزها السياسى ، ثم فى أواخر القرن الرابع بدأ حكم الأشراف المعروفين بالحسنيين ، وعلى أثره تقلص الحكم العباسى عن الحجاز فأصبح يسمع الدعاء على منابر الحرمين مختلفاً مضطرباً ، فحيناً للعباسيين ، وطوراً للأخشيديين ومرة للأمويين ، وأخرى لليمنيين .

وكانت هذه التقلبات بطبيعة الحال تسبقها حروب ومنازعات تراق فيها الدماء وتستباح بها الحرمات ، ويعقبها شلل وفتور . هذه

العوامل ساعدت على موت الحركة الأدبية الحجازية تماماً ، فأصبحت لاترى إلا قطعاً شعرية ضعيفة ، تجدها مبعثرة فى كتب التاريخ تبعد كل البعد عن الأدب وفنونه . ويكفينا دليلا على موت الحركة الأدبية الحجازية موتاً حقيقياً انعبدالملك الثعالبي النيسابورى- أحد أعلام الأدب العربى فى عصره وصاحب الكتاب الأدبى القيم (يتيمة الدهر) والذى وضعه لبحث الأدب العربى واستقصائه فى القرن الرابع وبعض القرن الخامس- لم يأت فيه باشارة الى الأدب الحجازى ولا الى الادباء الحجازيين ، بالرغم من كونه أفرد لأغلب المدن فصولا ولأكثر الشعراء أبواباً فى يتيمته . والحق ان ليس الذنب ذنب النيسابورى ، ولكن الحقيقة هى التى دعته الى هذا الاغفال الممض . أما الناحية العلمية الدينية فكانت محتفظة ببعض الحياة . وكانت حركة التأليف موجودة الا أنها بلغة تبعد كل البعد عن لغة الأدب العربى التى كانت شائعة فى ذلك العصر فى البلاد الاسلامية التى لم تصب بما أصيب به الحجاز .

فى عصر القلاقل والفتن

ان القلاقل والفتن لها أثرها المؤلم المبكى فى حياة الأمة التى تمثل على مسرحها تلك الأدوار ، وكما أن الأمة كلما أمعنت فى الحضارة

والرفاهية أخصبت فى العلوم والفنون ، واتسعت دائرة ثقافتها بقدر ما لديها من مؤهلات وما حولها من تشجيع وتعضيد . كذلك اذا زعزعت القلاقل والفتن كيانها لاتلبث أن تضيع كل ثروة علمية أو أدبية أو فنية كانت لديها بالأمس. ولاشك أن للسياسة صلة وثيقة بكل هذه العوامل والمؤثرات ، وما كان لمكة والمدينة من قداسة فى نظر العالم الاسلامى قضى بأن يكون الاتجاه الى الاستيلاء عليهما أقوى وأعظم. أضف الى ذلك أن هـذا الوطن البائس منى فى أواخر القرن السادس بحكم الأشراف المعروفين بالهواشم فكانوا (ضغثا على ابالة) وكانت البلاد الحجازية واقعة فى اضطراب لامزيد عليه ، وكثرت الثورات الداخلية ، واتسعت شقة الخلاف فى البيت الحاكم من الأشراف . ويحدثنا السنجارى أن حميضة بن أبى نمى قتل أخاه أبا الغيث بن أبى نمى وطبخ لحمه طعاما لاخوته المنازعين له فى الامارة، وأقام على رأس كل واحد منهم سيافين وأنذرهم أن من حرك رأسه كان جزاؤه الموت . ويحدثنا ابن بطوطة أن أمير المدينة كبشَ بن منصور قتل عمه مقبلا وتوضأ بدمه . وأن أبناء مقبل تمكنوا من أخذ الثأر فقتلوا كبشا ولعقوا دمه، فتلك الوحشية المتناهية، وهاتيك النار المتأججة كانتا من أقوى الاسباب التى أتت على البقية الباقية ـ اذا فرض وجود بقية ـ من الحركة الأدبية الحجازية ، كما قضت

بأن يتسرب الداء الى الحركة العلمية ، فلم يحل القرن الثامن حتى ضعفت الثقافة العلمية ضعفاً محزناً . نعرف هذا من رحلة ابن بطوطة فانه كان شديد العناية فى رحلته بتدوين أخبار أهل العلم والادب والفن ، فلما أتى على ذكر الحجازيين لم يذكر لنا الا بضعة عشر شخصاً من العلماء فى مكة والمدينة وهما أعظم المدن الحجازية علماً وأدباً . أما الادباء فلم يحدثنا عنهم بشيء . وانا لم نجد عنوانا ينطبق على هذا العصر الا عنوان « القلاقل والفتن ». نعم ان العصر الذى بعده كان لا يقل عنه اضطرابا الا أن ذلك كان تحت رعاية حكومة مسؤلة. فلذلك ولغيره من الاسباب فصلناه عن العصر الذى بعده . والحقيقة ان هذه الحالة لم تك مقتصرة على الحجاز فقط بل تناولت كافة البلاد العربية ، فقد دالت فى هذا العصر دول عديدة ، كانت تشجع الادب ، وتروج سوقه ، وان نهر دجلة وما قذف فيه ، وبغداد وما مثل فيها ، والاندلس وماحل بها ، كل ذلك قضى على الادب العربى فأصبح هشيما تذروه الرياح الا بقية منه غمر تأثيرها الشام ومصر ، فكانت يد الله فى استبقائها حينا حتى اجتاحها المصاب فى عهد التتريك العثمانى .

فى عصر الدولة العثمانية

فى أوائل القرن العاشر بسطت الدولة العثمانية نفوذها على

الحجاز فكان هذا العصر فى أول أمره عصر رفاهية ورغد لم يلبث ان قلب الدهر له ظهر المجن ، وكان أشد وطأة على الحجاز فماتت الحركة العلمية واصطبغت النفوس بالنزعة التركية اصطباغا كادت تنقطع معه كل صلاتها بالعربية من جميع نواحيها،وقد اتخذت الدولة العثمانية من نشوب الثورات الداخلية بين الاشراف واقتتالهم على الامارة سببا فى جعل ادارة الامور الحكومية على مختلف أنواعها فىأيدى الاتراك ، ثم بسطت يدها الى اجتذاب العلماء وأشباههم ، وكل من يحتمل أن يتحرك ضدها ، فكان ذلك قضاء على حرية الفكر . انطلقت على أثره أيدى المفسدين وألسنة الكائدين . وقد كان من صالح الدولة العثمانية أن يحتدم النزاع فى البلاد العربية ليشتغل أهلها بأحقادهم وحفائظهم عنها وعن الملك، والا فلم يك يعجزها الحزم فى القضاء على هذا النزاع لو شاءت ، ثم ليست هى من الغباء بحيث تتأثر بالمضابط التى كانت ترفع اليها من الحجازيين فىاختيار الحكام من الاشراف، ولكن الحقيقة ان سياسة الدولة العثمانية لاتفسر فى رأيى الا بأنها كانت تود اذكاء النار فى هذا الوطن ، يؤيد هذا ان العداء بينالعرب والاتراك قديم، اذ هو يمت بالصلة الوثيقة الى بدء بسط النفوذ التركى على الدولة العباسية من العصر العباسى الثانى ، وكتب التواريخ ملآى بالشواهد والادلة .

هذه العوامل وغيرها جعلت هذا العصر من أسوأ عصور الحجاز ، فتحولت الأفكار واتجهت اتجاهات مختلفة واصطبغت النفسيات بشتى الألوان والاهواء . ولما كان بحثنا هـذا مقتصراً على الحركة الأدبية دون غيرها رأينا بحث هـذه الحركة فى هذا العصر باعتبار القرون :

فى القرن العاشر

لـكل جديد لمعة ، وهذا فى كل شيء . فالدولة العثمانية لم تكد تبسط نفوذها على الحجاز حتى أخذت فى استمالة الحجازيين ، شأن الدول الفاتحة ، فخصصت التخصيصات ورتبت الرواتب فكان لهذا العطف الدينى فى ظاهره ، السياسى فى باطنـه ، تأثير قوى فى خلق الاعجاب بالدولة العثمانية والتقرب منها؛ فشد الحجازيون الرحال الى البلاد الرومية وكان العلماء فى مقدمة الجميع . . وقد كان معين الأدب الحجازى الصحيح ناضباً ، وكانت الحركة العامية مشرفة على الموت لولا وجود بعض العلماء من آل ظهيرة : وآل الطبرى والقطبي : فقد سدوا ثغرة الحاجة الى العلم والفقه فى أضيق الحدود :

نعم كان فى هذا القرن من ينظم الشعر ويحرر الرسائل، ولـكنه شعر الضعف والانحلال ، وكتابة العقم والفساد ويظهر أن العناية

التى كان يجـدها الحجازيون من دار الخلافة العثمانية ، والمصبوغة بالصبغة السياسية قد أثرت فى العقلية الحجازية حتى اننا نجد القطبي وقد قالوا عنه : « انه من عظماء علماء مكة » يصف قصيدة له فى كتابه (الاعلام بأعلام بيت الله الحرام) فيقول عنها : « وكنت صدرت ذلك التاريخ (البرق اليمانى) بقصيدة طنانة من نظمى الطنان ، سارت بها الركبان ، وتلقتها بالقبول أدباء علماء البلدان . الى أن يقول : يعد كل بيت منها بديوان ، وتسحب كل كلمة فيها أذيال البلاغة على سحبان » فاذا كانت هذه عقلية العـالم المثقف فما هى عقلية العامى الجاهل ؟ هذا وأمثاله كثير . وقد غص بأمثاله تاريخ القطبي وكتاب الأرج المـكى. وللاستدلال على انحطاط أدب هذا القرن نذكر مطلع قصيدة القطبي السالفة الوصف — :

لك الحمـد يامولاى فى السر والجهر
على غرة الاسـلام والفتح والنصر
كذا فليـكن فتح البلاد اذا سعت
به الهمم العليـا الى شرف الذكر

ونظم ذلك العصر يكاد يكون من هـذا النمط الضعيف . وقد ذكر السنجارى فى تاريخه بعض قطع شعرية وأغلبها تدور حول المدح والرثاء ، ولم أعثر على بحوث واسعة أستطيع أن ادلل بها غير

ماتقدم، والذى يلاحظ ان القلاقل والفتن فى أواخر هذا القرن قلت فى الحجاز فكان لهذا بعض الأثر فى القرن الذى يليه .

فى القرن الحادى عشر

لقد كفانا السيد على صدر الدين المدنى البحث عن أدب هذا القرن فذكر فى كتابه « سلافة العصر » طائفة من الأدباء الحجازيين وسجل فيه قسما من أدبهم ، والمتصفح للقسم الحجازى يدرك أن هناك حركة أدبية بدأت تتكون . وحياة جديدة أخذت تداخل النفوس الحجازية. وبالرغم من أن فنون الشعر التى وردت فى كتاب سلافة العصر كانت متنوعة الا أنها لم تكن عليها الطلاوة والرقة التى يتطلبهما الفن وروعته . وكما رأينا قسما من نظم أهل هذا القرن رأينا قسما من نثره ، كانت عادة السجع المتكلف الممقوت تذهب بما فى بعضه من معان رقيقة .

والحقيقة ان الأدب الحجازى بحالته التى وصفناها قد أخذ حظه فى حياة هـذا القرن بين ألوان الأدب العربى ، اذ ان كتاب سلافة العصر كما ذكر فيه الأدب الحجازى ، ذكر فيه غيره من الأدب العربى فى أكثر البلاد العربية، وهو لايقل عنها جودة وحسناً، وقد تكون اشادة هذا المؤلف بالأدب الحجازى تعصباً وطنياً ، وقد

تكون حقيقية وليس هنا محل النقد والتحليل ، مادام ان القسم الحجازى نفسه لم يترك فى نفسنا أثراً من آثار الأدب الحى. وكل ما يمكن أن نقوله عن الأدب الحجازى فى هذا القرن انه نظم واحكام للقوافى ، ورصف للجمل

وأرانى ميالا الى اعتقاد أن أسباب التحسين التى طرأت على الحياة الحجازية فى هذا القرن كانت نتيجة هدوء الحالة فى الحجاز. وقد تكون هناك أسباب أخرى لم أهتد اليها الا أن السبب الأول فى رأيى من أظهر الأسباب وأبرزها .

فى القرن الثانى عشر

لم يبدأ هذا القرن حتى بدأت الفتن فى الحجاز ، فكان فى هرج ومرج وحروب قائمة. ومخجل أن نقول ان الأشراف كانوا يمثلون أدوارها ، وأن الدولة العثمانية كانت فى معزل عن ذلك كأن الأمر لايعنيها ، سياسة أقل مايقال عنها خرقاء ، ووقع هذا الوطن العزيز فى فوضى متناهية . فقاسى من أنواع الظلم ، وطرق الارهاق أصنافاً وألواناً تدمى القلوب ، وتفتت الأكباد . واذا عرفنا انه تقلب على منصب الحكم فى الحجاز فى هذا القرن ثلاثة وثلاثون حاكما ، وان أغلبهم لم يتم له الحكم الا بحد السيف ، اذا عرفنا هذا ، أدركنا

حال الوطن البائس فى هذا القرن ، وفهمنا مدى ماترمى اليه سياسة دار الخلافة ، زد على ذلك ان المناصب فى الحجاز كانت تستند الى رجال من الأتراك ، وانه صدر فرمان ـ كما يقولون ـ بأن تكون اللغة فى المخاطبات الرسمية فى الحجاز هى اللغة التركية ، وعندذلك تدهورت اللغة العربية فى الحجاز تدهوراً مشيناً ، وحذق اللغة التركية عامة الحجازيين حتى رأينا المؤلفات الحجازية ـ وهى لاتتجاوز أصابع اليد ـ مشحونة بألفاظ تركية غلب على اللسان استعمالها . فبلاد هذه حالها وأمة هذه محنتها ، ولغة هذه مصيبتها ، لابدع أن تشل حركتها الأدبية ، وتذبل حياتها الاجتماعية فينهار البناء الذى وضعت أسسه فى القرن الماضى ان عد ذلك من الأسس .

فى القرن الثالث عشر

كانت الدولة العثمانية تنظر بقلق شديد الى ظهور آل سعود فى نجد وكانت ترقب فتوحاتهم وتوسع ملكهم عن كثب ، فلم تكد تراهم قد اجتازوا حوران والكرك ، ووقفوا منتصرين على أبواب الشام وفلسطين ، واستولوا على مكة والمدينة وعموم مدن الحجاز وعسير وأصبحت الدرعية ـ كما يقول الريحانى ـ محط رجال العرب من الأقطار كلها ، لم تكد ترى ذلك حتى هلع قلبها من الخوف

وأحست بأن زعامتها الدينية ستتقلص ، وقد كان الأشراف فى الحجاز يحسون بأن آل سعود خطر على غطرستهم وحكمهم، فأخذوا يحاربونهم بذات سلاحهم . قام آل سعود على الدعوة الدينية ، وحاربهم أعداؤهم عن طريق الدين أيضاً ، وقد كان الأشراف هم الوحيدين الذين ينقلون للعالم أخبارهم فكانوا يكيفونها على أهوائهم ويصبغونها بصبغة تخدم سياستهم الى حد بعيد . وكان الحجازيون يؤمنون أقوى الايمان بكلام الأشراف ، ويقدسونهم أعظم تقديس رغم غطرستهم وعظمتهم وامتهانهم لهم ـ تلك الأسباب والتهويشات قضت بنفور الناس منهم .

وإذا فهمنا ان الغزوات التى دارت بين أشراف مكة وبين آل سعود كانت ستا وخمسين غزوة، وان النزاع كان قائماً على قدم وساق بين الأشراف أنفسهم ، وان الحجاز صار فى النهاية معسكراً لحرب محمد على باشا مع الوهابية ، اذا فهمنا هذا ولاحظنا الملابسات والظروف التى تحيط دائماً بأمثال هذه الأهوال أدركنا انموت الحركة الادبية فى هذا العصر أمر محقق الوقوع وأسبابه قاهرة . والحقيقة التى يجب أن تسجل هى أن الأدب الحجازى فى هذا القرن مات تماماً ، ولكى ندرك مبلغ التدهور الأدبى الذى كان نتيجة هذه الأسباب نحيل القارئ الى كتاب الآداب العربية فى القرن

التاسع عشر . ويكفى أن صاحب هذا المؤلف بحث الآداب العربية بجميع أنواعها فى جميع أنحاء المعمورة ، وبحث أدب الأعلام الذين وجدوا فى هذا العصر بحث المستقصى الدارس ، فلم يذكر فى الحجاز الا أحمد بن زينى دحلان ، والمعروف عن الدحلان أنه كان عالماً دينياً يتأثر بسياسة الأشراف ويخدم أغراضهم ومطامعهم .

فى أواخر الدولة العثمانية

لم يمض الا القليل من القرن الرابع عشر حتى أعلن الدستور العثمانى وكانت فكرة انشاء امبراطورية تركية قد جد جدها وأخذ دعاتها يعملون ، فكانت خطتهم فى هذا البرنامج الجديد ادماج كل القوميات الاسلامية وتحويلها الى قومية تركية . وكانت القومية العربية احدى القوميات التى دخلت ذلك المعمل ، ومن هنا قوى أمر التتريك واشتد اضطهاد العثمانيين للعرب . وعلى أثر ذلك ظهرت فكرة انشاء امبراطورية عربية تضم أجزاء بلاد العرب ، وهذا التغيير الذى حدث فى البلاد العربية ، كان للحجاز نصيب منه ، الا ان الحجاز كان قد اصطبغ بالصبغة التركية أكثر من غيره من البلاد العربية ، فكانت اللغة تركية ، والزى تركيا ، ومع ذلك فقد اتجهت النفوس الى طلب حياة جديدة غير حياتها الأولى ، متأثرة بما تأثر

به العرب ، وقد كان رجالات العرب يسعون فى انشاء امبراطورية عربية قاعدة حكمها الشام ، ثم لم تلبث أن اتجهت الأفكار الى اتخاذ الحجاز قاعدة هذه الامبراطورية لعوامل سياسية ، فأثارهذا الاتجاه حماس الحجازيين وشعورهم ، ولكن ثمرة هذا الحماس والشعور لم تظهر الا بعد اعلان نهضة الحسين بكثير .

فى عصر الملك حسين

ان عصر الملك حسين كان عصر حياة جديدة للحجاز وأهل الحجاز ، فالاتجاه الذى حدث فى النفوس الحجازية بعد اعلان الدستور العثمانى ونهضة الحسين ، وما عقبهما من عوامل ، قدطبعا الحجاز بطابع النشاط ، وكان هذا النشاط بشير تطور لولا سياسة الضغط والاخماد التى اتبعها الملك حسين ضد التعليم والحياة . وبالرغم من ذلك ومما لقيه الشباب المتأدب فى هذا العصر ، من كم للأفواه وحجر على الحريات فقد كان لسعة العيش ، وتوفر الرخاء ونشاط حركة التعليم في المدارس الأهليه والأميرية الأثر الحسن في التكوين والتأسيس ، أى ان النهضة الفكرية الراهنة انما هى ثمرة الجهاد السياسى والتعليمى فى عصر الحسين .

فى العصر الحاضر

لم يستدبر الحجاز عصر الحسين ويستقبل العصر الحاضر ، الا

وكانت قلوب الشبيبة المتأدبة تتأجج ناراً يندلع لهيبها ويتأجج اوارها، فكانت أفكارها تظهر كلما سنحت لها الفرصة بذلك ، وأول ماظهرت فى كتاب أدب الحجاز ثم فى المعرض، وبصورة أوسع على صفحات صوت الحجاز فى بعض أدوارها .

ومما ساعد على انتعاش الحركة الادبية وتقدمها فى هذا العصر رفع بعض الحواجز التى كانت مفروضة فى العصر السابق ، وقد تدرجت الايام فى الحركة الادبية ـ شأن كل الامم ـ حتى وصلت الى الشكل الحاضر الذى يراه القارىء ماثلا فى هذا الكتاب . ولا نريد أن نعلق عليه بشىء تاركين الكلام عليه لواضع المقدمة الاستاذ الكبير محمد حسين هيكل ليوفى الموضوع حقه ، ونؤمل أن تتقدم الأيام بالادب الحجازى فيستعيد ما كان له من مقام ممتاز ، وليس ذلك على الله ثم على أولى الأمر ببعيد .

مكة : محمد سعيد عبد المقصود خوجه



احمد ابراهيم الغزاوى

احمد ابراهيم الغزاوي

ولد بمكة عام ١٣١٨ ﻫ وتلقى علومه بالمدارس الأهلية (الصولتية الخيرية . الفلاح) واشتغل بوظائف عدة فى عصر حكومة المرحوم الملك حسين ، فتولى الكتابة فى وزارة الأوقاف، ورئاسة ديوان قاضى القضاة ، وسكرتيراً لمجلس شورى الخلافة ، وحاز ثلاثة أوسمة من درجة النهضة والاستقلال ، كما أنه تقلب فى وظائف عدة فى عصر الحكومة الحاضرة فتولى رئاسة ديوان رئاسة القضاء ومعاوناً لمدير الطبع والنشر ، وسكرتيراً لمجلس الشورى ثم عضواً فيه . وحرر فى كل من جريدة أم القرى ومجلة الاصلاح . وصوت الحجاز بضع شهور . وفى عام ١٣٥١ حاز لقب شاعر جلالة الملك (عبدالعزيز آل سعود) المعظم .

هم الجيرة الادنون

نظمها بمناسبة الحلف العربى الذى تم بين المملكة العربية السعودية وشقيقتها اليمن عام ١٣٥٣ بعد أن وضعت الحرب أوزارها :

حمدنا السرى عقبى امتشاق البواتر ... وكدنا العدى بالصلح رغم العواثر
وأصبح مابين العروبة مسفراً ... من الحب والقربى ونور البصائر
تماسك منها كل جزء بأصله ... فأعظم بها مرهوبة فى المغافر
وأحر بيوم تم فيه ائتلافها ... ثناء الليالى والعصور الغوابر
فما الحرب اذ ذاقت مرارة كأسها ... بأشفى غليلا من سلام مؤازر
فكم دهمتها بالخطوب حوادث ... توالت وولت بالعديد المكاثر ؟؟
وكم فتكات من كلاها تمكنت ... بأيدى بنيها فى نيوب الكواسر ؟؟
وكم نزغات بددت شمل بأسها ... وقد كان طوداً فوق هام القياصر ؟؟
وكم غمزات روعت من هدوئها ... فكان بها استصباحها فى المصائر ؟؟
فما كظمت من غيظها أو تجاوزت ... عن الجهل الا رغبة فى التناصر
ولا ارتمضت احشاؤها من تعتب ... لمحض الهوى أو هينات البوادر
ولا اغتمدت أسيافها خشية الوغى ... فقد عرفت أيامها فى المجازر
ولكنها قد آثرت فضل (وَحدَة) ... تظللها فى قوة وتناصر
فما البحر اذ تطغى به الريح هائجاً ... بأهول منها فى اقتحام المخاطر

ولا الناس يوم الحشر عداً ورهبة   بأهيب منها فى القنا المتشاجر
ترامت الى الحرب الضروس كأنها   شآبيب نار من لظى متناثر
وحنت الى يوم كفى الله شره   هو الفصل فى عرف القوى المتواتر
فلم يزجر الأحلام طول أناتها   ولا الجامحات العزم عقبي التناحر
ولم تملك البيد الموامى سباعها   عديد الحصى من نخوة وتآمر
فراحوا يلبون الصريخ كأنهم   (مناطيد) جو أو صدور (بواخر)
تنادوا اليها فى الحديد وأطلقوا   عِتَاق المذاكي في حرار الهواجر
فلما أظل الشر واستحكم الهوى   وحاكت نسيج البغض أيدى الغوادر
واطبقت الآفاق وارتوت الظبا   وصاح نذير الويل فوق المنابر
أفأنا الى صلح تمهد بعدما   أفاء بنو أعمامنا للاواصر
وتلك المنى لولا المنايا تقدمت   فأنعم بهم من كل باد وحاضر
هم الجيرة الأدنون واللحمة التى   لها الحسب الوضاح عرف الأزاهر
وهم دمنا الغالى وأعصاب مجدنا   واعضادنا في كل ماض وحاضر
وهم مايَوَدّ البر بين بنى أب   كما نحن فيهم قرة للنواظر
فقل لذوى الأحقاد هذا نتاجكم   فهل كان الاغصة فى الحناجر ؟
سعيتم فأخفقتم وبؤتم بأثمكم   وبؤنا بحلف كامتزاج العناصر

* * *

أهنيك ياصقر الجزيرة موجزاً   بتوفيق من أولاك حسنَ المصادر

أهنيك بالسلم الذى أنت شدته ... على أسس التقوى وطهر السرائر
أهنيك لا انى أوفيك انما ... أمحضك الاخلاص من قلب شاكر
فأنت بحول الله أحييت أمة ... تقنصها الاعداء من كل ماكر
وأنت الذى أعلى بك الله صرحها ... وأرشدها للعرف بعد التناكر
فأما بنوك الصيد فالدهر شاهدى ... لديك بما قد خلدوا من مفاخر
أصاب (ولى العهد) أبعد غاية ... تسامت فأعيت بالثنا كل شاكر
و(فيصل) لن ألقى البيان مساعدى ... على نعته قد جاز مجرى الخواطر
وهل كان الا مارجونا (محمد) ... و (خالد) والابطال أسد المغاور
ولست مطيعاً فى القوافى عواطفى ... اذن لاصم الارض صوتُ مشاعرى
ولكننى والجو أصبح صافياً ... اكف وأستكفى الى خير عاذر
وأسال من أضفى علينا نعيمه ... (بتاجك) أن تحيا عظيم المآثر
ويحيا (ولى العهد والنائب) الذى ... تملك منا كل قلب وناظر
ولولا ائتمارى بالشمال لصغتها ... لآلئ تزرى بالنجوم الزواهر
وحسبى ما أبداه قومى فانه ... هو السر والنجوى ومافى الضمائر

وهذا ولى العهد يسمو له الوفد

نظمها بمناسبة سفر وفد البيعة الى الرياض فى عام ١٣٥٢ لمبايعة سمو ولى العهد الأمير سعود المعظم .

أجل هذه نجد فهل شاقك الرند ... وهبت صباها فاستقر بك الوجد
بلاد أباة الضيم هـذى رياضها ... وهذا ولى العهد يسمو له الوفد
وثمة من حور الأمانى وعينها ... مباهج لا يدنو الى حصرها العد
أطلَّت فما الطل المرقرق فى الضحى ... يحاكى صفاها فى الغصون اذا تبدو
ولا الزهر فى أكمامه متفتقا ... كمثل الرجاء الغض يبعثه الود
فكم حدثتنى عن هواها وطيبه ... خرائد رقت فاسترقت بها الأسد
وكم قاصرات الطرف فى جنباتها ... اراشت سهام اللحظ اذ ذأبها العمد
وكم ساجعات الأيك فى عذباتها ... أثارت شجونى فهى فى اثرها تشدو
وكم فى رباها من كماة أشاوس ... تصول بهم بيض وتعدو بهم جرد
ألا انما يهفو اليها أخو جوى ... يهيم بها منذ استقل به المهد
وما ولهتنى فى هواها ظباؤها ... ولا الخفرات البيض والفاحم الجعد
ولـكننى قد همت فيها لأنها ... مباءة شرع الله والـكوكب الفرد
تمثلت فيها عزة الدين والتقى ... وما فرض القرآن أو أبرم المجد
فأنشدت والايمان ملء جوانحى ... مغلغلة ما ان يضل لها قصد
قدمنا فأفضينا الى متطول ... مطالعه نور وأعماله رشد

وناهيك من عبد العزيز (سعوده) فذاك لنا فخر وهذا لنا سعد
أتيناك من قلب الحجاز ببيعة توطد فيها الأمر واستحكم العهد
تكاد اذا ما استنطقت عن سطورها تجاوب بالاخلاص لو أمكن الرد
وقد حملتنا أمة فى ربوعه أمانتها الكبرى وفى طيها حشد
ولولا عظيم الشعب لم يرض سيره جميعا لناداك البكور اذا يعد
نعم ان هذا الحب يغمر قلبه وفى الحق ان الحب معنى هو الحمد
وهل فى نِزار أو مَعد بأسرها كمن هو فى أجسامها الروح والكبد
تخيره الرحمن فيها متوجاً وآفاقها بالجور تشكو وتربد
فانقذها من دائها بدوائه فزال وشيكا واستطاع لها الجد
فذلك فضل الله يؤتيه من يشا فسبحانه القدوس ليس له ند
وشتان من يبغى الحياة للذة ومن همه فيها تجاذبه الخلد
عقيدة من لو شاء قبّل ردنه أفانين يستهوى العقول بها الكيد
تورع عنها بالاله فصانه وصيره فوق العروش هو الطود
فلا بدع أن تفديه كل نفوسنا وان جاءه التوفيق والحل والعقد
أمولاى فاقبل بيعة من خيارنا فأنت لها المأمول والبطل الورد
وأنت سعود للجزيرة طالع وذلك اسم قد تسامى به الجد
نهنيكمو بالأمر أنتم بُناته وكل بنى عدنان من حولكم جند
فعاش الامام العدل ثم وليه وفيصلنا المحبوب إذ ينظم العقد

ويحيا الذي أضحي لعينك قرة — تنير سماء العرب ما أنجبت نجد
ويحيا بنو عبد العزيز كواكبا — ربيب المعالى بين أعطافها فهد
وعاش الطوال الشم من آل مقرن — واحفادهم مهما تمادى بنا العد
وصل إلهى ماتألق بارق — على المصطفى المختار أو جلجل الرعد

أم هو الفيصل ألقى ضوءه ؟

نظمها بمناسبة تشريف سمو الأمير فيصل المحبوب من رحلته الى أوربا عام ١٣٥١ هـ

بدر تم يتجلى أم فلق — أم شعور فاض فاستهوى الحدق ؟!
أم هو الفيصل ألقى ضوءه — يغمر الشعب ؛ ويستبقى الرمق ؟!
ولقد كنت من البين على — مثل حر الجمر من فرط القلق
مثلت لى لجج صخَّابة ـ — تمتطيها ، وجواء ، ونتق
فعرانى السهد من وجد ومن — سُجُفِ الليل وياقوت الشفق
وأمد النفس فى وسواسها — أنكَ لاترهب (الا من خلق)
وتوكلت على الله الذى — يكلأ الناصح أيان اتفق
فتجولت على « سبَّاحة » — تسبق السهم إذا السهم مرق
جررت أذيالها عابثة — بزئير اليم فى جنح الغسق
لم أشاهد زهوها لكنه — بك لاشَك جميل متسق

نهجت خطتها حتى إذا ... حاذت الشاطئ حيتك «الفرق»

***

ودوى «البرق» وعجت «صحف» ... « بسجايا » لم يدنسها ملق
كصفاء « الطل » فى رأد الضحى ... أو فرند (السيف) أو صدق (الألق)
أبصروا فيك « مناراً عالياً » ... من هداة «الشرق موفور الحذق»
باسماً طلقاً رهيباً داهياً ... واسع الجولة فيما يطرق
يتجلى النور من طلعته ... واذا أعرب بالفصل نطق
يلقط الحكمة من حادثه ... فى هدوء ليس يعروه خرق
واذا أصغى فكيسا وحجى ... جل من وقاك أعراض الحمق
وتراه رغم أهواء « الصبا » ... طاهر المئزر عف المستبق
نزهته شيم موروثة ... عن « أبيه » وخلاق قد عَبَق
وهواه ـ « دولة » ـ مائسة ... « وحسام » لاقوام ممتشق
لا كمن يهوى به عن شطط ... من غواة الشرق فى الغرب النزق

***

« أيها القادم » من أقصى الورى ... قد ملأت اليوم بالبشر العلق
قد شهدت « الشيخ » فى حبوته ... و « الفتى الناشئ » بالحب فهق
وسواء فى هوى « فيصلنا » ... من أكن الشوق أو أبدى الحرق
محضوك (الود) صفواً بالذى ... لك فيهم من أيادٍ لا تعق

وبحلم وصـــلاح وتــقى وبعـدل وسماح مرتفق
وبنجوى « كلها خـير لنا » وبفضل من « أبيكم » قد غدق
فاذا ماقلت « شعبي مخلص » «لمليكى» قالت الدنيا : (صدق)
ولعمرى لانبالى بعـدما يخلص «الشعب» بمنعى من نعق
أى أمن نرتجيه و « منى » و « نعيم » فوق مافينا بسق
فقئت عـين « فريق مائق » غرزته نقمة الجهل فشق
انهم - مابين شذاذ جنوا - وشرود وحقود وسرق
ونفـايات دنت آجالهـا كفراش الضوء بالضوء احترق
بئسما أوحى لهم شيطانهم من«حديث» و«ضلال» مختلق
خسروا«الدنيا»وخانوا«دينهم» وغدوا صرعى ترات وحنق
قدر الله على « الباغى » اذا سجلته صحف « الحق » سبق
وسيوف الله فى أيدى «الأولى» جاهدوا فى الله تردى من أبق
لن يهابوا الموت ان سوق الوغى أرخص الأنفس فيها « ذو ذلق »
أيقنوا بالوعـد فارتاضوا به عكس من تضنيه أشباح الفرق
ويل من يخزيه جبـار السما ويل من يغشاه جـبن ورهق
يا أميرى هـذه « أم القرى » لك تشكو قسوة البعد الأشق
رقرقت عبرتها فانحـدرت يوم أن غادرتها خـدن الأرق
وثناها « الرشد » فانصاعت له تطلب « المجد » بمسعاك الأحق

وهبتك «الروح» من أعشارها . وهى أقصى مايهادى المعتلق
وانبرت تحسب لحظات النوى كلما ودعها القلب خفق
وهى بالنجوى وان لم تنتقل عبرت بالمانش أجواز الأفق
ومضت ترعاك حتى وطئت قدماك «السيف» حول «المنتفق»
فاذا الشمس كما نعهدها قبل يوم « النأى » والنور انبثق
واذا (الروض) ندى يانع و(هزار الصبح) فوق الغصن رق
واذا أنت علينا طالع **كالسحاب الجون و (الغيث) انطلق**
واذا نحن وما من غاية نرتجيها غير (نصر) مستحق

* * *

فاحفظ اللهم من دامت به نعمة الاسلام والدين أئتلق
(صاحب التاجين) مرفوع اللوا فى ثغور البحر أو فوق البُرَق
وبنيه وبنى أحفاده ما أضاء النجم والموج اصطفق

فى وادى لية *

بأبى من رأيتها فاسترابت نظرتى نحوها، فقالت : علامك؟
قلت صب أصيب بالعين قالت روع الله من على الحب لامك !

(*) لية واد جميل يقصده المصطافون من الطائف وهو مشهور برقة هوائه وعذوبة مائه .

أنت من ليـة بدارة عوف حيث فرط العفاف يذكى غرامك
إن فيها من الظباء لحوراً يتناجين فى المروج مرامك
فاغضض الطرف ان علقت وخالس نظرة الحب واستَذِمَّ أثامك
لاتغرنك بسـمة من كعاب فتؤاتى على اغترار حمامك

محاكمة الوجدان

أو نبضات القلب

كانت اللجنة التى عهد اليها درس هذا الكتاب تنظر فى مايقدم اليها بتدقيق وتمحيص . وجاء دور الغزاوى فنظم على أثر معاينة اللجنة لآثاره هذه القصيدة :

وعصبة كسيوف الهند مشرعة ... جنح الظلام أحاطت بى على غرر
تضافرت فى انتقادى غير راحمة ... شعرى ونثرى وما استحسنت من غرر
رأيت نفسى فيما بينهم (نُغَرا) ... تلوى البزاة به فى غير ماحذر
قد نَخَّلوا كل ماقدمت من (عُجَر) ... وغربلوا كل ما استحقبت من (بجرى)
وأوسعونى لوماً فى مخاشنة ... زجر (الأبوة) للأبناء فى الصغر
قالوا تَخَلَّ عن الدعوى فما برحت ... عنوان جهل (وليس الخبر كالخبر)
فقلت: مهلا فقد غودرت من خجل ... كجالب التمر (من بصرى) الى (هجر)
وأنتمو معشر ما لى بكم قبل ... مثقفون مساليط ذوو بصر
وكدت من البهم لولا مصانعتى ... أفر خوفاً ولولا عوذة القدر
وراح يهمس فى سمعى وفى خلدى ... صوت شغلت به عن كل مؤتمر
لسمعة (الأدب الممتاز) عالية ... أولى بقومك من منتوجك الأثر
(فاصبر لها غير محتال ولا ضجر) ... فانما هى للتاريخ والأثر
وان جزعت فقم واقبع فلست ترى ... الا مجاهرة ـ بالحق ـ فازدجر

فقلت ـ مرحى ـ وقد أذعنت فاحتكموا فالآن آمنت انى غير مندثر
فشرحونى وماحابوا وقد نصحوا وجرعة السم قد تنجى من الخطر
ومافررت ولم أجبن ولست كما يهوي (الدعيُّ) ولا أخلو من العثر
وانما أنا فرد من بنى وطنى أقفوا مساعيهم فى الورد والصدر
سجية مالها فى الدهر من حِوَل وشيمة مالها فى الطبع من غِيَر
وكل من ظن أن (الفكر) محتكر فانما هو أعشى القلب والنظر

هذا هو الشرق

نظمها بمناسبة كلمة المستر (كبلنغ) شاعر الانكليز : (الغرب غرب والشرق شرق ولن يجتمعا) التى تناقلها الكتاب وأصبحت مضرباً للأمثال :

لا الشرق شرق اذا ماثارت الهمم كلا ولا الغرب غرب يوم يصطدم
لكنها (سنن التكوين) ثابتة على العصور فلم تحفظ لها ذمم
أجل تقهقر هذا الشرق فانغمزت قناته بعد أن صالت بها الأمم
واندك (مجد بنيه) منذ أن غفلوا عن (الحياة) وزلت منهم القدم
تقاصروا عن طلاب (المجد) فى زمن أولى بهم فيه أن يجرى لهم نسم
وخالفوا فطرة (الخلاق) وافترقوا فسامهم كل خسف من رقى بهم
فشت بهم من (خرافات) الاولى نقموا عليهم الجد أوهام هى الوهم

واسترسلوا في غطيط النوم فاندحروا   منذ استوى فيهم الاحياء والرمم
حادت عن (المثل العليا) جماهرهم   حتى تشكى الونام من صدها السأم
تسمم (الشرق) بالأدواء فاتكة   بجسمه واعتراه الجهل والعدم
ما كان أخلقه والقاطنين به   ان لاتحل بهم من ربهم نقم
تدثروا (الخز) لا أيديهمو نسجت   وحاولوا (العز) لا سيف ولا قلم!
بينا نرى (الغرب قد جاشت مصانعه)   **واكتظ بالقوم ضمت شملهم نظم**
ترشف (العلم) أحقاباً مسلسلة   يد صناع وفكر ناضج وفم!
قد زاحم الطير في أجوائها سُنحاً   فلا البزاة تُعنيه - ولا الرخم!
تعلو (المناطيد) بالركاب حاملة   (متن السحاب) وتدنو حيث ترتسم
ما هالها (الموج) في الآذي مصطخباً   ولا التدهور في المهوى ولا العصم
وفي البحار أساطيل لها زبد   يعبّس اليم منها وهي تبتسم
وفي (الجبال) من الأنفاق زمجرة   اذا (القطار) تولى وهو يضطرم
يخاطب الغرب أقصى الشرق في سعة   بنصف ثانية هذا هو الحلم
ياشرق أين عهود فيك زاهرة   (الصين) جادبها و(الهند) والهرم
أين المفاخر في مغناك شيدها   أبناؤك (العرب الأمجاد) والعجم!
ماذا استضامك بعد التيه فانقلبت   بك الدهور وأبلى مجدك القدم؟
ألم تكن مصدر الأنوار مشرقها   (شمس) و(علم) وأخلاق لها دعم؟
هل خانك الجد حتى بت ذا غصص   أو غالك الجدأو غاضت بك الأكم

فيك الحضارات قد شابت ذوائبها وفى ذراك استقام العدل والكرم
وقد خلعت على الأكوان بردتها أيام تنهكها الغارات والظلم
فكيف يمت شطر الجهل معتسفا ضنك الخطوب وأين العلم والعَلَم؟
وكيف أصبحت فى (ضيم) وفى (ضعة) ترعي الوبال وفي أشداقك اللجم ؟
ألم تكن صاحب التثقيف فى أمم ظلت بسعيك فى الآفاق تحتكم
لم ترع فيك عهود الفضل واستبقت اليك (تحصد) ماشاءت وتقتسم
ولا تذكر للشرق المديل يداً وانما هو (اهراء) ومغتنم

* * *

يا (شرق) حسبك مالاقيت من عنت أفق فانك بعد اليوم مقتحم
شمر ذيولك و(انهض) لاتكن خولا ولا يصدك عن درك العلاجم
وواصل السعى فى (التعليم) مقتبساً خير الفنون وإلا مضك الألم
واختر لأهليك ما ترجى منافعه فأنت (بالدين) و (التمدين) تحترم
وقل (لكبلنغ) اما جاء معتذراً هذا هو الشرق لا ما قلت أو زعموا
وارهف عزائم من أبنائك اتكأوا على الأرائك يعلو فوقها القتم
واشدد أواخيهم واسلك بهم جدداً فثم يرويك فيها البارد الشبم
واجلب بخيلك وارعد كلما نجمت قرون شر طواها سيلك العرم

يامصر ما أولى بنيك بقومهم

نظمت بمناسبة اعلان اقامة موسم الشعر فى مصر ولم تنشر اذذاك:

أزف اللقاء وحان منك الموسم فإلام تضّغن الشعور وتوجم ؟
وإلام يحفزك (النداء) كأنه زفرات هذا الشرق حين يدمدم؟
أو لم تحس بما استحث (شعوبه) وقلوبه الحرّى ، وماهى تعزم ؟
أولم يهجك صراخه ، ونهوضه **وحنــوه ، وعتــوه المتجسم**
أو لم ترعك الحادثات بهولها والنازيات من الأمانى الحوَّم
فاصدح بشجوك واملى صوتك عالياً (فالنيل) يصغى و(الفرات) يترجم

* * *

هيهات لست بكل مااضطربت به نجوى الجوانح فى (الجزيرة) الهم
هى نفثة لولا التقى لبعثتها قلباً يمور بمــا يضيق به الفم

* * *

فاذا بكيت فمــا بكيت لأننى غمر بأطياف الصبابة يحلم
أو مدنف لعبت به أيدى الصِّبا وحمته عن قطف المورّد كُلثُمُ
ولئن شكوت وما استطعت تجلداً وتنابغت دون الليالى الجثم
ولئن نزعت الى التوله والضنا وسكبت دمعاً من معانيه الدم
فلأن شعبي للعلا متحفز **وأمامه العثرات عمــداً تؤكم**
أشجته بل شجته داعية الهوى هل للهوى الا التفرق سلم

ما كان من أركانه متداعياً فبما جناه الجهل فهو المجرم
أو بات من أخلاقه مسترخياً فبنوة الأحداث اذ هى تصدم
أو عاد بعد طموحه وفتوحه عن مجده الوضاح لايتبسم
فله من الأسباب الف تعلة ما ان يحيط بها البيان المسجم
وله اذا انفتل الحكيم لدرسه علل تكاد من الخفا تستبهم
هى فى الحقيقة نغلة فوارة كانت مدى الأجيال فينا تضرم
حتى اذا طمس الصباح ظلامها وغدا (الكتاب) هو المنار المحكم
وتألفت أشتاتنا وتقاربت أبعادنا واستعرب المستعجم
عبثت بنا خلف الستار مضلة نعرات سوء بالشقاق تحدم
رانت على من لم ترنح عطفه ذكرى (النبوة) و(الحطيم) و(زمزم)

* * *

هل كان للغرب المصوِّت نأمة أيام كان الشرق لايستسلم ؟
أو كان (للغرب) المدل بعامه بصر بما أمسى به يتنعم ؟
أو كان (للغرب) المدلل نهضة لولا جدود المسلمين العقم ؟
فمن (الحجاز) الى (طليطلة) الى (مجرى اللوار) تثاقفته الأنجم !
وتهافتت للعلم اذ شغفت به تلك السلائل و(الفرنج) الهوم !
فتلقنوا منا الصحيح وللأسى عاذوا به وعدى علينا المقحم !

* * *

لم يكف ما اجترحته ناعية البلى عبر البحار وما رعاه الضيغم !

لم يكف ماانتقصته من أطرافنا		أيدى النكاية والشقاق المظلم !
لم يكف هذا الطوق اذ هو حيّة		تسعى فتلقف كل مايستهضم !
لم يكف تعداء النوازل فانتحى		للكيد فينا العابث المتكتم !
نجنى على الاسلام لاهو منتهٍ		عما يبث ولا النحائز تسلم !
وكأنه اذ لم تفته جناية		(ابليس) يركض مذغوى ويهمهم

***

يا(مصر) أنت وقدأبت منارة		للمهتدين وسعيك المترسم !
يا (مصر) ماأولى بنيك بقومهم		فعلام يوغرك الخلاف المبهم ؟
يا(مصر) قدأغضيت عمن ليلهم		فيك السهاد ، وفى جمالك تُيِّموا
يا(مصر) عاجلت الصديق وداده		بالصد وهو المستبين الأدوم !
يا (مصر) ياأم الحضارة والنهى		مهلا لحبك فى الجوانح مدعم !
يامطلع الفن الجميل ومهبط الشـــعر النبيل اذ الحيـاة المطعم
يامطمح الأمل العتيد وعزة الـــماضى المجيد وما أظل ويقدم
ياربة (الأهرام) والمجد الذى		مازال فى أمم البسيطة يكرم
يابنت عمرو فى مهاد حجوره		وربيبة الفاروق جـل المنعم
أدعوك للحسنى الى الخير الذى		هو بالتواصل والتعاضد مغنم

***

ردى على تحيتى فلأمتى		قلب عليك مع العتاب مقسم

***

لا كان من أغراك فهو مخادع العرب قومك والتناصر أسلم
فاذا سررت فذاك قرة عينهم واذا ارتمضت ـ ولا ارتمضت ـ تجشموا
مدى يديك لأمة ماشاقها الا لديك وفى رباها (الموسم)
مانحن الا الشعب قد نهضت به روح الحياة وبالهدى يستعصم
ولو ان اثباج البحار وحولها قمم الجبال وما يهول ويعظم
وقفت لتمنعنا الحياة عزيزة فى الكائنات وقد تألَّى المقسم
لغدت كيوم الحشر عهناً أو صَدًى يجتازه الشعب الجرىء المسلم
فاذا تنادى المؤمنون بدينهم فالخير ثمة ، والظهور الأقوم
والسعى توجيه الشريعة مخلصاً والغيب سر ، والمهيمن أعلم
والجسم (بالاسلام) يغدو واحداً والكف لا يغنيك عنها المعصم

منازه الطائف

الا حبذا أيامنا حول (قروة) اذ الناس فى حظ من البشر دائب
واذ نحن لا نألو الشباب حقوقه ونمرح فى نعمى الأمانى الجواذب
وتهفو بنا النسمات حين هبوبها الى فرص اللذات تحت الكواكب
(بوج) وفى وادى (العقيق) ودونه وفى (لية) أو بين (قرن) النجائب
وفى (الوهط) المخضر أو فى (وهيطه) وفوق (الشفا) أو فى أديم السحائب
على (الفرع) اذ يبدو المسمى كاسمه على القنن الشماء أمعن ذاهب

ولاأنس(بالمثنات)ليلات أنسنا وبين (الهدى) أوفى جوار (الـكباكب)
ولا (الجال) اذ نجلو كؤوس صفائه كأن بها ما بالثنايا العواذب
ولا فى (شهار) و (المليساء) ضحوة لهونا بها عن طارقات النوائب
لقد كنت وايم الله أحسب أننى من الانس فى أحدى الجنان السوائب
زمان تقضى بين أكرم رفقة وأنعم عيش فى بلوغ مآرب
فهل عائد فيها الذى كان قد مضى ويسعدنى فيها المدى بالحبائب

القلب الشارد

أجشم قلبى أن يسر وربما عييت من المكروه أن أتألما
وكيف سرورى والحياة كما أرى تجور وتحكى فى العذاب جهنما ؟
اذا شئت أبكى من صروف بلائها تقحمت هولا فى الفؤاد مجمجماً
فمن أين لى بشر وسوداء مهجتى تكاد من الآلام أن تتضرما ؟
وما خلتنى الا كخابط عشوة تصادمه الأحداث أين تيمما
ويارب شاد بالجوانح عابث أعاد وأبدى فى الهوى وترنما !
أبحت له سمعى وقلبى شارد كما شاءت البلواء أن يتقسما !
تحايل أن يشجى القلوب بصوته فأخفق اذ كانت خواء محطما !

المجد

ماالمجد لهو وتخريف وشنشنة ولا ادعاء وتفريط وإذعان
المجد سيف وإقدام وتضحية والمجد عدل وإصلاح وعمران
المجد دين وتوحيد على سنن مضى عليه الألى بالفتح قد بانوا
كانوا ولاشيء من غل ومن حسد عوناً على الحق مهما لاح طغيان

شجو الحمائم

حمائم الأيك ان أبكاك ذو شجن أصفيته الحبَّ إسراراً وإعلانا
وبت فيه على ذكرى وموجدة تذرين دمعك أسجاعا وألحانا
وظل دأبك فى الأسحار أغنية يخالها السمع بالتوقيع (عيدانا)
فما بنفسى مما تشتكى حرق ولا تعشقت آراما وغزلانا
لكن سكبت دمى دمعاً على وطنى قد كان فى المجد والتاريخ ما كانا
أرسى قواعده الأبطالُ من مضر فراح ينشد فوق النجم أكفانا
وساد بالدين والدنيا وسائله وطبق الأرض ايماناً وعرفانا
فكان فى (الشرق) يكسو الشمس حلتها وكان فى (الغرب) يزجى النور فرقانا
ثم استباحت يد التفريق بيضته واستبدل الذل بعد العز خذلانا
لولا الذى اتخذ المختار قدوته وخول العرب بالتوحيد سلطانا

* * *

فانأرقتوان غنّيت من شجن — فللذى أنا أبغى رجعه الآنا
مجداً ، وعلماً ، وآمالا مشيعة — و (وحدة) وأفانيناً وعمرانا
فهل علمت ولا تألين موعظة — من ذا الذى هو بالترجيع أشجانا
وان جهلت فحسبي كل ذى طرب — أصغى فردد ماأمليت جذلانا
وأنت ان شئت أن لا تنصتى فدعى — عنك النواح ، فان الشجو أعيانا

أعباء الحياة

خمدت جذوة الشباب وأمسى — ماأعانيه من زمانى ثقيلا
وتثقفت بالتجاريب حتى — راودتنى الحياة أن أستقيلا
لم أجد فى الوجود الا جدالا — ورأيت الضعيف فيه ذليلا
وتخيرت أن أكون عظيما — وكريماً ومثريا ونبيلا
فتقدمت بالوسائل أبغى — فى ربى المجد والعلاء مقيلا
فاذا الدرب كله عقبات — واذا بى أرى الجناب محيلا
واذا الناس كلهم أهل غى — يكرعون الحياة كأساً وبيلا
فتراجعت زاهداً وبقلبي — رجفة البعث حائراً مذهولا
انما هذه الحياة بلاء — فدع اللهو واتخذها سبيلا
وادخر للمعاد خيراً وبرا — وصلاحا وعفة وجميلا



احمد سباعی

احمد سباعي

ولد بمكة عام ١٣٢٣ هـ . وتلقى علومه بها فى المدرسة الراقية . وفى احدى سفراته الى مصر التحق بمدرسة (الأقباط العليا) بالاسكندرية وظل بها عامين . ثم عاد الى مكة والتحق بالمعارف أستاذا بالمدرسة التحضيرية ثم الابتدائية . واشتغل فى تحرير صوت الحجاز مدة ثم اسندت اليه ادارة أعمالها عام ١٣٥٤ بعد أن نقل امتياز الجريدة للشركة العربية للطبع والنشر .

حاجتنا الى تعليم البنات

شيء يقره المنطق !

الطفل الذى ننكر عليه أنانيته ونحارب شعوره باستقلاله فيعيش كئيبا مقبوض النفس !

والطفل الذى نترك لميوله الحرية بلاقيد ولاضبط فينشأ شهوانيا عتيدا لا يكبح جماحه ولا يلوى عنانه .

والطفل الذى نسحق ارادته ، ونقسر عواطفه فنربى فيه الخوف والجبن والايمان بالأوهام .

والطفل الذى نفرط فى تدليله والحنان عليه فلانعلمه طاعة والديه ولا نخلق فيه الثقة بهما وشعوره بالحاجة الى كل مافى معناهما فنتركه يكبر الا فى عقله يدلل نفسه عندما يصبح رجلا فلا يضطلع بمسؤولية ولا يخوض مع لداته غمار الحياة ولا يعتبر نفسه مطالباً بقواعد الناس وما يربطه بهم .

هذا الطفل ، وذاك ، وأولئكم مجنى عليهم فى نظر الدين والانسانية والعرف من جانب واحد هو جهل الأم !

. . .

الأم الجاهلة التى تكبت غرائز الطفل وتضغط على ميوله فتصوغ منه رجلا لا يمت الى الرجولة بشيء .

والأم الجاهلة التى لاتقدرأن تسوس أخلاق طفلهاو تقيد أهواءه الشاذة بضوابط تقرها التربية الحكيمة فتنشئ منه شريراً مجرماً.

والأم التى تنتزع من طفلها ارادته ، وتخلق منه عبداً مستضعفاً ذليلا.

ثم الأم التى تفرط فى العطف على طفلها و تغذى روحه بمعانى الأنوثة.

هؤلاء الأمهات يقـدمن الى المجتمع رجالا يشقى بهم ، فهن جانيات ، وجناياتهن هـذه تقع مسؤولية أكبر قسط منها على من أهمل أمرهن وأنشأهن غبيات جاهلات !

. . .

إن الصعود بمستوى أمتنا الى مصاف معاصريها من أرقى الأمم شيء لا يتأتى عفوا ولا يقوم الا على أكتاف رجال صالحين للحياة ، وهؤلاء بدورهم لا ينبتون مع حشائش الشواطئ، ولا يتحدرون مع قطر الندى، انما هم يبذرون وتباشر الأيدى - أيدى الأمهات - طرق نموهم على قواعد علمية وأساليب حكيمة تضمن ثمرات طيبة ونتائج صالحة مفيدة !

وما الطرق العلمية الحكيمة لمباشرة النمو الاشيء جلل يستدعى دراية واسعة وحنكة ودربة ، وتلك أمور لاتستقيم مع الجهل، الجهل المريع الذى يكتنف الأم عندنا !

اذن فما بالنا نغضى عن اعداد الأمهات وتعليمهن على الأقل مايلائم وظائفهن كمربيات وأمهات وربات أسر .

ويتطاول بعضنا فينادى بالثبور ، ويصم أنصار الفكرة بوصمة التفرنج والخروج على الدين، وينسى ان من مبادئ دينه فرضية طلب العلم على المسلم والمسلمة ، ثم يتناسى تلك الصفحات من التاريخ المفعمة بأخبار أقطاب السيدات العربيات المسلمات المتعلمات وأثرهن البعيد فى حضارة الاسلام وثقافته وعرفانه !

ويشدد النكير قوم يخافون من وراء تعليم البنت رفع صوتها كما لو كانوا يجهلون أخواتها فى صدر الاسلام، أولئك اللاتى كن يخضن الصفوف ويتخللن الرجال فى حومات الوغى فيستثرن حماسهم ، وبنات أبيهم أولئك اللاتى كن تضرب اليهن أكبادالابل للاغتراف من مناهل علمهن ومنابع فضلهن !

وتهلع قلوب فريق عند ماتحدثه عن مدارس البنات . كأن بدعا من الأمر أن يكون للبنات مدارس ، وما مدارس البنات سوى كتاتيب (الفقيهات) القائمة اليوم بيننا مع تعديل فى طرقها الملتوية وأساليبها العقيمة وقواعدها الضاربة فى الفوضى الى أبعد حد، وسن مناهج لها جديدة تدرج بالعقل فتربيه تربية صحيحة وتعده لتفهم مبادئ الدين على حقائقها ومحاربة الخرافات والخزعبلات التى

يتوارثها البنات عادة فى بيوتهن من العجائز مخلفات القرون المواضى، ومن ثم تهيئهن للحياة العائلية وتعدهن لسياسة البيت وتخصصهن فى أصول التربية القائمة على أسس من المنطق والعقل.

هى ذى حاجتنا التى تهيب بنا لتعليم البنت، وهى كما يراها العادل، حاجة ماسة لاغنى لبلادنا عنها اذا كنا نريد لها رجالا نافعين وقوادا عاملين ! !

« هات رفشك [1] »

ياصاحبي هات رفشك واتبعنى !
هاته وقم فى أثرى ولا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه أمراً !

. . .

ألست من غرارى أنت تعتلج فى صدرك الآمال ؟؟!
ألست من أضرابى تختمر فى رأسك الأفكار ؟؟!
ألست شاباً مثلى تتمتع بدم قوى يجرى فى عروقك ؟؟!
ألست نشيطاً تستطيع أن تترك فى الحياة أثراً ؟؟!

قل إى . . واذن أى أثر تركته فى حياتك ؟ وأى أمل مما يعتلج فى صدرك، أو فكرة مما يختمر فى رأسك حققت ؟ أو أى خدمة أداها دمك القوي لبلادك ؟؟!

(١) الرفش أداة لجرف التراب أو حفر الأرض

أتمتعض ثانى عطفك ؟ هون عليك، ان أريدك الا صريحا ، فقل:

هل أنت تستحق الحياة ؟

لاوربك ، واذن أنت مثلى وأنا مثلك فاتبعنى ! اتبعنى ورفشك !

اتبعنى الى حيث ترقد الجثث الهامدة . هناك نوارى جسمينا بين الحجون وكَدَا (١) !

فهات رفشك !

هاته ياصاحبى !

هاته واتبعنى !

أتتلكأ ! ولم ياصاحبى ؟

ألأنك تحب الحياة ؟!

إن للحياة رجالها، فى كل يوم لهم أثر جديد فيها ! لأنهم ملكوا فجاج الأرض،وذللوا متن البحار،وسيطروا على الهواء، وراودوا الجبال فى كنوزها فأسلمتهم مفاتيحها ، والحديد فعكفوا على تسخيره فى مختلف شؤونهم !

وأنت ماذا فعلت ؟ أوجمت ؟ !

لاياصاحبى ، كن شجاعا ولو مرة واحدة وتعال فاعترف معى بتقصيرك ، وهلم بعد الى رفشك وامش معى !

---

(١) الحجون ، كدا موضعان مشهوران بمكة

هناك فى ظل كَدا نهدأ بين ركام أمسى رفاة سحيقا وصعيداً

جرزا ! فهات رفشك !

هاته ياصاحبي ، هاته واتبعنى !

لا ؛ لا تصعّد زفرة فما أغنت الزفرات يوما . هاك التاريخ فاستنطقه هل بلغ شعب بزفراته يوما فى الحياة شوطا ؟!

ألا انها الحياة جهاد تتزاحم فيه المناكب والأقدام فلا تذهب نفسك حسرات على عيش لاتنعم فيه بهذا الزحام .

يا صاحبي بالأمس قرأت اسمى الى جانب اسمك فى سجل الصدقات ، فما هانت نفسى هونها على يومئذ ، ولا صغرتَ عندى استصغارك آن اذ ذاك

أرجل أنا وأنت ؟ اذن أين هى مميزات الرجولة وأنفتها واباؤها؟

الحق - والحق أقول لك - انى واياك لانستحق الحياة ، فهلم

هلم برفشك واتبعنى !

اتبعنى وتعال نحتفر لأنفسنا هناك فى حضن الأبد مأوى نهائيا . . . . !

« حذار أن تكون ضعيفاً » ! !

مارأيت كالقوة منعة تحصن جانب المرء وتعزز مكانته وتحفظ

عليه كرامته . وانه يخيل الى أن البسيطة بأهلها ، وأهلها بقواعدهم اصطلحوا على احتقار الضعيف، وأطبقوا على الاستهانة به والسخرية منه ، فحذار ياصاحبي ، حذار أن تكون ضعيفاً .

شهدت ضعيفاً يدلج فى أحد الشوارع وعاصفة من الصفير تدوى فى اذنه، وكوكبة من الأطفال تعبث به، فقلت هو الضعيف ويله من الصغار والجهلاء !

وشهدت آخر تكالب جمع غفير على ايذائه . هذا يصفعه . وذاك يمتطى ظهره . وغيره يدفعه ليغريه بالرقص واللعب، وكانت زفرات المسكين تتصاعد فتتلاشى فى ضحك الضاحكين وقهقهة الصاخبين، فقلت : هو الضعيف ويله من غوغاء الشوارع وأوباشها .

وضمنى مجلس بنفر من الناشئين اجتمعوا على ضعيف فجعلوا منه سمراً تفكهوا فيه ماشاء لهم ذلك ، وكانت ساعة هلك المسكين فى تضاعيفها تعذيبا وألما . فقلت هو الضعيف ويله من شباب لم يستكمل، وعقول لم تنضج .

وسمرت ليلة فى جمع من أرباب الحجى وذوى الفضل، فتصدرنا ضعيف أخذوا بيده الى أرفع مجلس فأوهموه العظمة ، وراحوا على حساب ذلك يتغامزون ويعبثون ، ومضت ليلة حسبت صاحبي سيقضى فى نهايتها كمدا وهما، فقلت هو الضعيف ويله من أبناء الحياة

صغارهم وكبارهم ، غوغائهم ، وأشرافهم ! !

فحذار . . حذار ياصاحبي أن تكون ضعيفا ! ! !

صحيح ـ اذا قلت لى ـ ان فى طوائف البشر نبلاء وأشرافا وان فيهم الشهم والغيور للحق . لكن الضعيف ، الضعيف فى عقله ، والضعيف بطيبة قلبه محكوم عليه فى جل هـذه المواطن مع أغلب هذه الطوائف ـ ان لم أقل كلها ـ بالموت ، ضحية زوبعة من الضحك تثار على مشهدمنه فحذار . . حذار أن تكون ضعيفا ! !

اذا كنت صبيا يحثو التراب فكن قويا يجاملك أترابك الصبيان !!

اذا كنت يافعا فكن فى لفيفك قويا تصبح فيهم كالطود شامخاً .

اذا كنت تلميذاً فكن قويا يكبرك استاذك ويحترم عواطفك رفاقك ! !

اذا كنت مرؤوسا فكن قويا تحفظ لنفسك حقوقها ، واذا كنت رئيسا فكما تكون عادلا كن قويا يعرف مرؤوسك موضع رئاستك ! !

واذا كنت مملوكا فكن قويا تنج من جحيم العبودية ، واذا كنت مالكا فكما تكون نبيلا كن قويا يخضع الناس لجلالك وهيبتك ! !

كن قويا أيان كنت وكيفما كنت تعش عزيزاً وتخلد عظيما ! !

ياصاحبي : أتحب السيادة وتشتهى العظمة ، وتتوق الى أن يوقرك الناس ؟ ؟ اذاً فكن قويا ! !

أتود أن تنسب فى محيطك الى الحكمة واصالة الرأى، وتشتهر ببلاغة القول وفصاحته، وتعرف بالكلمة النافذة اذا قلتها قالها معك الأدنون وأمن عليها الأبعدون ؟ إذاً فكن قويا ! !

* * *

وبعد فشيئا من الدمع على اخوانك الضعفاء . انك لا تدرى أقدَّت قلوبُ الناس من صخر فلا تلين ولا ترحم ، يجلس الضعيف اليهم وهو انسان اجتماعى فيتهافتون على ايذائه ويتسابقون الى إيلامه وتعذيبه، حتى لتضيق الحياة به ويحار فى تنفيس كربه ، أيركن الى الفرار ،أم يلجأ الى القفار ليحنو عليه الجماد وتؤانسه الوحوش ؟

شيئا من الدمع عليه وحذار ! ، حذار أن تكون ضعيفا

والضعيف أبداً مخفور الذمام مذنب ان غضب لنفسه أو ربأ بها عن مجالس العبث ، أو رفعها عن مواطن الذل . اما دفاعه لكرامته ان أحس بانتقاصها فليس سوى مهاترة تغرى ـ فى نظر القوى ـ بالمجون وتستثير الهزؤ والضحك ! !

ياللقسوة والظلم ! !

ما أخلق الانسان برحمة أخيه الانسان ، وما أجدر القوى بالحدب والعطف على صاحبه الضعيف .

الذكاء الضائع فى بلادنا

كان الوقت أصيلا عندما اقتعدنا كثيبا يطل على بركة (ماجل)[1] ويشرف على المزارع الخضراء المنبسطة فى اتجاه المدى الواسع ، وكان شعاع الشمس الذهبي يجلل أكناف الوادى ويرسل على الأطواد القائمة فى هيبة وجلال بريقاً تنعكس لمعته على صفحة البركة فيبدو منظراً يبعث فى النفس السرور والغبطة

* * *

وكان مجلساً أظهر المميزات فيه ـ الى جانب جماله ـ ماتجلى عليه من روعة أصحابه ، وما أصحابه الا نفر من أولئك الذين لايدعون الثقافة والعرفان ، ولا يسمون أنفسهم بغير وسم الطبقة العامة من رجال الشارع ، ولكنهم يترسمون أمامك مراسم المفكرين من الطبقة الراقية المتعلمة !

وإذن فقد كان مجلس ثقافة أبطاله رجال عاديون ، وذلك من الروعة بمكان عظيم .

وشاء الحديث ألا يذهب عن العلم وما يدلى اليه العلم بسبب ،

---

(١) ماجل : مكان مشهور [illegible] مكة

فذكر المذياع « الراديو » آية العقل ، ومضى أحدهم يحلل أسراره الى أوليات بديهية يدركها العقل العادى، وانطلق فى اثره آخر يحاجه فى مساجلة اشترك فيها أكثرهم، ولقد كان أغرب شىء - فيها العلم فى أسلوب رجال الشارع العاديين .

وكأنه استعذب أحدهم المبالغة فى مسألة الانسان الصناعى فادعى أنه قرئ عليه أنهم هناك يستخدمونه فى مختلف شؤون الحياة وضروبها .

فكانت زوبعة علا الضجيج فيها بأصوات الاستنكار ، وتولى غير واحد دحض مبالغته فى فلسفة معقولة نستكثرها من رجال نحسبهم ماخلقوا الا ليعجوا بالنداء على معروضاتهم فى الأسواق .

وانى لفى ذهول من الدهش الذى استولى على من روعة المساجلة وقدرة المتساجلين ، اذا بى أنتبه فجأة على صوت يرتفع من زاوية المجلس واذا به يحاضرنا !

« ان الأجيال حتى المتأخرة من العرب كثيراً ما تسبق الى بديهيات لكنها لاتمضى فى تعليلها واستغلالها مضى الغرب الذى يحاولها حتى ينشئ منها مبتدعات يستخدمها ، فهذا التلفون عرفه صبيان الأزقة عندنا من قرن . . عرفوه فى الخيط الذى كانوا يصلونه بعلبتين اسطوانيتين يتناجون فيهما ، وهذا الراديو فطن اليه البدو

عندنا من أجيال. نعرف ذلك عند مانشاهد أحدهم يسخر مجرى الريح في اتجاه خاص فيستخدمه الى من يبقى على مدى بضعة أميال وتحمل موجاته اليه مايشاء من حديث يرسله في صرخات لها مفهومها الخاص على قواعد مضبوطة يتسلمها هناك أخوه من موجات الصدى فيفهمها كما تفهمونني وأنا أخاطبكم الآن بحروفنا المعرفة الخ.. الخ» بحث عام رصين يدل على غاية في الذكاء الفطري !

وتركت المجلس ودلفت أمشي مفكراً في هذه الروح المفطورة على البحث العلمي . فاسترسلت في تفكيري فرأيتني أسائل نفسي : لماذا كان الذكاء عندنا ضائعاً؟ حقاً ان في تلافيف الأدمغة عندنا من الذكاء والفطنة ما يدل عليه هذا التفنن الذي سمعت وشهدت ولكنه ينقصه الاعتناء ، وذكاء يحول دون ابرازه ضعف حيوي في قوانا !

قد لا يفطن الأوربي في كثير من الأحوال لما يفطن العربي اليه، وقد يفطن مرة أو تسوقه المصادفة الى ظاهرة في خواص جسم ما، فلا يمر بها عفوا ولا يقف منها اهتمامه عند الحد الذي انتهى اليه، بل هو يتتبعها ويستقصيها ويذهب في ذلك الى أبعد حد ممكن ، وتتفتح بالاستقصاء في طريقه وجوه قد تغلق على الفكر وتبعث السآمة . لكنه جلد يتذرع بالصبر حتى ينتهي الى عنانها فيمتلكه ، ومن ثم يطلع منه عليك بمنشأة جديدة مبتدعة ، واختراع مبتكر، بينما يظل

العربى صنوه الفطن فى مكانه ذاهلا يستقبل ما أنشأ الغربى ويدفع ثمنه باهظاً من جيبه . الا أن الذنب فى هذا ذنب الضعف فى قوانا . ذنب عجزنا عن الصبر فى الاستقصاء ، والتتبع مضافا الى ذلك شىء غير قليل من قلة الاهتمام ، وعدم الاعتناء .

فهل يأتى يوم على العرب يستيقظون فيه فيدركون نقائصهم هذه ؟ عسى أن يكون ذلك قريباً .

الجرأة

رجولة كاملة !

ألا تحس بهزة تتمشى فى جسمك وأنت تقرأ قصة ذلك الأعرابى الذى سمع عمر بن الخطاب يقول : « من رأى فىّ اعوجاجا فليقومه » فانتصب واقفا وقال له : « أجل نقومك بسيوفنا يا ابن الخطاب » !

ثم ألا تشعر بكهربائية تشيع فيك وأنت تقرأ خبر المرأة الهاشمية التى مثلت أمام معاوية بعد أن دالت دولتها فأراد أن يجرح كبرياءها بذكريات تؤلمها ، فكانت جريئة جابهته بما يكره وما تعتقد فى صراحة لا تصنع فيها ولا تزلف ولا مواربة ، ولا أى شىء آخر مما نعتبره نحن اليوم أدبا !

أقول ألا تشيع فيك مثل قوة الـكهرباء وأنت تطالع أمثال هـذه المواقف مع مثل عمر بن الخطاب وأنت تعرف من هو ابن الخطاب ، ومثل معاوية وأنت تعرف من هو معاوية !

إى، انها أخلاق البادية سمها ـ ان شئت ـ جفافا أو خشونة فهى أخلاق البـادية وحسب . . ماعرفت المجاملة والتصنع . لا ، ولا شيئا من هذا الأدب الـكاذب الشائع بيننا اليوم

أما التزلف ، وأما الرياء بكل ما يدخل فى بابهما من مترادفات فتلك مسميات لا تـكاد تجد لها عندهم معانى الا فى القواميس يوم أنشئت القواميس !

الا أنها أخلاق قاسية شد ما أعانى واياك اليوم فى هضمها ، وانها خشونة لا احتمال لأحـد منا على ازدرادها ، ولـكنها . . . ولـكنها أخلاق البدوى الصميم ، يصهر بحرارتها كل مايعلق بالقلب عادة من نفاق ومكر ، حتى لتتركه وكأنه صفحة شفافة بيضاء .

إن على هذه القلوب قامت دعائم ملك العرب ، ومن صفاء سرائر أصحابها استمد سلطانهم صولته الواسعة فأين نحن اليوم من ذلك ؟!

اننا نستقبح اليوم من الجرىء جرأته وصراحته، فنسميه مرة وقحا وننعته بالجفاف حينا والخشونة آنا . ثم لاشىء ألذ علينا من التصنع ولو كان كاذبا ، ولا أطرب لأسماعنا من المجاملة مهما طوى تحتها من

خداع وغش . . على هذا نربى أولادنا فى البيوت ، وفى مثل هذا ينشأ فتياتنا فى المدارس، وعلى منواله يواجهون الحياة فيما بعد فى مختلف نواحيها ، الا من رحم ربك .

وأقول الا من رحم ربك ضننا بصبابة فى بلادنا احتفظت بصراحة العرب ، وأحبت جفافها فدلت بذلك على بصيص يتفاءل المتفائلون به .

شاهدت من أيام قصة تجلت لى فيها هذه الصراحة العربية بما فيها من جفاف ، فتجلى لى من ورائها البصيص الذى يغرى بالتفاؤل ويحمل على الرجاء والأمل .

كان ذلك فى مدرسة لست ذاكرا لك اسمها ، ولكننى أقول انها تحضيرية، وان بطل القصة فيها تلميذ تحضيرى منعه المدير فيمن منع من التمنطق بالحزام فتراءى له أن فى الموضوع تعنتا ، وكأنه حاول مراودة نفسه على قبوله اكراما لمكانة المدرسة فأبت نفسه عليه ذلك وتمردت ، واندفع هو تحت تأثير هذا التمرد يعلن رأيه للمدير بصراحة فى كتابة قدمها اليه بامضائه أنقلها اليك كما هى فى أسلوبها الصبيانى بالحرف الواحد :

« حضرة المكرم مديرنا « فلان » .

ايش منه ضررحتى تمنعونا من الحزام ، نحن ناس « مستورين »

الحزام يستر التوب ؟ ان كان حَكمَ الأمر على « تفصيخ الحزام » فاسخنا فى العلم مرة ! بتاتا ! اذا كان هذا الحكم من رأسكم فاسخنا فى العلم مرة ان كان من التلاميذ الذى تلقاه يلعب فى حزامه اكسر ايده » .

هيه : أيها الأبى الجاف أفى الصحراء نشأت ؟ . . انها خشونة أهل الخيام والمضارب يستعيرونها من حياتهم القاسية تحت وهج الشمس المحرقة ، انها خشونة وانه جفاف نسمع به فى الأقاصيص ونقرؤه فى مجلدات التاريخ ، ونسمع أن على كواهل رجال هذه طباعهم قامت دولة العرب ، وبجرأة رجال هذه قلوبهم امتد سلطان العرب وقويت شوكتهم وامتد نفوذهم .

أتسمعني ياهذا الناشئ الجرىء؟ أحضرى أنت نشأت فى المدن ؟ واذن لماذا أنت شجاع ؟!

نحن نعرف المجاملة بفروعها والخشوع بألوانه ، والتزلف والرياء والغش والمكر والمداهنة والتصنع ونسمى كل هذا أدباً .

اسمعنى !! بهذا نتأدب فى حديثنا ومجالسنا ومقابلاتنا ، وعلى هذا نربى فتياننا وفتياتنا فى البيت والمدرسة

أما كنت تعلم وأنت تكتب الى مديرك ما كتبت أن ذلك فى عرفنا وقاحة لانستسيغها ؟!

هيه ولكنك شجاع وحسب !

قال المدير وقد مرت على وجهه سحابة رقيقة ـ يخاطب الحاضرين: مارأيكم ؟ ـ فخاض الحاضرون في الحديث وشاءت الصدف أن أكون أحد الحاضرين وأحد المتكلمين فقلت : أرى أن تبتدئوا باقناعه وكل «المحزمين» بأضرار الحزام الذى قمتم تمنعونه، ومن ثم يبقى أمامكم مسألة أدبه هذا الخشن وذلك موضوع له بحثه الخاص بعد تدبر وامعان .

وكنت أظننى سأرحم التاميذ بهذا وما علمت أن المدير مافكر في خشونته هذه ولا أعارها من الاهتمام شيئاً كما لو كان الأمر عاديا .

وانتهى الموضوع أخيراً باقناع التاميذ واخوانه . وذاب موضوع الأدب الخشن في ضحكة عالية أرسلها المدير في جوانب قاعته .

أترى هذا تحولا في الأفكار ؟ سأجعل اليهم ذلك حقاً .

نحن في حاجة الى قلوب كهذه جريئة تجابه الحقائق وتجاهر في قوة بما تعتقد ، أما اننا نربى التاميذ على الخنوع والخوف ، ونحمله على المداجاة والرياء فليس معنى ذلك الا أننا نهيئ للمستقبل نشأً مجرداً من كل مميزات الرجولة، واذا نحن دفعنا الطفل فى البيت الى الصراحة وعلمناه في المدرسة كيف يجاهر بما يكنه في شجاعة استطعنا أن نعد رجالا يواجهون الحياة ويتملكون ناصيتها .

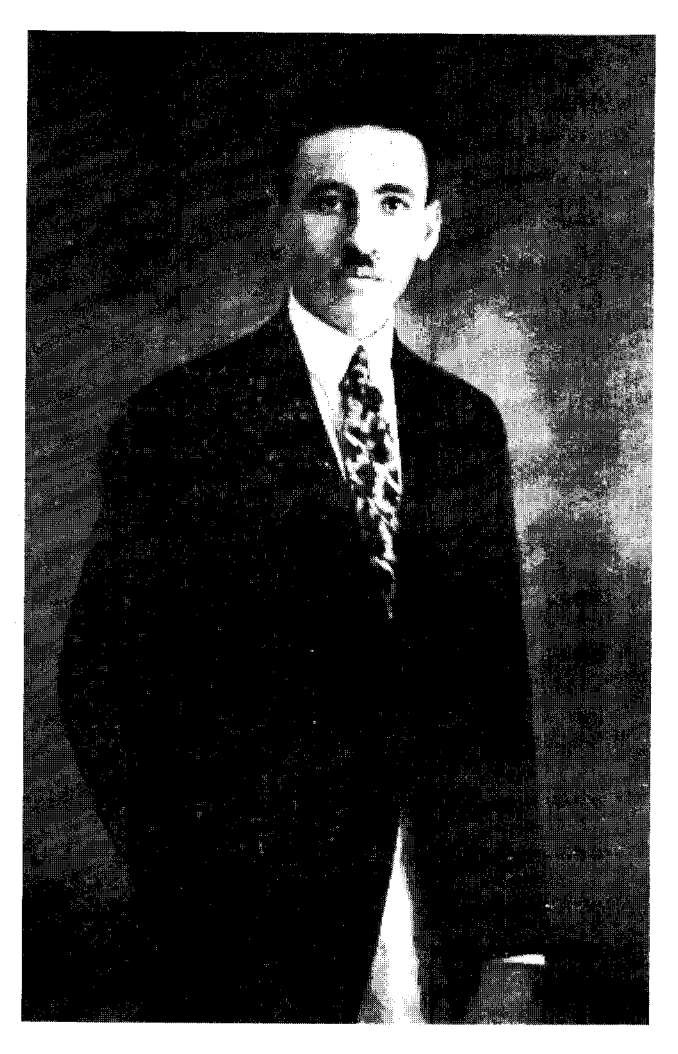
أمن قائل الآن : ولكنهاصراحة امتزجت فى بطلك هذا بكثير من الوقاحة ؟ أمّن يقول اذا تساهلنا فى ذلك فسنسىء أخلاقياً الى مجموع النشء فى الأمة:

لا أظن ذلك، واذا سلمت جدلا بتسمية هذا وقاحة ففى مكنتنا ألا نصدمه وندك قواه لأول وهلة .

فى مكنتنا معالجة مانسميه وقاحة بأساليب حكيمة تهذبه ولا تفقده شجاعته ، وجرأته .

فهل تتضافر بيوتنا ومدارسنا على ذلك ؟؟!

اللهم بك العون ومنك التوفيق .



أحمد العربي

هَذِهِ صُورَتِي سِجِلٌّ صَغِيرٌ   لِحَيَاتِي يُتْلَى عَلَى الْأَعْقَابِ
فَهِيَ الْيَوْمَ رَمْزُ جِدَّةِ نَفْسِي   وَهْيَ بَعْدَ الْمَشِيبِ ذِكْرَى الشَّبَابِ
وَهْيَ بَعْدَ الْمَمَاتِ ذِكْرَى حَيَاتِي   رُبَّ ذِكْرَى أَوْفَتْ عَلَى الْأَحْقَابِ

احمد العربي

ولد بالمدينة وهو الآن فى العقد الثالث من عمره ، وتلقى علومه الابتدائية فى المدارس الأميرية ، وفى أواخر عصر حكومة الحسين سافر الى مصر حيث انتظم فى سلك الأزهر وحاز شهادتيه الابتدائية والثانوية ، ولما أوفدت حكومة جلالة الملك «عبد العزيز آل سعود» المعظم البعثة العامية الى مصر عام[1] انضم اليها وتحول الى مدرسة دار العلوم العليا فنال شهادتها العالية ، وعلى أثرها رجع الى مكة فعين استاذاً فى المعهد العلمى السعودى وفى عام ١٣٥٢ قام برحلة الى مصر وجزائر الهند الشرقية وبلاد الملايو وعاد الى مكة فى شعبان عام ١٣٥٣ ومنها سافر الى المدينة مسقط رأسه لزيارة عائلته فبقى هناك حتى ربيع الأول عام ١٣٥٤ حيث عين مديراً لمدرسة امراء الاسرة المالكة بالرياض .

---

(١) لم يذكر التاريخ فى الأصل

أيها العيد

أيها العيد كم تثير شجونى   وتورّى من وجدىَ المكنون
فلكم خلف ثوبك الفاتن الخـ   ـلاب من لوعة وشجو كمين
أيها العيد كم تخطيت قوماً   هم من البؤس فى شقاء قطين !
لم تزدهم أيامك الغرّ الا   حسرة فى تأوه وأنين !
أبصروا المترفين فيك وللنعـ   ـمى عليهم رواء يسر ولين
كل رهط يفتنّ فى المأكل الملـ   ـذوذ والملبس الأنيق الثمين
لايبالى ما أنفقته يداه   فى الملاهى من طارف ومصون
واذا مادعاه للبر داع   فهو فى المكرمات جد ضنين

أيها العيد رب طفل يعانى   فيك من بؤسه عذاب الهون
هاجه ترِبه بملبسه الزا   هى وكم فيه للغبا من فتون
فرَنَا نحوه بطرف كليل   ليس يقوى على احتمال الشجون
ثم ولى والحزن يغرى حشاه   مستغيثا بعطف أم حنون
وجثا ضارعا اليها يناجيـ   ـها بدمع من مقلتيه هتون
ويحها ماعسى تنال يداها   وهى خلو الشمال صفر اليمين
كل ماتستطيعه عبرات   من عيون مقرحات الجفون

أيها الناس انما العيش ظل زائل والحياة كالمنجنون

فلكم قوض الزمان صروحا وصروف الزمان شتى الفنون

رب ذى نعمة وجاه عريض آض[1] ذا شقوة وهم حزين

أيها الموسرون رفقاً وعطفاً وحنانا بالبائس المحزون

ربما بات جاركم طاوياً جو عا وبتم تشكون بشم البطون

ربما ظل طيلة العيد يستخ فى من الصحب قابعاً كالسجين

يتوارى من سوء منظره المز رى ومن حاله الكريه المهين !

أى فضل للعيد يستأثر المث رون فيه بالطالع الميمون !

والفقير الكئيب يرجع منه بنصيب المرزَّأ المغبون !

كل دهر المثرين عيد فما أغنى ثَراهم عن عهده المضنون ؟؟

ليت شعرى متى يكون لنا عيد حقيق برمزه المكنون

فيشيع الهناء فى كل نفس ويؤاسى فؤاد كل حزين

قد لعمرى أنى لنا أن نرى العـ يد مشاعاً وقرة للعيون

بين اليأس والأمل

أرحنى ببرد اليأس إن كنتُ آسيا فانى وجدت اليأس أشفى لمابيا !

---

(١) آض أيضا : رجع رجوعا

تعلقت بالآمال دهراً لعلنى أصيب بها ورداً من العيش خاليا!
وعللت نفسي بالأمانى رجاء أن أفيء الى ظل من المجد ضافيا
وأنكرت بأساء الحياة وضرها وأكبرت من يلقى الكوارث لاهيا
وأحسنت ظنى بالليالى وعهدها وأحداثها تنثال شتى حياليا
صمدت اليها رابط الجأش باسما أشيم بها برقاً من السعد باديا
وأرغمت لوامى وخالفت ناصحى وقلت علام المرء يلحى اللياليا ؟
وطاوعت أحلامى وتابعت طيفها الى أن بدا فجر الحقيقة ضاحيا
اذا أنا كالمخدوع بالآل [1] ضلة تكاءده المسعى وما زال صاديا
وبرق الأمانى خلب يخدع الفتى وبشر الليالى فخ من ليس صاحيا
تعاهدنى حتى اطّبانى وميضها **فأدلجت في لجج من الغي داجيا**
وطوح بى حتى اصطدمت بصدمة من اليأس تجتاح الجبال الرواسيا
فعاهدت نفسى لا أرانى مؤملا بدنياى خيراً حسب ماقد دهانيا
فما أروع المأساة اذ تفجأ الفتى وغض الأمانى حين يرتد ذاويا
وما أتعس المرء الذى قد تذبذبت به كفتا يأس وأخرى أمانيا !
فلا هو مثلوج الفؤاد منعم فيمرح فى روض من السعد زاهيا!
ولا هو مرتاح الى اليأس مخلد الى حالة يلقى بها الخطب ساجيا !
له الله من ذي حيرة تصدع الحشا وتتركه نهب الجوى والمآسيا

---

(١) الآل : السراب

فأخلق بذى الرأى السديد وذى الحجى　بأن يحذر الآمال ثم اللياليا !
وأحر به الا ينيط رجاءه　بغير مساعيه (اذا كان راجيا) !
فليست أمانى المرء الا غواية　وليس الرجاء الحق الا المساعيا !
فان شئت أن تحيا حياة قريرة　فلا تغترر بعدى بدنياك ثانيا !

يقظة الشرق

(صدى رحلة فى المشرق)

أى صوتٍ هز فى النفس رجاها　ودعاها فاستجابت اذ دعاها
وانبرت تعدو الى الغاية وثبا
أنفسٌ قد وطنت عزماً وقلبا
ان تغذ السير فى الآفاق دأبا
لاتبالى ماتلاقى فى نواها　أتلاقى السعد أم تلقى رداها
أى صوت ذاك أم أىٌّ نداء
دب فينا كدبيب الكهرباء
فاستهنا كل جهد وعناء
وهجرنا فيه أهلا ورفاها　وبلاداً ملء أحشاءٍ هواها
انه هاتف ذا الشرق العتيد

هاتف أسفر عن عهد جديد
ربما أربى على الماضى المجيد
لم لا . والشرق قدعج انتباها   وخطا للغاية الجلّى خطاها ؟

ما أهاب الشرق بى وبصاحبيا
هاتفا الا وأحسسنا دويا
لصداه بين جنبينا قويا
فاذا أنفسنا جُل مناها   ان تلبى صوته لما احتواها

فعزمنا وامتطيناها سفينا
تمخر اليم بنا رفقا ولينا
وهو كالمهد لها حينا وحينا
تارة تبصره طوع رجاها   فتراها كعروس فى سراها

وأحايين تراها تتنزى
كتنزى الحوت فى الاشراك قفزا
وعباب البحر من ذلك يهزا ؟
فهو لا ينفك مغرى بأذاها   كلما مرت على موج رماها !

هَبْ عباب اليم أصلى الفلك بأسا؟
اتراها طأطأت للعجز رأسا ؟
أم تُراها نكصت خوفا ويأسا؟

انهـا ما أسلمت قط شباها   لا ولا لانت على الغمز قناها !

يالها من صاحب نعم المؤسّى

فلقد القت علينا خير درس

فى طلاب المجد لو يجدى التأسى

ولكم موعظة أسدى هداها   أعجم لم يدر يوما مالُغَاهَا ؟

يا ابن هذا الشرق ان رمت النجاحا

وثقفت العلم واعتدت الكفاحا

فتعلم أن للفوز سلاحا

همة شماء لا يدرى مداها   وجهاداً دائباً فى مبتغاها

أيها المسلم فى الشرق العريق !

أنت للمسلم فى الدين شقيق !

لِمَ لاتعتز منه بصديق ؟

وحـدة قد شيد الدين بناها   لِمَ لانبلغها أسمى ذراها ؟؟

لِمَ يا اخوتنا لم نأتلف ؟؟

لِمَ لانعمل كِتْفاً لـكتف ؟؟

أنسينا ماضيا فينا سلف ؟؟

حيث كنا قوة عَزَّ حماها   أحكم الاسلام توثيق عراها !!

اننا لم نرق فى تلك العُصُر ؟

ونسدْ الا بذا الدين الأغر !!
وبتوحيد الجهود والوطر !!
هل رأيتم أمة نالت مناها　　بسوى الجد وتوحيد قواها ؟!
هكذا تاريخنا عَلمنا
أن نسوى أبداً وحدتنا
ونضحى نفتدى عزتنا !
شرعة ان نحن أعلينا لواها　　بلغتْ أوطاننا أوجَ علاها !!
لا أغالى أنا ان كنت البشير !
بالذى نرجوه من شأوٍ خطير
فجهاد الشرق بالفوز جدير !
اننا نامس روحا يتضاهى　　فى شباب طاب فى الشرق جناها!
لم لا والشرق مهد الحكماء ؟ ؟
لم لا وهو منار النبغاء ؟ ؟
أيظل الشرق وهو ابن ذكاء ؟
ظلمات أطبق الجهل عماها ؟　　سبة تلك ، سينجاب دجاها !
فلقد لاح سنا الفجر المبين
وتبارت عزمات العاملين
سدد الله جهود المخلصين
امة ان يهد ذا نفس هداها　　يكن التوفيق صنواً لرجاها

ولقد بدأنا اليوم نشعر بالحياة وبالنشور

أهـلا بقادمة النسو ر طليعـة العهـد النضير
الرافعـين لواء مجـ د بلادهم فوق الأثـير
المنتضين عزائما أمضى من السيف الطرير
أهـلا بمفخرة الحجا ز ورمز سؤدده الخطير

* * *

إن الحجاز وكل من ضم الحجاز بكم فخور
هو أيككم وعلى ربا ه نما جناحكم الصغير
ولكم حباكم عطفه وحنانه الجم الغزير
وغذاكم بلبانه ... وبمائه العـذب النمير
وأظلكم بسمائه ... وبجـوه الصافى المنير
أفـلا ترفرف فى ذرا ه اليوم أعلام السرور؟
وهو المهاد ومنبت الأ أجـداد والوطن الوتير

* * *

وطن أقلت أرضـه خير الخلائق والعصور

ومشى على جنباته ... جبريل والروح الكبير
وتمخضت أعطـافه عن ذلك الماضى النضير
أفـلا يحن الى النهو ض ويستجيب الى البشير ؟

***

هـذا الحجاز اليوم فى طرب وذاك صدى الشعور
خرجت زرافات بنو ه تموج فى حلل السرور
يتسابقون الى الحما سة والحفـاوة بالنسور
ياليت شعرى أى جـد وى للحفاوة والحبور
ولهـذه الأصوات تذ هب فى الفضاء ولا تحور
ان لم نعد الطائرا ت تبز أسراب الطيور
ونشد أزر نسورنا .. بالمال والعضد النصير
أرأيتم فى الجو طيـ راً دون أجنحة يطير ؟
أرأيتم أمراً بغيـ ر المال تم له الصدور ؟
المال إكسير الحيا ة وعنصر الفوز الكبير
والمال مثل الغيث من قطراته تجرى البحور
وقليلهن من الكثير يكافىء الجم الغفير
فليسد كل ما يطيـ ق لرفعة الوطن الجدير
هذا لعمركم الفخا ر وذاك مضمار الفخور

بالجد تكتسب العلا لا بالأمانى والغرور
لو أن بالآمال والا أقوال تنقاد الأمور
لم يلف فى الجلى لنا ند ولم يذكر نظير
فلقد ملأنا الوهم آ مالا تضيق بها الصدور
ولقد ملأنا الصحف أقوالا تضيق بها السطور
ولقد وقفنا والزمان وكل ما فيه يسير
ولقد هجعنا والحياة وكل ما فيها يمور

***

ولقد بدأنا اليوم نشعر بالحياة وبالنشور
عجباً أنحن سلائل الأعراب معجزة العصور
عجباً أنحن بنو أساتذة الحضارات الصدور
أنكون أول مبدعى الطيران آخر من يطير؟
أسفاً وقد يجدى التأسف حين يحتث الشعور
ولعل فى هذا الشعور بوارق العهد المنير

***

يأيها السرب المجد قدومه الأمل النضير
حدث بنى الشرق الطموح بما لدى الغرب الخطير
وأبن لنا كيف استبدوا بالبرور وبالبحور

واستعبدوا الجو الطليـ ـق وذللوا متن الأثير
واذكر أعاجيب التقد م ، ثم ، والعلم الجسور
واضرب لنا مثل الفتو ة والشباب المستنير
وارفع لواء العرب خفـ ـاقا على هام الدهور
فعليك قد عقد الرجا ء وأنت جد به جدير

* * *

واذا النسور تكن طليـ ـعة أمة وهم الصدور
بلغوا ذرى المجد الرفيـ ـع وحلقوا بين البدور
واذا النسور ترسموا آثار عاهلنا الكبير
صقر الجزيرة وابن ذرو ة مجدها وأبي الصقور
ضمنوا ليعرب نهضة ستكون مفخرة العصور

* * *

عاش المليك ويعرب بقيت على مر الدهور
عاش المليك وعاشت الـ أشبال ولتعش النسور

الأدب الحديث في الحجاز

« نبذة من محاضرة أُلقيت في النادي الأَدبي بسنغافورة في ٢١ جمادي الأُولى سنة ١٣٥٣ » .

يقترن تاريخ فجر الأدب الحجازى الحديث بتاريخ الثورة العربية الكبرى ، تلك الثورة التى نفثت فى الشعوب الناطقة بالضاد روح الحياة والتجدد فسرت فيهم سريان الكهرباء فى أسلاكها وتمشت فى مفاصلهم كتمشى البرء فى السقم ، وقد يفوق أثر تلك الثورة فى ايقاظ الحجازى واذكاء مواهبه وشعوره أثرها فى غيره من أبناء البلاد العربية الأخرى ، ولعل صحائف الأدب خير مايمثل هذا الأثر وذلك الانقلاب الذى طرأ على التفكير والشعور الحجازى فى العهد الحديث فمنذ ربع قرن تقريبا لم يكن الأدب الحجازى سوى بضع منظومات وكتابات سقيمة المعنى واهية السبك ملتوية الاسلوب يدور أكثرها فى نطاق ضيق من المديح السخيف والغزل والتشطير والتخميس على نمط ليس له من مبرر سوى ذلك العقم الأدبى الذى منيت به الأَفكار في تلك الحقبة المشؤومة . وإلا فأَي إنتاج ينتجه أولئك الذين يتناولون بيتين أو أكثر من الشعر بالتشطير والتخميس فيعمدون الى تمطيط معناها وتفكيك أواصرها وحشوها

بما يناسب ومالا يناسب من الألفاظ المترادفة والتراكيب المرصوفة وليت ما كان يستهوى أدباءنا فى ذلك العهد شعر قيم يستحق منهم ذلك الجهد والعناء. اللهم لا: فأى قيمة أدبية لأمثال ذينكم البيتين:

ومكاريا أبصرت فى وجناته ورداً يلوح وجلناراً يقطف
أخذ الكرى منى وأحرمنى الكرى بينى وبينك يامكارى الموقف

فكم أديب وأديب استوقفه هذان البيتان فعالجهما بالتشطير والتخميس، بخ بخ لهذا المكارى الذى فتن عشرات الأدباء فهاموا به محاكاة وتقليداً وأبوا الا أن يقفوا منه ذلك الموقف وما هو بموقف الأديب، وان (فورد) المخترع العظيم لو علم المنزلة التى شغلها هذا المكارى من أدب الحجاز حينا من الزمن لندب جد سياراته، ولنعى حظ شهرته الأدبية. ان أدب التخميس والتشطير أيها السادة أدب عقيم اذا جاز لنا أن نستعير له لفظة أدب، وان هذا النوع من النظم ينبغى أن يعتبر فى نظر العقلاء سخفا وعبثا ان لم يكن مسخا لصور الأدب وتشويها لجماله الفنى

أجل لقد أجمع جهابذة الأدب وأعلام البيان على أن العاطفة والوجدان هما قوام الشعر وعنصر الحياة فيه، وان النظم المجرد عن العاطفة أشبه شىء بلغو الكلام يلقى لغير غاية وغرض مقصود. وأى عاطفة يختلج بها قلب يهيم ويتصبب بشخص لاتجمعه به ألفة

ولا سابقة وداد . ان هذا الضرب من المتأدبين يذكرني بذلك المغفل الذي سمع أحد المارة يترنم بقول الشاعر :

يا أم عمرو جزاك الله صالحة ردى على فؤادى أينما ذهبا

فلم يلبث أن علق قلبه بأم عمرو وأخذ يتنسم نسيمها ويتنشق أخبارها حتى اذا سمع يوماً آخر يقول :

لقد ذهب الحمار بأم عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار

عد ذلك بمثابة نعى لمحبوبته الوهمية فاغتم لذلك واكتأب أشد الاكتئاب . فلا أدرى أنقول نحن اليوم بدورنا لذلك النوع من أدعياء الأدب: لقد ذهب . . . على أننى لا اغمط ذلك العهد حقه فأقضى على كل أثر فيه ، فقد نجد بين أنقاض تراثه قطعاً صغيرة هى على قلتها وضآلتها ـ تدل على شاعرية ملهمة وعبقرية فى التصور على أنه لم يحفظ لنا من تلك الآثار الا القليل النادر وهو الى ذلك مبعثر في الصحف والدفاتر مطوي في بعض الصدور . وبدهي أن مثل هذه الآثار الضئيلة لا يمكن أن يعتبر مقياسا يعتد به لأدب عصر من العصور . هذه جملة حال الأدب فى الحجاز قبل بزوغ فجر النهضة الحديثة .

أما أدب اليوم فهو وان كان أدباً فتيا مايزال فى الطور الأول من أطوار نموه ونضوجه فهو ماض فى طريقه الى الامام سائر بخطوات

ناجحة موفقة لايسع المنصف تجاهلها أو الغض من شأنها . ويرجع الكثير من الفضل فى ذلك الى آثار أدباء العربية العصريين التى تجاوب صداها فى الشرق العربى فكان لها أحسن الأثر فى توجيه الأدب العربى وتلقيحه بلقاح الحياة والطرافة والتجديد . وقد كان أثر أدباء المهجر من السوريين أقوى وأظهر فى أدبنا الحديث حتى عهد قريب . أما الآن فقد بدأ يتحرر قليلا من قيود التقليد وأخذ يشتد ساعده ، وان كنا نجد لنفثات أقلام الادباء المصريين أثراً متميزاً فيه فى السنوات الأخيرة .

وان مظاهر التجديد والابتكار فى أدب اليوم ليست مقصورة على التجديد فى الديباجة والاسلوب بل ان فى مقدمة مايعنى به أديب اليوم انتخابات الموضوعات الاجتماعية والوطنية والأدبية الفنية واختيار أمثل الطرق وأوضحها لعرضها فى صورة خالية من التكلف والتزييف .

الوحدة العربية ـ كيف تتحقق؟

« إن مستقبل الاسـلام يتوقف على وحدة العرب فاذا تمت وحدة العرب علا شأن الاسلام ».

« السيد اقبال »

« شاعر الهند الاسلامية ».

ماهام العربى فى حياته بشىء هيامه بحريته واسـتقلاله ، ولا أغرق فى أمر اغراقه فى تمجيدها وتقديسها الى الحد الذى كادت تصبح فيه قطعة من حياته وصفة من أخص صفاته . وسواء أحسن العربى استخدام حريتـه أم أساء ، فانه مما لاريب فيه أن ميزة احتفاظ القومية العربية بعناصرها وميزاتها خالصة نقية يرجع أكبر الفضل فيه الى تعلق أفرادها بأهداب الحرية وتفانيهم فى الذود عن حياضها وان هاته الحرية التى لازمت ابن الصحراء فى جاهليته ملازمة الشمس لسمائه لم يكن الاسلام ـ وهو الدين الذى أعلن الحقوق الانسانية وأقرها كاملة غير منقوصة ـ ليهدرها فى العربى ويسلبه أقدس نعمة أنعم الله بها على عباده . أجـل لقد أظل الاسلام الحرية بجناحه وأقامها على أساس من الحـكمة والاعتدال . فلم يفقد العربى فى كنف الاسلام ذلك المحبوب الذى طالما شغفه حباً وهياماً واذاً فمن الطبعى أن يكون العربى الذى يقسر على التنازل عن قسط من

حريته لايتنازل عنه الا ريثما يستجمع قواه لاسترداده وافراً غير مبتور .

من أجل ذلك حينما أحس أحرار العرب زراية الترك بهم واستبدادهم بحريتهم ـ ماعتموا أن ثاروا ثورتهم الكبرى غير متهيبين ما تتطلبه من ضحايا جسيمة ، فأقدموا على ساحات الخطر اقدام الأبطال ، واستطاعوا أن يغسلوا مالحق أمتهم من وصمة العار والاستكانة للذل بما أراقوه من نفوس شريفة . واذ ذاك أمكنهم أن يدقوا باب الحرية المحبوبة بيد مضرجة بدمائهم الزكية . واستطاعوا أن يسطروا بهاتيك الدماء الغالية . « ان عربي اليوم هو ابن عربي الأمس لا يعنو للذل ولا يرضخ للاستعباد » لكن ـ والاسف يملأ مابين الجوانح ـ لم تطل نشوة العرب بما أحرزوه من ظفر لحريتهم ولم تدم غبطتهم بنعمة الاستقلال الذى أقاموه على أشلاء ضحاياهم وشهدائهم الأبرار . فما هى الا أيام معدودات حتى فوجئت بعض شعوبهم بنكبة الاستعباد مرة أخرى ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله والعروبة وما ضعفوا وما استكانوا ، بل أعلنوا حياة الجهاد والكفاح وعاهدوا الله والوطن المقدس أن لايرضوا بحياة الحرية بديلا ، وهكذا رأينا البلاد العربية ـ ولما تجف بعد دماء شهدائها ولما تندمل كلومهم ـ تضرم نار الثورة من جديد

وتشهد الانسانية جمعاء بأن الشعوب العربية لن تقر الضيم ولن ترضى بالهوان ، فثار العراقيون ثورتهم المجيدة وصمدوا للكفاح صمود الاشاوس وبرهنوا على ان فى العراق شعباً لايحنى للحيف رأساً ولا يطأطئ للذل هاما ، وأعلنوا العالم أجمع بأن على الرافدين :

أمة تنشىء الحياة وتبنى كبناء الابوة الأمجاد

ولم يكن أبناء سوريا وهم سلائل أولئك العرب الأحرار بأقل اباء للضيم ونضالا فى سبيل الاستقلال من اخوانهم العراقيين وان تكن الأقدار لم تهيئ لهم ماهيأت لاخوانهم أبناء العراق من نجاح وتوفيق . واذا كانت الاحداث قد عصفت بالأمانى العربية حين تنكرت لها فمزقتها شر ممزق فان القدر كان أرحم بها من أن يسلبها كل أمل فى الحرية والاستقلال ، فقد قيض للقسم الاكبر من جزيرتها عاهل العرب العظيم جلالة الملك عبد العزيز السعود . فنهض بهذا الأمر واضطلع بأعبائه واستطاع أن يكلأ معقل العروبة وأن يقف دون حماها وقوف الليث دون عرينه . بيد أنه مما يؤسف له أن هذا القسم من الجزيرة أيضا لم يسلم من الفتن والقلاقل ، اذ لا تكاد تمضى حقبة من الزمن الا وتحدث فى الجزيرة مأساة تقض مضطجع كل عربى كريم وتذهب نفسه من جرائها حسرات . ولولا حكمة صقر العروبة وبطلها الكبير لاستعرت نيران الفتنة من كل

جانب ولأودت بالبقية الباقية من عتاد العرب وذخرهم الثمين ، فعسى الله أن يوفق ملوك العرب وزعماءهم الامجاد لجمع شمل الشعوب العربية والابقاء على تلك النفوس الكريمة ، درع الامة العربية وجناحها الذى به تنهض :

وهل ينهض البازى بغير جناحه   وان قص يوما ريشه فهو واقع

ولله معاوية بن أبى سفيان اذ يقول : « ألا ان دروع هذا الحى من قريش اخوانهم من العرب المتشابكة أرحامهم تشابك حلق الدروع التى ان ذهبت حلقة منها فرقت بين أربع . ولا تزال السيوف تكره مذاقة لحوم قريش مابقيت درعها معها وشدت نطقها عليها ، فاذا خلعتها من رقابها كانت للسيوف جزراً . » والآن وقد القينا نظرة سريعة على بعض مراحل جهاد العرب فى سبيل حريتهم واستقلالهم ـ ننتقل الى ذكر الهدف الاسمى الذى كان ينشده عقلاؤهم من كفاحهم ونضالهم والوسائل المؤدية الى تحقيقه

أما المثل الأعلى الذى هو مطمح كل عربى صادق فى عروبته فهو وحدة العرب الكاملة التى تنظم شمل الامة العربيـة فى جميع نواحيها وتحكم مابين جماعاتها من وشائج الرحم وأواصر القرابة وروابط التعاون والاتحاد حتى تصبح فى مأمن من كيد الكائدين وأطماع الطامعين . وأما الوسائل المفضية الى ذلك فيمكن اجمالها فى

الأمور الآتية : (ومن دواعى الابتهاج العظيم أن بعضها قد تحقق بفضل الملوك العظام والزعماء المخلصين) . وهاهى ذى الامور المنوه عنها :

١ — ابرام معاهدات تحالفية بين ملوك العرب وامرائهم وأرباب السلطة والنفوذ فيهم .

٢ — عقد اتفاقات تذلل بمقتضاها الحواجز الجمركية وتوطد العلاقات التجارية على قواعد تكفل تبادل المصالح وسهولة الانتفاع بها فى كل بلاد عربية .

٣ — تأسيس شركات اقتصادية تقوم باستثمار خيرات البلاد العربية واستنباط موارد الثروة فيها وانشاء المشروعات العمرانية التعاونية .

٤ — توحيد برامج التربية والتعليم الى الحد الذى لايتنافى مع حاجة كل قطر الطبيعية .

٥ — نشر التأليف والروايات والصحف التى تبث فى الامة روح الوحدة والعزة والطموح والسيادة القومية .

٦ — تنظيم الصلات وتوثيق الروابط بين الجمعيات والهيئات العلمية والأدبية

٧ — تنشيط تبادل الزيارات والرحلات بين هذه البلاد ولاسيما

رحلات القادة والمفكرين وطلاب العلم وفرق الكشافة.

٨ — عقد مؤتمرات متداولة تمثل فيها جميع الاقطار العربية لمواصلة السعى فى كل مايهم العرب ويرقى بلادهم وينهض بشؤونهم الاجتماعية

٩ — تنسيق معارض دورية تتعاقب فى الأقطار لترويج حاصلاتها وترقية منتجاتها.

١٠ — توحيد المصالح الممكن توحيدها كوسائل المواصلات والبريد وما الى ذلك.

١١ — تأسيس اتحادات عامة بين طوائف العمال تسعى لتنظيم جهودهم ورفع مستواهم الاقتصادى والأدبى فى جميع البلاد العربية

١٢ — تنظيم مكاتب فى الداخل والخارج لترويج الدعاية للقومية العربية والثقافة العربية وكل ماهو عربى. وبدهى ان تحقيق هذه الوسائل يتطلب جهوداً كبيرة تساهم فيها جميع الهيئات والجماعات المحترمة، على ان واجب الزعماء والقادة وأصحاب رؤوس الاموال أعظم، والتبعة الملقاة على عاتقهم أكبر، فهم المالكون لأسباب قيادة هذه الحركة والقادرون على تسيير دفتها، فالأنظار اليهم متطلعة والآمال على مساعيهم معقودة. « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ».



أمين بن عقيل رحمه

امين بن عقيل

ولد بمكة المكرمة فى عام ١٣٢٩ وتلقى علومه الأولية بمدرسة الفلاح وفى عام ١٣٤٣ رحل مع أسرته الى «المكلا» عاصمة حضرموت والتحق هناك بمدرسة الفلاح وبعد أن تخرج فيها بقى استاذاً بها أربع سنوات ، وفى سلخ **عام ١٣٤٩ تلقي دعوة من عظمة سلطان لحج مع نخبة من** شباب الحجاز لاصلاح المدرسة السلطانية بلحج فلبى الدعوة واشتغل بالتدريس فيها سنة ونصفا ، ثم رجع الى الحجاز وأتم دراسته العالية بمدرسة الفلاح بمكة ، وفى عام ١٣٥١ نفى الى الرياض مع لفيف من الحجازيين بتهمة سياسية ، ثم افرج عنه فرجع الى مكة واشتغل كاتباً لادارة عقارات الشريف على باشا ولا يزال بها حتى الآن .

في معرض الافكار :

ماهو مثل التعليم الصالح للحجاز ؟؟

ماهى التربية الملائمة لاصلاح حياتنا الاجتماعية ؟؟
هل يكفى التعليم وحده لتكوين مبدأ الوطنية فى الحجاز ؟؟

ليس اكتظاظ برامج الدراسة بشتى العلوم ومختلف الفنون ، دليلا على استقامة التعليم وصحته ، وتبحر الطلبة فى العلم وتفهمه ؛ كما ان جسامة الكتب وضخامة عناوينها ؛ وتعداد ساعات الدراسة ، والدأب المستمر على الطلب والتلقى ، لم يكن كل ذلك البرهان الكافى على نضوج الفكر وهضمه لما أوحى اليه ، ولا يفيد الرغبة الملحة فى الدرس ، ولا التفرغ الكلى للتعليم ؛ بل كثيراً ما أثبتت التجارب وصار فى حكم الملموس أن تضخم المناهج بكثرة الدروس المرهقة ، وضخامة الكتب وجسامتها بما لا يتفق واذهان الطلبة ، وتعداد ساعات الدراسة المتعبة انما تسبب كلالا فى الذهن ، وتحجراً فى الفكر ، وتبلداً فى الفهم ، وسأماً فى الطلب والتلقى ، وانصرافاً عن تعليم الرغبة المجدى .

وكذلك الحال فى مدارسنا الراهنة وياللأسف الشديد !! على ان

برامج الدراسة فى هذه المدارس لايلاحظ فيها استغلال هذا المركز الدينى الفخيم الذى نلنا به شرف الزعامة على أمم الأرض جمعاء ، ولا تتناسب والبيئة المحيطة بالطالب ، ولا توحى له بالفكرة الصحيحة عن الغرض من هذا التعليم ، أو تلقى فى روعه معنى الرجولة الكاملة، وتفهم الأخلاق الفاضلة واعتناقها ؛ وهى بعيدة كل البعد عن تزويده بالسلاح الكافى لخوض غمار الحياة الخضم ، واذكاء روح العزم والاعتزاز بالنفس ، ووجوب الكفاح والنضال فى هذا العالم المتموج بمختلف العناصر القوية المتفاعلة ، الدائبة فى العمل لضرورة البقاء ، واحتكار مكونات الحياة تحت قبة الفلك .

وأيضا ينقص شحنات هذه المدارس القدوة الصالحة ، والأمثولة الناجحة ، والشخصية البارزة ، فلا زال أساتذتنا الكرماء قاصرين القصور كله عن القيام بواجب هذه الرسالة ، وتحمل عبء هذه الأمانة ، كما أن الطالب فى هذه المدارس انما يدفعه أولياؤه للمدرسة دفعاً ليكفوا أنفسهم مؤونة تعبه وعنائه ، وتبعة مراقبته وملاحظته ، وأخيراً للشفقة عليه من الجرى والركض فى الأسواق فى وهج الشمس المحرقة ، وتقلبات الجو المخيفة ، يحجزونه فى هذه المدارس ليتفادوا كلما حسبوه يتطلب عناية ومجهوداً ، ويكلف تعباً ونصباً ! ! أما التعليم المنتج ، أما كبت العواطف الشريرة ، وتوجيهها

نحو الخير والصلاح ، أما انتزاع بذور الفساد من نفسيته وتشذيب أخلاقه وصقل ذهنيته ليكون رجلا صالحاً فى الحياة ؟ فهذا آخر ما يفكرون فيه ، بل لعل ذلك فوق ماتتصوره أفهامهم وتحيط به مداركهم ، ثم هو أبعد منالا ، وأصعب غاية أن تقوم به مدرسة كهذه المدارس .

العلم فى مدارسنا لا صلة بينه وبين الحياة الزاخرة فى خارج المدرسة ، يتعلم التلميذ لنفسه ليوهمها أنه متعلم وحامل شهادة راقية وكفى ، عامه كله محصور بين جدران المدارس وبروزه فى غرفة الدراسة ، وذكاؤه بأجمعه يتجلى فى تفهم طلاسم هذه الكتب المقررة واستقصاء حفظها عن ظهر قلب ؛ علم كله نظريات ، وآراء واستقراء ، لا يرتكز على العمل ، ولا يقوم على التطبيق والدرس ولا تدعمه التجارب ، كأنما يدرسون أحد سدم الكون مما لا تصل اليه أيديهم ، أو يقرأون للتفكه نظريات عن المريخ وسكانه الوهميين ؟ !

منهج الدراسة متشعب الأطراف مكتظ المواد ، لا يسير على سنن الكون من التقدم والاطراد فى النجاح ، ولا تتقاذفه التغييرات المستمرة لتوخى الكمال حسبما توحى به التجارب والاستفادة من خبرة من سبقونا فى هذا المضمار حضارة ورقياً ، فهو الآن كما كان قبل خمسة عشر عاماً ، وسيظل كذلك بعد ثلاثين عاماً ، على أن هذه

المناهج فى مدارسنا ينقصها بشكل فاضح عدم لفت نظر الطالب الحجازى الى أهميـة وطنه ، ومركزه الاسلامى والعربى ، وعدم الاهتمام بتدريسه أهمية كل مشعر على حدته من مشاعر الاسلام والعروبة ، وعدم استغلال هذه الأهمية لوطننا ومشاعره . . .

الـكتب المقررة فى الفصول من النوع العتيق المعقد لاتناسب بينها وبين معقولية الطلبة وأسنانهم ولا من النوع الذى تستسيغه أفهامهم ، ويتفق ومشاربهم فيتقبلونه قبولا حسنا . . .

ثم هـذه ساعات الدراسة طويلة متعبة تتطلب مجهوداً هائلا ، وتستنزف قوة جسيمة من عصارة العقل ونضارة الجسم . . .

وهذه أيام الدراسة تسير بطيئة متثاقلة ، وعلى وتيرة واحـدة ونمط متكرر لاتجدد فيها ولا تبديل ، فى فناء ضيق يحبس الفـكر ويئد الخيال ، مشبع بالرطوبة والروائح الاكثر تضييقاً على نفوس الطلاب المرحة . . .

وهذا الاستاذ المبارك يحصر جهده ويبرز كل قواه فى السيطرة على الطلبة الضعفاء ، ويقيم بين نفسيته ونفسياتهم سداً هائلا وحجابا كثيفاً من سلطة العسف ورهبته ، وسلطان الاسـتاذية ، وعظمة الرئاسة ، يحول دون التمـازج بين الروحين ، ويضيع الفـكرة الأساسية من التفاهم وازالة الحيرة والشكوك ، يقصر همته العالية على

تفهيمهم نص عبارة المتن فى غير تحوير ولا تغيير كأنه الكتاب المنزل ، ويصب عليهم فهم عبارته صباً فى غير مراجعة أو تفهم ، ويطالبهم بحفظها عن ظهر قلب ، فيميت فيهم ملكة التفكير السليم والابداع المستقيم ـ لنجاحهم فى الفحص السنوى ورفع المسؤولية عن هذا الاستاذ المحترم !! كأن هذا المتن هو ورقة الضمان الكافى لغنى الحياة ! وهذا راجع الى أن مهنة التعليم فى بلادنا لاتتطلب عند من يختارون لمدارسهم معلمين استعداداً كبيراً ومرانا طويلا ، كأن مهنة التعليم عندنا لاتستحق كل هذا الاهتمام والعناية كباقى المهن ، فهى مطلقة الحبل على الغارب ، فكل من خطا فى سبيل القراءة والكتابة خطوة ، وارتقى فى سلم العلم درجة رشح نفسه للتعليم ورشحوه ، ولكن التعليم الصحيح هو الذى ينير الفكر ويعطيك طرقا من المعرفة الى حقائق الكون وأغراض الحياة ! فاذا ما أتم الطالب دراسته لا يكفيه أن يرشح نفسه معلماً ، بل لا بد من اجتيازه دور التخصص فى كل علم أو فن أو صناعة على حدتها حسب ميوله واتجاه نزعاته ورغائبه . . . على أن كثيراً من أساتذتنا الأفاضل يلاحظون عقم هذه الطريقة ، ويقدرون خطر الموقف ، ويودون الخلاص من أسر هذه المهنة المهينة ، أو تقويم المعوج ، واصلاح الفاسد من هذه النظم العتيقة ، والبرامج السخيفة ، ولكنهم فاقدو الارادة ..

يمكث الطالب فى مدارسنا ماشاءت ارادة وليه أن يمكث ، فاذا أتم دراسته وخرج الى معترك الحياة ، وجد نفسه جاهلا كل شىء ، وقاصراً فى كل شىء ، وغبيا عن كل شىء ، يرى البون الشاسع والفرق الهائل بين ما تتطلبه الحياة ، وتستلزمه ضرورة البقاء ، وبين ماقرأه فى المدرسة ووعاه من المحفوظات .

ولعله كان يخيل اليه قبل ذلك أن الحياة مسرح تمثيل لا يلبث ـ ان كان من التلامذة العاديين ـ أن يمثل على خشبة هذا المسرح ماحفظه من جمل الاعراب فى النحو ، وضروب الاستعارات فى البلاغة ، ونواقض الوضوء فى الفقه ! وان ارتقى فى الفهم درجة فلقن يعيد ماقرأه على الأشياخ ، وما حفظه من نصوص عبارات الكتب المصفرة من القدم .

ولم يكن كل ذلك لأن الطالب الحجازى بطىء الادراك ، أو غبي تنقصه قوة فى العزم ورجاحة فى الفكر توصله الى مصاف كبار رجال العلم والمعرفة ، وافذاذ النوابغ والمخترعين !! الطالب الحجازى شعلة ذكاء متقدة ، رمز ناطق للعبقرية والنبوغ والفهم السريع ، ولكن ماحيلته وقد تضافرت عليه عوامل البيئة الفاسدة ، والوسط الموبوء ، وأحاطت به فاتكات العادات المسترذلة ، والتربية المعتلة ، والتعليم الناقص من كل صوب ، وتكالبت عليه سلطة المدرسة

والوالدين القهارة فأفقدته قوة الارادة ، وسدت عليه منافذ التفكير، وجعلته يسير فى هذه الحياة (كالروبوط [1]) فى غير تفكير مستقل أو ارادة فعالة ؟!

وسرعان ماتنتابه عوامل الأسف والأسى على هذا الأمد الطويل الذى اقتطفه من ربيع حياته فى نصب وعناء بين جدران هذه المدارس، وما أغنى عنه فتيلا ، فيرمى بالكتب وكل ماقرأه ظهريا ، فاذا هو فتى ساذج ، وطفل كبير غر يتطلب الملاحظة والرعاية ، تنقصه التجربة ويعوزه المران ، ثم بعد مدة فاذا هو موظف فى مأمورية ، أو يقوم مع والده فى حرفته أداة عاملة صماء ، ويداً للمساعدة شلاء، وتراه عاطلا مهملا يتسكع من دار الى مقهى ومن مقهى الى حانوت؟. وهنا البلاء الجارف والخطر المحيق !.

وتعليم عقيم أبتر كهذا غير خليق بأن ينتج تربية ملائمة لاصلاح حياتنا الاجتماعية ، كما أنه عاجز ممعن فى العجز ومتغلغل فى القصور عن تكوين مبدأ الوطنية فى الحجاز ! لهذا أرى شخصياً أن المثل الأعلى الصالح للتعليم فى الحجاز هو الحجر الأساسى لنهضتنا المقبلة ، وفى سبيل ايجاده يجب أن تتضافر الجهود وتتحد المساعى ، وهو الكفيل بتكوين نظام التربية الملائمة لاصلاح حياتنا الاجتماعية ،

(١) الروبوط : الانسان الصناعى

وابادة هذه العادات السيئة المتفشية ، والنقائص الأخلاقية السارية ! كما أن هذا التعليم الصحيح المشبع بروح التضحية والنبل ، والايمان بغلاء قيمة تراث هذا الوطن العزيز ، ووجوب تفوقه على كل الشعوب بجدارة واستحقاق ـ هو الذى يخلق مبدأ الوطنية فى الحجاز ، ويجعله يتغلغل فى أفئدة الطلبة فيستعذبون التفانى فى الدفاع عن حقوقه والاستماتة فى سبيل عزته ورفعته ، وحينئذ تتجلى الجرأة فى الحق والنزاهة فى العمل ، والاخلاص فى القصد . وتنشط الهمم لاستغلال خيرات البلاد وثمراتها وتكثر المشاريع الاقتصادية والعمرانية النافعة فى البلاد ! وتتهيأ الوسائل لنشر المرافق الخيرية والاصلاحية كالملاجئ والمستشفيات وشتى وجوه البر والاحسان . فأرى :

١ ـ تغيير برامج الدراسة الحاضرة بأجمعها ، والغاء كل كتب التدريس ..... والبحث عن أصلح طريقة لنشر التعليم والثقافة ، والتربية الفاضلة فى طول البلاد وعرضها ، بما يلائم حاجات العصر الحاضر ، وطرق التربية الحديثة ، بمعرفة خبراء فنيين من الخارج ينتدبون خصيصا لهذا الغرض ، ولعل برامج الدراسة فى العراق أقرب ملاءمة وأدنى غاية لما نتطلبه من اصلاح وتجديد ، بعد حذف مالا يتفق وبيئتنا ، ولا يتشاكل ومركزنا الاسلامى ، والاستعاضة عنه بالتعليم الدينى الصحيح على طريقة فلسفية ناجحة . .

٢ ـ اقامة روضة للاحداث، وتفهم غرائز الطفل ، ودرس نفسيته ؛ وجعل هذا الدرس والملاحظات أساساً لتربيته فى أدوار تعليمه المتعاقبة ، واعتبار كل طالب وحدة فى ذاته يربى تربية مستقلة بحسب فكرته وميوله ، ويلاحظ أن يكون التعليم تطبيقياً لا نظرياً . .

٣ ـ أن يكون التعليم الأولى اجبارياً فى كل مدن الحجاز . .

٤ ـ أن توحّد برامج التعليم وطرق الدراسة فى كافة المدارس الحكومية والأهلية . .

٥ ـ ادخال تعليم الرياضة البدنية ومبادئ الكشافة والفنون الجميلة والصناعة الأولية فى مناهج الدراسة . .

٦ ـ فتح دار كبيرة تسمى « دار المعلمين » يتعلم فيها المعلمون كيفية التدريس وأصوله على طريقة فنية مبتكرة ، ولا يزاول مهنة التعليم الا من يأخذ من هذه الدار شهادة الكفاءة . .

٧ ـ فتح عشر مدارس داخلية فى المدن الكبيرة لفتيان رؤساء القبائل ومشايخ العربان والرؤساء تسمى (مدارس العشائر) وتوفد بعثات من المعلمين لنشر العلم وأصول الدين بين أفراد هذه القبائل وفى مضاربها . .

٨ ـ أن يخصص لميزانية المعارف ـ بما فيها البعوث الخارجية ـ ربع وارد الدولة العمومى ! ؟

٩ ـ ايفاد بعثات متعددة فى كل عام للخارج للتخصص فى مختلف الصناعات والتعدين والعلوم والطبيعيات . .

١٠ ـ اعتماد مبلغ كبير يجمع من أفراد الشعب باكتتاب سنوى تحت اشراف الحكومة لبناء دار فى أوجه شارع للجامعة الحجازية على نمط الجامعة المصرية . .

١١ ـ انشاء دور صحية للدراسة غير هذه الدور تتفق وحاجات الطلبة على طريقة هندسية حديثة . .

١٢ ـ تعميم المدارس الليلية بين طبقات الشعب ودهماء العامة . .

١٣ ـ فتح نواد أدبية ورياضية فى كل المدن بين طبقات المتعلمين . .

لعلنا بذلك نخطو خطوة موفقة الى الامام . والله المعين .

خواطر متناثرة :

الحجاز ، وإلام يدعو ؟؟

أللجامعة الاسلامية ؟ ؟

أم للوحدة العربية ؟ ؟

أم للرابطة الوطنية ؟ ؟

الحجاز قلب الجزيرة النابض ، ودماغها المفكر ، وفؤادها الخفاق ترامى فى أعماق الصحراء ، وتغلغل فى الأودية القاحلة الجرداء ليخلص من أرجاس المدنية الزائفة الخلابة ، وأوضار الرفاهية والترف المميت للعواطف والشعور ، فتبقى فيه الحياة سليمة هادئة هانئة ، وتعنو الوجوه لبارئها ، وتخلص له فى الطاعة والعبادة ، وتزكو النفوس وتتآلف القلوب على الاخلاص فى القصد والدأب المستمر على العمل بحسب القوى الموجهة ، والارادة المسيرة للزعامة المتعالية يعززها النفوذ الدينى الأخّاذ ، وجلال الاسلام وروعته الممثل فى كل مشعر وموطن وموضع قدم من هذه البلاد المقدسة .

فكما كان الحجاز قبل ثلاثة عشر قرناً موطن الحكمة والمعرفة ، ومبعث النور لهذا العالم ، حمل شعلة الهداية والناس فى ظلمات الجهل يعمهون ، فأخرجهم بهدى القرآن ، وصفاء الشرعة المحمدية من

ديجور الضلالات، وسخافات الاعتقادات، وجعل الناس كلهم سواسية فى الحقوق والواجبات .

كما كان الحجاز مدرسة كبرى تخرج من محيطها أولئك الشوس الكماة الذين سيروا النهضة الاسلامية بخطوات رزينة هادئة لميدان العظمة والمجد والفتح المبين، وفى مدة نصف قرن صارت الشمس لاتغرب عن أملاكهم، كذلك اليوم لاتزال فى الحجاز - فى زعامته الاسلامية، وسلطته الروحية، وموقعه الجغرافى، واستقلاله الناجز وعدم تدهوره فى تيار الملاهى والخلاعات - لاتزال فيه القوى الكمينة، والمؤهلات المختبئة، وموحيات العظمة للنفوس الطموحة التى تترقب بتلهف وشغف دقة ساعة العمل يدعوها الرئيس العبقرى الملهم، والزعيم الشعبي المنتظر الذى يتخذ من سمو مبادئه ونبل أغراضه وسداد سياسته وارادته الفولاذية قوة لاتغلب، تكفيه أن يأمر فيطاع، ويشير فتخضع له النفوس .

* * *

ولما كان الحجاز المقدس مأرز الدين، ومهد الاسلام والعروبة، وذووه شعب الله المفضل اصطفاهم من خيرة خلقه وعباده، وارتضاهم جيرانا لبيته وحرمه . واختار من ظهرانيهم أشرف الخلائق أجمعين محمدا الأمين صلى الله عليه وسلم المبعوث رحمة للعالمين، وجعل قبلتهم

مصلى تعنو له وجوه كافة المسلمين من أقاصى الأرض و دانيها كل يوم خمس مرات ، وألزمهم بحج هذه البنية الطاهرة والبلاد المباركة من كافة فجاج الأرض وشعابها المتباعدة ... توطئة سديدة ، وتمهيد موفق يوحى الى كل المسلمين من طريق مباشر ان الحجاز هو البلد الوحيد الخليق بتولى القيادة العليا ، والزعامة الحقة على هذا الهيكل الاسلامى الضخم ، ففيه يجب أن تعقد المؤتمرات وتوحد الغايات ، وتوضع قواعد العمل المنتج ، واسسه القويمة لاصلاح أطراف هذا الجسم وتعديل ماتدعو اليه الضرورة ويستلزمه العصر لكل زمان ومكان فى كل عام . ثم فى كل صلاة يتجه فيها المسلم الى هذه البنية المطهرة يتذكر مافرض عليه من الحقوق والواجبات التى أقرها فى هذه البلدة المطهرة المؤتمر الاسلامى العام فيأخذه جلال الموقف وعظمة الديانة فيخلص لما أقره زعماؤه وارتضاه قادته لصلاح نفسه ووطنه وكل بلاد المسلمين .

بعد هذا أيحق للحجاز أن يدعو للجامعة الاسلامية ، أم الوحدة العربية ، أم الرابطة الوطنية فيبقى فى عزلة ولنفسه فقط ، ويفقد عطف العالم الاسلامى ، ويضحى بزعامته الروحية ، وسلطته الدينية التى لا تغلب ؟ !

ونحن اذا أردنا الاجابة عن ذلك فانما نريد أن تكون اجابة

صادقة تستند الى الواقع سواء كان الواقع فكرياً أم مادياً .

* * *

تدور فى أخيلة قادة العالم الاسلامي ، ومفكرى الأمة العربية النجيبة أفكار غامضة ، وآراء مضطربة نحو هذه المبادئ الثلاثة السامية ، وأحقها بالتقدم والعناية ، وبالرغم من كثرة مادار حولها من الحديث ، وتناولته الأقلام بمختلف الأوضاع والاشكال باختلاف النزعات والمكيفات . لا يزال الرأى متذبذبا فى اختيار أحد هذه المذاهب وتقديمه على ماسواه . . أتذكر عند اعتزامي كتابة هذه الكلمة انى سألت صديقا: الى أيها تدعو؟ ، فأجاب فى عجلة ـ بغريزته الدينية ـ الى الجامعة الاسلامية ، فتركته وسألت آخر فأجاب من فوره ـ بوحى من عروبته ـ للوحدة العربية ، فانفتلت الى ثالث فرد ـ عن صدى وطنيته الملتهبة ـ الى الرابطة الوطنية ، وكلهم مثقف جنح فى دعوته الى مختلف الأساليب وشتى البراهين . .

ومن الطبعى أن مثل هذا التقلقل فى الآراء لا يبشر بخير ، ويبدد القوى العاملة لاسعاد الامة والوطن « فلابد للأمة من اختيار مبدأ من المبادئ العامة ، ومثل من المثل الحية القوية يقره الزعماء ، ويعززه نفوذ الساسة فى البلاد يهديها سواء السبيل فى دياجير الحياة ، فهو بمثابة النور الكشاف ينير أمامها ظلام الطريق فتتقى بضيائه

شر العثار [1] » ويعمل كل فرد فى دائرته بحسب قواه المنتجة وسير عمله فى الحياة على تثبيت هذا المبدأ وتعزيزه . .

* * *

« الجامعة الاسلامية » بمعناها الصحيح ، وتنصيب خليفة تكاملت فيه شرائط الخلافة يجمع بين اكناف خلافته السلطتين ، وتنفذ زعامته الى مختلف البلاد الاسلامية المتباعدة ، هى أولى فروض الدعوة الاسلامية ، واليها تدعو فى كل آية من آياتها وفرض من فروضها ؛ وفيها من النذر والوعيد لمن شق عصا الطاعة عن الجماعة مايجعل المسلم يهتز فرقاً من الخلاف لسوء الخاتمة ؛ فالاسلام يأمر بالاعتصام بحبل الله لتكون كلمة الله هى العليا ، ويلزمنا بالاتحاد والتضامن كالجسد الواحد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، وفيه أصلح النظم ، وأقوم المناهج للانضواء تحت لواء هذه الجامعة الاسلامية ، ثم هى من خير مايصلح للحجاز ، ويهيئه لاستغلال نفوذه الاسلامي ، وزعامته الدينية يعزز ذلك ويؤزره استقلال الحجاز المطلق ، وسلامته من العناصر الدخيلة المتباينة ، والفرق المتناحرة ، والشعب المتنافرة

الا ان الدعوة لها فى الوقت الحاضر ضرب من العبث ، ونوع

---

(١) حياة الشرق بتصرف .

من المجون السخيف ، واستخفاف بكرامة هذه الجامعة الاسلامية ، وعظمتها المهولة ، « فزمن الخلافة ولى ، وفكرتها اندثرت ، ويجب على المسلمين أن يعرضوا عنها ، لانها لاتصلح لهذا الزمان ، ولأن الخليفة بمعناه الأصلى الصحيح يجب أن ينتخب انتخابا حراً مباشراً وهذا غير ميسور ، وهو بمثابة رئيس جمهورية اسلامية ، فان صار أحد الملوك خليفة فهو يكون حاكما مستبداً ، وهذا غير مرغوب فيه لأن العالم يسير نحو الديمقراطية والحرية ، ولم يبحث المسلمون حتى الآن فى كيانهم القومي حتى يتخطوه الى البحث فيمن يتولى الحكم ، وهذا آخر مايجب التفكير فيه . فوجب على المسلمين أن يتجهوا الى روح الاسلام . ويستمدوا منها قوتهم (١) » . فأغلب بلاد المسلمين مستعمرات تئن تحت نير الاستعباد وتهتز فرقا من شبح العدو الغاصب ، المتملك الرقاب ، والمتحكم فى الأموال والأوطان ، ولا تملك قوة الدفاع عن أوطانها ورد كيد الكائدين ، أما البلاد الاسلامية المستقلة فدويلات ضعيفة محاطة بشباك من المطامع الاستعمارية ، ولا تتعدى أصابع اليدين عداً ، وهى لاتملك من قوة النفوذ ، واتساع رقعة الملك مايؤهلها مجتمعة أو منفردة للقيام بواجب هذه الدعوة والتفانى فى هذا السبيل . والحجاز اليوم

---

(١) حياة الشرق

لايستطيع منفرداً أن يضطلع بهذه الأمانة، ويقوم بواجب هذه الرسالة، ثم هو نفسه قاصر القصور كله فى مضامير الثقافة والعلم، وتفهم أسرار الكون، والاستعداد الحربى، سادر فى جهله، عما يحيط بنا من قوى هائلة تريد أن تلتهم الأخضر واليابس، وماتوحى به طبيعة هذه البلاد العجفاء من السعى الحثيث وراء الغنى الصناعى والزراعى والتجارى، والقوة بمختلف وسائلها ـ الى الحج والحجاج وما اليه من شؤون الطوافة والاستجداء، فبقينا فى المؤخرة وتقدمتنا أناس كان شوطهم وراء خطونا لو نمشى على مهل. كما قال الطغرائى (١):

* * *

أما تعاليم الاسلام العالية، وروحه القوية المتوثبة فهى منتشرة فى جميع الأمم التى اتخذت الاسلام دينا أو استظلت به. ولا زال أئمة العصر وعلماء الوقت يجدون فيه أصلح الدساتير. ويكتشفون من تعاليمه المثل الكامل للحياة السعيدة. وأقوم الطرق لتعديل ما أفسدته المدنية الحاضرة من النظم المعتلة. وارجاع ماسلبته من طمأنينة النفوس. فأفضل مايطلب منا معشر المسلمين أن لا نقف

---

(١) يشير الى قوله:

« تقدمتنى اناس كان شوطهموا   وراء خطوى لو أمشى على مهل ».

حجر عثرة فى سبيل تغلغل الاسلام فى نفوس المهتدين به من فطاحل العلماء فى أوربا والشرق الأقصى باعوجاج السير والامثولة السيئة ومخالفة ماينص عليه الكتاب ويأمر به الدين « فأول ما يجب على كل امة من الامم (الاسلامية) والشرقية أن تعيد النظر فى تكوينها وتأليفها كأمة . فتشيد بناءها من جديد تشييداً محكما . وتدخل فى كيانها العناصر التى تفيض عليها الحياة ، وتنفخ فى جسمها الروح ، بعد أن تعرف كل ماصدع بناءها الأول من الآفات والعلل فتقتلعه وترمي به ظهريا ، فلا تجعل للمذاهب والديانات سببا لتصديع هذا البناء وتوهين أسسه ، ودعائمه فتتجاوز ماوضعت له من قصد الخير الى التفرقة والانقسام والضغائن والاحقاد . بل يجب تناسى الفوارق بحيث تصبح المرافق المشتركة بينهم رابطة تربطهم وتؤلف بين قلوبهم [1] » وفى هذا كما أرى أعظم بر بالاسلام ، وأصدق خدمة يستطيع أن يؤديها المسلم للاسلام ، وما أجمل تلك الدعوة الموفقة التى ترمى اليها جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة ومن نحا نحوها . .

* * *

أما الدعوة « للوحدة العربية » بين الناطقين بالضاد الذين وحدتهم الثقافة ، واتحاد اللغة والعنصر ، والماضى المجيد وجعلها امبراطورية

(١) من مقال لعمر طوسن باشا فى هلال يوليو سنة ١٩٣٠ .

مرتبطة الأطراف موحدة الاجزاء ، كالولايات المتحدة مثلا . ففكرة قوية ، وحلم ذهبي جميل ، حرى أن تصفق له القلوب بين الاضالع طربا ، ويستجيب له كل عربي مخلص لعروبته ، وهي بمعناها الواسع بعيدة الوقوع في الوقت الحاضر أيضا ، اذ ما دام أغلب هذه البلاد في قبضة اليد الحديدية تتصرف في مصائرها ولو من وراء ستار ، فلا تستطيع البلاد المستقلة أن تمد يد المعونة الى شقيقاتها لتخلص من محنتها وشقوتها ، كما أن زعامة حكامها . ورغبة كل في الاستئثار بالسلطة والتفرد بالحكم مما يبعد القصد ويشتت الغاية . ولقد ضحى الحجاز بالكثير من دماء شهدائه الزكية . ورجاله المخلصين للوحدة العربية على أسوار حلب وحمص في الثورة العربية ، وفتح لدعاة القضية العربية صدره الرحب ، وأسبغ عليهم من نعمه وبركاته العميمة وكرمه الواسع الشيء الكثير ، وبوأهم أسمى المراتب ، فكان عليه الغرم ولغيره الغنم ، والحجازي بعد ذلك ممتهن منبوذ أينما حل وارتحل من هذه البلاد العربية الواسعة . .

أما توحيد الثقافة والتعليم بين الأقطار العربية الشقيقة ، والسعي وراء المصالح الاقتصادية المشتركة ، وتبادل المنتوجات ، ورفع الحواجز الجمركية ، والاستعانة بالخبراء الفنيين لهذه البلدان المتجاورة وعدم التفريق في الحقوق الوطنية بين كل أفراد العرب في أي بلد

من بلدانهم ، وبالتالى السعى فى ايجاد حلف عربى بين الحكومات العربية المستقلة سليم من شوائب الاستعمار ، يكون فى حالة الحرب جبهةقوية ضد العدو المكتسح كالاتحاد الجرمانى مثلا ـ فذلك واجب تقضى به مصالح القومية المتحدة ، وتحتمه المرافق المشتركة الحيوية والجوار . وقد خطت حكومتنا السنية وحكومة العراق خطوة موفقة فى هذا السبيل فى أواخر العام الماضى[1] لفتح طريق التواصل البرى بين الحجاز والعراق . ووضع نظام خاص بذلك روعيت فيه مصالح الجنسين المشتركة فحصل الاتفاق وحظى المندوبون بثقة العاهلين العظيمين . وكان من بوادر ثمراته الطيبة ايفاد فرقة من الكشافة العراقية على طريق البر كان لها من الأثر الخالد فى تبادل الصلة والولاء والتعارف ما يبشرنا بكل خير ، وكذا حصل الاتفاق على الغاء جوازات السفر بين البلدين ، ونؤمل فى حكمة جلالة ملكنا المعظم وملك العراق وحكومتيهما أن يتبعا هذه الخطوة المباركة فى التوفيق بين القطرين وتوثيق أواصر الصلة بين الامتين

* * *

أما الدعوة « للرابطة الوطنية » والوحدة القومية المحلية ـ فهى أحق هذه الدعوات بالعناية وأجدرها بالاهتمام اليوم للشرقيين عموماً

---

(١) عام ١٣٥٣ هـ ١٩٣٥ م .

والعرب والمسلمين خصوصاً لتوحيد القوى والكلمة ، وحصر الجهود فى دائرة محدودة لنوال الاستقلال التام بشتى ضروبه وصوره المتعددة ، الاستقلال السياسى ، والاقتصادى ، والصناعى والعلمى ، والزراعى، والتجارى، والمالى ، فذلك ألزم وأحق بالعناية من السعى وراء الأمانى البراقة ، والاحلام الذهبية الخلابة التى لاترتكز على الواقع ولا تدعمها الحقيقة الملموسة ، سيما وان الدعوة لأحد هذه المبادئ الثلاثة تختلف غاية ومرمى بحسب اختلاف البلدان والبيئة المكيفة . فالدعوة الاسلامية فى الهندمعناها الفوضى والحرب الضروس بين المسلمين ومواطنيهم الهنادكة الوثنيين ! (وقد اتخذ الانجليز من الفروق الدينية فى الهند سلاحاً قاطعاً من أفظع الاسلحة فكان الشقاق بين الهندوس والمسلمين سبباً لسيادتهم دائماً (١)) .

* * *

والدعوة للقومية المحلية والرابطة الوطنية ، وان كان يعدها بعضهم دعوة استعمارية بغية تفكيك أجزاء العنصر الاسلامى المتحد ، وهدم كيان الجامعة الاسلامية ، وأخيراً الامبراطورية العربية التى نشطت الدعوة لها فى هذا الحين ، فلذلك نصيب من الصحة وقبس

---

(١) حياة الشرق .

من الحقيقة ، ولطالما سعى ساسة اوربا ودولها قديماً وحديثاً فى ايجاد رابطة تشبه فى نظمها المتينة وأسسها القوية الجامعة الاسلامية (فأخذوا يطلعون بما طلعوا به فى النصف الثانى من القرن الماضى وبما لا يزالون يعالجون فى هـذا الثلث الأول من القرن الحالى من لاتينية وانجلوسكسونية وسلافية وجرمانية وبلقانية[1]) وآخر دعاتهم المسيو شاتوبريان الفرنسى الذى بح صوته بالدعوة للجامعة الاوربية ، فكان نصيبهم الفشل الذريع فى شتى أدوار دعواتهم ومظاهرها المتعددة .

ولا شك أن الجامعة الاسلامية ، ويبلغ عدد جندها الاسلامى منه والعربى أربعمائة مليون نفس تقريباً ـ قوة مهولة ، وخطر محيق على عظمة دول العالم المتغطرسة لو تآلفت عناصر هذه الجامعة واتحدت أجزاؤها على نحو ما يأمر به الدين المحمدى . أذكر أنه عند اشتعال شرارة الحرب العظمى خشيت دولة هولندا من تأثر رعاياها الجاويين بنزعة الجامعة الاسلامية والانضمام تحت لواء الدولة العلية والمجاهرة بالثورة والعصيان ، فسعت بواسطة سفيرها فى الاستانة حتى استصدرت من الخليفة الأعظم أمراً بعدم تكليف الجاويين بالجهاد ولزوم الحياد .

والحجاز ان تواضع فى مطلبه ، واختار ماهو أدنى من الذى هو

---

(١) من مقال للدكتور عبد الرحمن عزام فى هلال مايو سنة ١٩٣٣ .

خير ، فليس معنى ذلك أنه غير خليق بتولى الزعامة الاسلامية والقيادة العليا لهذا الهيكل الاسلامى المهول ، أو أنه جاهل وغير مدرك عظمة الجامعة الاسلامية وما يجنيه الحجاز ، وكل بلاد الاسلام من عز ومنعة وسلطان منيع فى ظلها الرفيع ، ليس هذا ولا ذاك ، ولكن ماحيلتنا والظروف الحاضرة وملابساتنا الراهنة كما شرحت لك تقضى بالدعوة للرابطة الوطنية للخلاص من ربقة الأسر والاستعباد وحصر الجهود والقوى ضمن نطاق معين يكفل الفوز والنجاح .

ولا يفوتنى قبل أن أختم كلمتى أن أوضح أن هذه المبادئ الثلاثة دعائم قوية يرتكز بعضها على بعض ، فمتى كمل استقلالنا الوطنى بمختلف وجوهه سعينا للوحدة العربية ، ثم نصدع بعد توحدنا واعتماداً على قوتنا بوجوب الانضواء تحت لواء الجامعة الاسلامية .

وليس معنى الدعوة للوطنية أننا نكون حربا ونصراء على اخواننا العرب فى الأقطار الشقيقة ، أو أن نجفو اخواننا المسلمين ونتجاهل عواطفهم السامية وحماستهم المتدفقة نحونا ، فأواصر القربى ، والاخوة الاسلامية ، والمشاركة فى الآلام والآمال ، والنزعات والعواطف والاتجاهات الفكرية كل ذلك روابط معنوية قوية لاتنفصم عراها ، ومن أولى المبادئ التى يجب تقديسها

ورعايتها حفظاً لكياننا العربى وعنصرنا الاسلامى ، وان المحالفة أو المجاهرة بالعداء سراً وعلانية ، أو السعى وراء مصلحة لدولة تعود بالضرر الوبيل على دولة أخرى من الدول العربية أو الاسلامية - ليعتبر خيانة عظمى وجريمة لاتغتفر ، ونصرة للعدو المتربص وخذلانا لديننا الحنيف ، تسود بها صحائف التاريخ ، وتبقى لطخة عار يقرؤها باشمئزاز جيلنا المقبل .

والحجاز اليوم - فى مدنه - لو أردت أن تصطفى من عناصره المتحدة ، وأجزائه المتوافقة العنصر الحجازى الصميم لأعياك البحث ولوقفت حائراً مشدوهاً أمام هذه القوى الهائلة المهاجرة التى تدفقت كالسيل الخضم الى هذه البلاد ، واستحوذت على الكثير من مرافقها الحيوية فطمست - لوفرة عديدها - العنصر الحجازى الأصيل فأضحى أقلية ضئيلة بجانب غيره من الجنسيات . ولكن الحجازيين لايعتبرون هذه الجنسيات العديدة التى تمثل كافة الأجناس البشرية ، عناصر دخيلة ، بل يعتبرونهم وطنيين يقاسمونهم بسخاء وطيبة نفس خيرات هذه البلاد . كما أن هؤلاء المهاجرين المخلصين تجردوا من جنسياتهم فى كافة أمورهم الحيوية ، ويجدون الفخر كله فى أن ينتموا الى الحجاز ، والى كل ماهو حجازى حتى فى تفكيرهم ومشاعرهم ، فهم حجازيون بكل مافى الكلمة من معنى ، وليس هناك

تحزب للجنسية الأصلية ، أو تشيع من أى فريق الى مايجانسه كما هو شأن الجاليات المتعددة فى البلاد الخارجية ، من مباينة كل جالية لما سواها بزيها وعاداتها وكل مظاهر الحياة فيها ، وقد لحظت حكومتنا السنية هذه الظاهرة الحرية بالاعجاب التى منشؤها قوة الروح الاسلامية المتمكنة فى نفوس المهاجرة فسنت قانون التبعية الحجازية فكل من مكث فى الحجاز ثلاث سنوات متوالية يكون حجازياً ويحق له أن يتمتع برعوية الحكومة العربية السعودية .

فالحجاز وان تباينت عناصره ، واختلفت جنسياته فهو وحدة متماسكة الأجزاء ، وقوة متحدة الأطراف ، مؤتلفة فى تفكيرها ونزعتها وشعورها تسير فى متجه واحد نحو خير هذه البلاد ورقيها ، لافرق فى ذلك بين جاوى وهندى وتركمانى ، فكلنا حجازيون ، وللحجاز نحيا ، وفى سبيل الحجاز نموت .



احمد قندیل



ولد بجدة فى أواخر عام ١٣٢٩ ﻫ وفى عام ١٣٣٦ ﻫ التحق بمدرسة الفلاح بجدة فتخرج فيها عام ١٣٤٥ ﻫ وعين أستاذاً بها وفى أوائل عام ١٣٥٥ اشتغل بتحرير صوت الحجاز ولا يزال بها حتى الآن .

الذكريات

دع النفس تسترجع من الدهر عمرها ... فني ذكريات النفس عمر مخلد
وفي ذكريات المرء سلوى وعبرة ... بها يتأسى المرء أو يتزود
فهات اذكر الأيام عادت لحينها ... طيور غيوب تستقر وتصعد
ودعني أناج الحلو منها ممتعا ... وأطرق حزينا والشجي يغرد

« الأماني ! »

وان المنى في عالم الروح جدول ... قلوب الورى في موجه تتبرد
هي السر في هذا الوجود وحسبنا ... من السر ذياك السنا المتجدد
هي الخطوة الاولى لدرك مآرب ... يحققها للناس عزم موطد
هي الشقوة الكبرى لمن عاش رهنها ... وكم هم ضحاياها الذين تبددوا !

« الخيال ! »

وان الخيال الحر للروح متعة ... وهيكل أحلام به تتعبد
وذاك جناحاها وطائر سجنها ... وما سجنها الا الاهاب المجسد
به خلق الفنان أرواح فكره ... من الحسن أوهاماً غدت تتجسد
به صور الاكوان والناس شاعر ... يضل به حينا وآخر يرشد !

« الصداقة ! »

وما الود الا نفحة قدسية بها نجتلى سر الصفاء ونسعد
وما هو فى قلب الخدين لخدنه على مابه الا صداه المردد
فان عاد أمراً فى الكثيرين زائفا ومظهر أوضاع بها يتقيد
فما زال عند الطيبين مقدساً يؤكده فى القلب حب مؤكد

« الصديق »

وياصاحبي ماأنت الا الذى له بقلبي مكان بالحنان ممهد
وما أنت الافكرة مازجت دمى ولابست الروح التى بك تسعد
يمثل معناها لعينى هيكل تصافحه فى شخصك الطاهر اليد
فان تهنا أو تحزن يجبك بمهجتى هناك المواتى أو أساك المبعد

* * *

نخل فؤادى كيفما شاء يصطفق بذكراه أو موج المنى فهو موقد
ودع لخيالى فسحة فى سمائه يطوف بروحى هائماً لا يقيد
ودونك جدد كل حين خواطرى بما تشتهيه . فالحياة تجدد

خواطر متقاربة !!

جاهر برأيك فى الحياة ولا تخف غراً تذرع بالسفاهة أوحسود

وانهج الى المثل الشريف فحبذا الـــمثل الشريف وحبذ الشرف العتيد
واسلك سبيلك كيفما تختاره مادمت مصطحبا به الرأى السديد
فاذا سلمت به فأنت موفق واذا عثرت فمن عثارك تستفيد
ان الحياة تجارب مملوءة عبراً تقدم درسها للمستفيد
والفوز فى شتى المواقف حافز للمرء داعيه الى شرف المزيد

* * *

ان الحياة تدافع وتسارع والموت ـ فى لونيه ـ سيمته الركود
لم يدر ألوان الحياة وطعمها من عاش منزوياً يرافقه الجمود
يمشى مع النسق الذى قد خطه أجداده فى ذلك الماضى البعيد
أو حاسباً للعرف سلطته الخفيـــة غابراً قدسنها الوهم البليد
ولكل عصر سمته ونظامه ولكل نفس ماتعاف وما تريد
يخشى التمرد والتمرد لم يزل باباً الى طرق المفيد من الجديد
خير التقاليد ، التقاليد التى قامت بصحتها نتائجها شهود
والشك فى الأشياء ميزان به الـــأشياء تفحص كى تخلد أو تبيد
كم فى القديم فضائل هى خيرما أبقى وأنتجها لنا العقل الرشيد

* * *

كن فى انطلاقك كالطيور أو البحا ر أو الكواكب جائلا فى ذا الوجود
حراً يسيرك النهى متحصنا بسياجه ومن النظام بما يفيد

إن الذى وهب الخلائق هذه (حرية) جعل النظام لها حدود
واجعل سلاحك للحياة عزيمة هى مثل بأساء الحياة أو الحديد
أتريد أن تبقى سليما مطلقا فيها ومن تلك القوى بنيت سدود؟
عاش القوى مقدسا وممنعا يمحو الضعيف ويستبد كما يريد
وعليه إكليل السيادة صاغه يد الدهاء وساعد البأس الشديد!

* * *

قل للذى ألف الخضوع أو الجمو د مداهنا أو جاهلا سير الجدود
إن الوجود تحرر لا ربقة لم هؤلاء ـ وذاك سيدهم ـ عبيد ؟
إن الحياة تجـدد متواصل أبغير ذا للناس قد كتب الخلود؟

* * *

هيهات أن نبقى كما تقتادنا قد آن تحرير النفوس من القيود ؟

حذار يا نفس !

ياهاته النفس ماذا أنت راغبة وأى عيش جديد ترتجين سدى؟
أشاقك اليوم ذياك النعيم طوى فى الملبس الرطب قلبا عاش مبتردا؟
أم هاجك البؤس هذا طالما ألما يكوى بجنبيك قلبا ظل متقدا ؟
أتبتغين حياة الذل ناعمة ؟ عيش الأذلاء للاحرار كان ردى
أتسأمين حياة الجد جافية ؟ من فاته الجد أفنى عمره بددا !

فاستعذبى الشجو يأتينى به أبدا   تطلبى مثلا فوق الذرى ابتعدا
واستلهمى الفن أحلاما مجنحة   يسمو بها شاعر للخلد قد عبدا
واستبدلى بشقاء الحس فى جسدى   فى عالم الروح عيشا خالداً رغدا
ولا يرعك ـ وأوجاع الدنى شيع   انى ـ بسمع الدنى للبؤس كنت صدى
فمن يعش بالضمير الحر معتصما   هيهات هيهات أن يستشعر الرغدا

* * *

حذار يا نفس ! ترديد المنى ولعا   بما تريدين كفى واهجرى الحردا
ألا تزالين طول الليل ثائرة   نامى اهدئى طال عمر الليل وانجردا
أقلقت منى ضميراً هاج مشتعلا   يا ويلتاه اذا ما اهتز وارتعدا
فاستسمحيه وصلى الآن تائبة   واستوح من ملكوت الفضل خير هدى
واستغفرى وهلمى عند كعبته   أمام عزته الكبرى نمد يدا
وحاذرى بعد أن تصبيك بارقة   من الأمانى والا تصحبى الرشدا
هذا ضميرك لا تغفو نواظره   مراقب منك ما تأتينه أبدا !

بعد الجفاء !

عطفتِ على قلبى فما أمتع الهوى   وما أمتع اللذات تغمر إحساسى !
وجئت الى الآن يسترك الدجى   عن الحاسد الواشى وعن أعين الناس !
تميسين ! يحدوك الوفاء وخفقة   بقلب لايمان الهوى ليس بالناسى !

طويت الدياجي ـ لاعدمتك ـ بعدما		طوى العتب من هجراننا كل قرطاس!
فأحييت قلبا كان بالأمس هامدا		فعاد طروبا خافقا جدّ حساس
وآنست «وكراً» لا يزال محببا		اليك وان طال النوى فوق مقياس!

* * *

فياهيكل الأحلام في معبد الهوى		ويا منبع الآمال ملأى بايناسي
ويا كوكبا في أفق عمري تألقت		أشعته فانجاب غيهب إبلاسي
دعي زفرات النفس تشكك الجوى الذي		أعانيه ان لم تمسيه باتعاسي
دعي قلبي الخفاق يهمس مصورا		هواه الى قلب بصدرك هماس
فكم بات في صدري وحيداً معذبا		يكابد أهوال النوى ويقاسي
ضعي شفتيك الغضتين على فمي		لتطفيءُ من برد اللمي حر أنفاسي !
وخلي ذراعينا يضمان جسمنا		كما ضم قلبينا غرامهما الراسي !
فياطيب ليل أنت فيه جليستي		وكان الضنى والهم والشوق جلاسي!
ويابهجة الدنيا اذا دان للفتى		بها القدر العاتي أو الأمل القاسي

* * *

حنانيك لا تمضي فما أطول المدى		اذا غبت عن عيني وعاودت وسواسي!
ويا ربة الالهام ماهز خاطري		وألهب فكري في الدجى وحواسي !
وعينك لولا مأمل متجدد		يؤازره حينا تعطفك الآسي !
ولولا حقوق للشباب وموطني		أريد قضاها كنت ساكن أرماسي!

مناجاة الحياة !

أنا فوق ثغرك ياحياتى ، قبلة   قد كنت إذ كان ابتسامُكِ صادقا !
وعلى ربى روض الطفولة : فلة   أهتز فى كفيك دوماً عابقا !
ومن الصفاء أو البراءة : شعلة   انساب فى عينيك ضوءاً رائقا !
بين الحفاوة والبشاشة فى ربا   ك ، لقد ولدت وان بكيت لدهشى !
وعلى بساط اللهو فى روق الشبا   ب ، مشيت فيك فما أعرتك لفتتى
حتى اقتحمت مجاهلا ومفاوزاً وسط الطريق !
خلابة ظلت كلألاء السراب أو البروق !

* * *

واليوم صرت أياحياتى : قطرة   حيرى تلمس فى خضمك دربها
وبمهجة الليل الكئيبة : زفرة   تشكو إلى فجر السعادة كربها
وبوقدة الشمس المضيئة : جمرة   حرق الفؤاد بخور حسنك قربها
ومن الظلام لقد أتيت لذاصبو   ت اليه فى جنح الدجى وقت الشجون
ولدى سكونك فى انفرادى كم جلو   ت ، السر منك لذا حننت الى السكون
مستلهما سراً يكون لنجدتى خير الرفيق !
فلقد غدوت ببحرك المتماوج الطامى غريق !

* * *

أنا بين ماضىّ المنير وحاضرى الد   اجى وتحت غمامة المستقبل

متفائل متشائم فى فكرى الدا   مى عراكٌ هائل لا ينجلى
أبداً أظل برحلتى كالهائم الد   اعى اليك بحيرة وتأمل
فلقد رأيتك ياحياتى مثل رو   د ، ذات قلب عابث قلق ضنين
لاتصطفين سوى محب حام حو   لك هائم متفزز لايستكين
ولثمت فاكِ فكان خمرىَّ اللمى حلو الرحيق !
لكن نشدت الطهر فيك فما وجدت له عبوق !

* * *

أنا إن هويتك راشفاً سكر الهوى   من فيك لم يخفق فؤادى للغرام
ولئن ضممتك كاتماً حرق الجوى   فى مهجتى لم أنس آلام السقام
فاذا جفوتك مستهينا بالنوى   فلقد وجدت بقربك الموت الزؤام
انى عرفتك لا وحقك بل جهلـــتك أنت معنى لست أحسن فهمه
أو كان يعرف يا حياتى لو سألـــتك غيره من كان يجهل كنهه ؟!
من أنت ؟ بل قولى بحقك من أنا ؟ فأنا الصديق
المكره الصادى الفؤاد ، أنا الأسير أو الرقيق
أنا من ولدت مزوداً بهواكِ يجرى فى العروق
سأظل حولك ساخراً دهشاً بذياكِ البريق
متصابيا أسقى الرضا حينا وأشوى بالحريق
حتى اذا انكشفت ستارتك الصفيقة فى المضيق

سأكون ويلك مع ضحاياك الرقود بذى الشقوق
وأعود فى كنف الخلود أو السما - روحاً طليق

بدران !

بدران : بدرٌ سماءِ الافق مطلعه   وآخر بصميم القلب سكناه
هما استحلا سهادى : واحدقلق   يغرى السمير وثان عز مرآه

(طاب ليلى !)

طاب ليلى وحبيبي لم يزل   هامساً بات يناجى فى مهل
صبه المضنى فجد لى بالقبل   ياحبيبي تحت ضوء القمر
حين ضم الصدرْ

* * *

هدأ الليل وضوضاء الصحاب   وغدا الناس يسقينى الرضاب
والتقى الصدرمع الصدر وطاب   فى هدوء الكون ليل السمر
وارتشاف الثغرْ

* * *

لاتظن الشوق منى قد برد   باللمى البارد بل عاد أشد
ياحبيبي قد دنا الفجر وقد   ملأ الجو ضياء السحر
قم نحيي الفجرْ

قم نحيي الفجر قبل النائمين   ها هي الأطيار بين الياسمين
غردت وانساب سلسال المعين   بارداً يروى شفاه الشجر
من فؤاد النهرْ

***

هاهو الورد وقد ذاق الحميا   من فم الفجر يناجيه شذيا
وكما هز فؤادى شفتيا   فتح الورد ثغور الزهر
للنـدى والقطرْ

الى الشعب !

لسنا من المجد فى أعلى منارته   أوفى الطريق ! قطعنا منه ماعظما
لـكنما نحن شعب يرتجى أملا   ضخما، وأرقى أمانى الشعب ماضخما
ومن رجى وسعى بالجد متشحاً   بالصبر مدرعا - نال المنى نعما

***

ياقومنا الآن حلقنا بناظرنا   وقد مددنا ضعيفاً ذلك القدما
فجردوا الجد من أغماد أنفسكم   ولتنفروا كتلا، واستنفروا الهمما

***

قوموا نجدد من المجد التليد لنا   مجداً طريفاً - يبارى عزه الامما
أحيوا الجدود مفاداة وتضحية   روحاً كبيراً وعقلا ناضجا حكما

وابنوا على النسق الأسمى حضارتنا   واستلهموا الشرق حيا خير مارسما
واستلهموا النسق العصرى مانطقت   فيه البراعة والاعجاز فانسجما
خذوا «من الغرب» مارف الجديد به   روحا جديداً تسامى اليوم محترما
خذوا العلوم على الطرز الحديث خذوا   منه الفنون خذوا الأفكار والنظما
خذوا الصناعات والأعلاق منه، دعوا   مالم يكن وجلال العرب ملتئما
ولتنفروا عن سموم منه ـ افتكها   ماخالف الدين ـ ماقد خالف الشمما

* * *

ماضر استاذه بالأمس ان أمرت   أزمانه، فأتاه اليوم. واحتكما
هل عاب من قلد الرئبال حين غدا   صياده، أنه حاكاه ـ فاقتحما
الفرد بالفرد ـ يستهديه ـ مكتمل   والخلق بالخلق شادوا الكون لا جرما

* * *

فابنوا المعاهد شتى فى تنوعها   إن المعاهد للاوطان خير حمى
هى المعاقل فى أقوى مناعتها   هي المنارات، يسرى ضوءها عمما

* * *

إن تشتكوا العدم جدبا فى مرابعكم   لم تعدموا العزم ـ يستسق الغنى ديما
تبارك العزم فى أقوى طبائعكم   لو صاحب الرأى والتدبير فالتأما
فاستثمروه لأعلى مقصد خطر   وهذبوا النفس والافهام والشيما
ولتنشروا رمم الأخلاق بالية   تستصرخ الحر، تستبكى الفؤاد دما

فانما الخلق العالى ـ لصاحبه للشعب ـ فى هذه الدنيا سلاحهما

* * *

مرحى؟ شباب بلادى المستعز بها من قد تجاروا الى درك العلا قدما

من كل حر أديب . كاتب لبق أو شاعر ؛ روحه قد لابس الكلما

سيروا كما رسم الروح النبيل لكم نهجا شريفا ، وقصدا ساميا عظما

ولا تنوا الآن لا تستفردوا فرقا قد هاجم البغض فيها الحب واختصما

و ناضلوا العجز وهما من عقيدتنا واستأصلوا كل داء يضرم الألما

من الجهالات كثراً فى تفاوتها من الخرافات، تبكى تضحك الفهما

من الخمول عريقا فى تقادمه من الجمود بليداً طال واحتكما

من كل ما نشتكى من كل ما زخرت به الحياة التى كانت لنا عدما

لا تحجموا اليوم لا تخشوا مغالبة فالله نزه منكم هاته الذمما

إن اليراعات باتت فى أناملكم مثل الاسنة تفرى الجيش منهزما

سيان عند اكتساب الجد من قدم من شرَّع الرمح أو من فوَّق القلما



حسين خزندار

حسين خزندار

ولد بمكة فى أواخر عام ١٣٣٦ هـ والتحق بالمدرسة الخيرية عام ١٣٤١ هـ حيث تلقى بها مبادئه الأولية ، وفى عام ١٣٤٣ انتقل الى جدة حيث التحق بالمدرسة الهاشمية فيها ثم بمدرسة الفلاح ، وفى عام ١٣٤٤ قفل راجعا الى مسقط رأسه حيث التحق بمدرسة الفلاح فتخرج فيها عام ١٣٥٣ هـ .

الطموح والاعتدال

فى الطبيعة الانسانية شذوذ يخلقه التركيب الخلقى ، والملابسات الحيوية . والانسان بطبيعته ميال الى التأثر بمؤثرات الحياة المختلفة ، وهو مرغم على السير تحت ناموس للطبيعة مهما كان ذلك الطريق قاسياً ومهما كان صعب المرتقى ، ولكن طبيعة الشباب ، والفتوة الحارة تجعل منه قوة صامدة لكل تلك المؤثرات ، فغرور الشبان ، ورزانة الشيوخ ، وحكمة الكهول انما هى امور تتطلبها الحياة وتخلقها بتأثيراتها ، وعواملها المختلفة ، ولقد ترى معى ان الفرق بين الشيوخ والشباب على أبعد حدوده ، وأقصى مداه . ولكن اذا علمت أن طبيعة الشباب المتحمسة للحياة مع مابها من قوة وعزم لاترضى الأمور الا بالغلبة والقهر ، وان مرونة الشيوخ العقلية ، والاصالة فى الرأى تدفعهم الى السير فى طريق سلمى هادئ علمت مدى هذا التغيير وتلك الحرب العوان يشنها متحمسة الشباب .

الشباب طموح وفى الشباب خفة ، وطيش ، وقوة ، وخور ، وفى الشيوخ حنكة فى الأمور ، واصالة فى الرأى . ولكن عزيمة الشباب الجبارة لاترضى الا بالذهاب صعدا وتحطيم العوارض الطبيعية ، والفوارق الأخرى مهما استعصى أمرها وطال ثباتها

أما الشيوخ فقد أخذت الحياة منهم مأخذها ، وغاض ماء

الشبيبة الحى ، وجمد دم الشباب المتحمس فى عروقهم ، وفترت فيهم عزيمة الحياة فأصبحت تخيم على نفوسهم ظِلالة من الخمول ، وتحوطهم هالة من الفتور والخمود فلم تبق الا ثمالة ليست بينها وبين الموت الا خطوة ثم تنفرج . والشباب يريد لما له من القوى المذخورة والنشاط الحى ، وما أولته الطبيعة ، وما حبته نواميس حب البقاء ـ أن يزحزح من مكانة الشيوخ لكيما يتسنى له التسيطر على موارد الأمور ، ومصادرها ، فهو لايحب دائماً أن تسود أعماله هاته السكتة من الخمول ، وهو يرى أن رقى الأمة ونجاح الشعوب انما يكون بالطفرة البعيدة والتربع على مقاعد المجد .

لذلك ترى العداء بين الشبيبة والشيوخ على أشده ، ووجهة النظر متباينة الأطراف معقدة الاصول ، وعندى ان الذنب كل الذنب انما هو واقع على الفريقين . أما الشيوخ فقد سبقتهم رزانتهم فى هذا الموضع بمراحل وفاتهم أن يتداركوا الأمر بحكمة وروية فانقطعت وشائج الصلة بين الفريقين واشتدت الأمور توترا وجفوة وقام كل من الفريقين يكيل لصاحبه السباب ويقذف صاحبه بكل مايصل اليه فكره وتمليه عليه نفسه ، وبذلك أصبح الشباب يتخبط على غير هدى حتى امتلأت نفوسهم بالشر (فكانت كالبئر لاتزال يهمى فيها المزن حتى اذا امتلأت سالت). وأما الشيبة فلكونها سمت

بأنظارها الى المثل العليا وتطلعت الى الحياة المجيدة الهانئة ترتقبها وتنزلها من عليائها فطمحت بأنظارها ، وحلقت فى أجواء الخيال فلعب بها الغرور وصدمتها قيود الحياة التى لا ترضى لما تعبدته أن يخرج عن ظلالها فيقلب نظامها ، ويهدم بنيانها .

وظروف الحياة وتقاليدها هى كغيرها فى كل العصور ، وعند كل النحل فالنشوء التدريجى والارتقاء والتطور من أهم العوامل فى بناء صروح الحضارة والمدنية .

والشباب يرى لثقافته الحديثة أن من الواجب اتباع النظم والتقاليد الغربية، لشكلها البديع وقسامتها الرائعة، فهو يريد أن يحمل الشيوخ على هاته الحياة الجديدة التى لم تألفها أنظارهم ولم تأنس بها قلوبهم،فهم لا يؤمنون الا بما كان عليه سلفهم وان كان معوجا لا يتلاءم وروح العصر ، وحياته وطبيعة التطور فتبقى الحياة على أشدها خصاما ، ونضالا ، وقطيعة ، وجفوة ، وتذهب جهود الفريقين أباديد يلعب بها سلطان الضغينة وتتقاذفها أعاصير الحياة ، ولن يتورع أحدهم من رمي أخيه بالزندقة والمروق من الدين . والفرق بسيط كما رأيت ، وليس هو الا تفاوتا فى فهم الحياة وتتبع نظم المعيشة . وعلاج الحالة الناجع انما يكون بتفاهم الشبيبة والشيوخ على أساس التمازج المطلق لينشأ من ذلك خليط يجمع الى حصافة الشيوخ ، ورزانة

الكهول روح الشباب القوية ونشاطه المتواصل وحركته الدائمة. أما الطموح كما يتفهمه الشباب بمعناه فلا أراه الا تبذيرا فى القوى واضاعة للمجهودات . وعندى أن لو اعتدلت الشبيبة فى سيرها لكان لها ماتتمناه من بلوغ الغاية المتلألئة ببريق الخيال وشعاع الأمل الذى يعمر قلوبها ويتملك زواياها (فالطموح - الاعتدال — النجاح) .

ذراع الجبار !

هاجمت الجيوش الالمانية احـد الحصون الافرنسية واستهدف قواده وحاميته للخطر . وكانت الفصائل الالمانية تقطع الطريق على الجيش المحاصر فتمنعه النجدات، وأرسل القائد الجنود الواحد تلو الواحد لاستغاثة القيادة العليا . ولـكن لم تصل الرسالة ولم يصل الجندى ، وأخيراً تطوع أحد الجنود لحمل الرسالة وهو يعلم أنه بذلك سوف يسلم نفسه لقنابل الأعداء وان فناءه سوف يغدو على بعد لحظات منه ، وسار بقدم ثابتة حتى وصل الى مفترق الطرق فوجد جثث اخوانه الجنود قد مزقتها القنابل . وحـدث أن انفجرت قنبلة أودت بحياته ، وفى تلك اللحظة تمـالك نفسه حتى وصل الى مرتفع يراه النظر وهناك أسلم الروح !

ولكن يداه لا تزالان مرفوعتين تقبضان بشدة على الرسالة !

ومرت احـدى الدوريات الافرنسية فاستنقذت الرسالة . لم يصل الجندى ولـكن النجدات اخـذت تتوالى ، حتى كانت الغلبة والقهر لهم على الالمـان .

« ١ »

استيقظى يافتاتى قد اختفت صفحة البـدر وراء تلك الجبال البعيدة ، وبدأت أشعة الشفق تبدو وئيدة كابية خلف الغمام ! .

وهلم فتعالى الى المحراب .

فقد آن وقت الصلاة !

وابتهلى الى الله فى أن يديم هناءك وسعادتك !

واسأليه أن ينير لك طريق الحياة الوعر .

وأن يديم لك السعاة والهناء

فى ظل الحرية !

فـكل نأمة من نأمات الطبيعة !

وكل حركة من حركاتها

رمز من رموز الحياة

وسر مستغلق فيها

وبيانه !!؟

الحرية ، أو الموت !!

« ٢ »

أرأيت تلك السهول الفسيحة ؟

فهناك فى تلك الاكمة الخالدة ؟!

وهناك حيث التضحية والشهامة !
تثوى عظام الجبار الخالد ! !
فهي رمز الخلود الدائم .
تنادى من أعماقها :
الحرية ، أو الموت .

« ٣ »

تعالى يافتاتى ولننشد نشيد السعادة
مرددين مقطوعته العذبة .
الحرية أو الموت ! !
فالحياة بدونها كابية كئيبة
والحياة بدونها موحشة قد ارتدت سلاب الحزن
فهى سر الحياة كالأرواح .
ومنبع الاحساس فى نفوس الاباة .
فاما الثريا ، وإما الثرى !

« ٤ »

وهنا فى هذه التربة المعنبرة
بدماء الشهداء الخالدين !
يقيم ذلك الرجل المجهول .

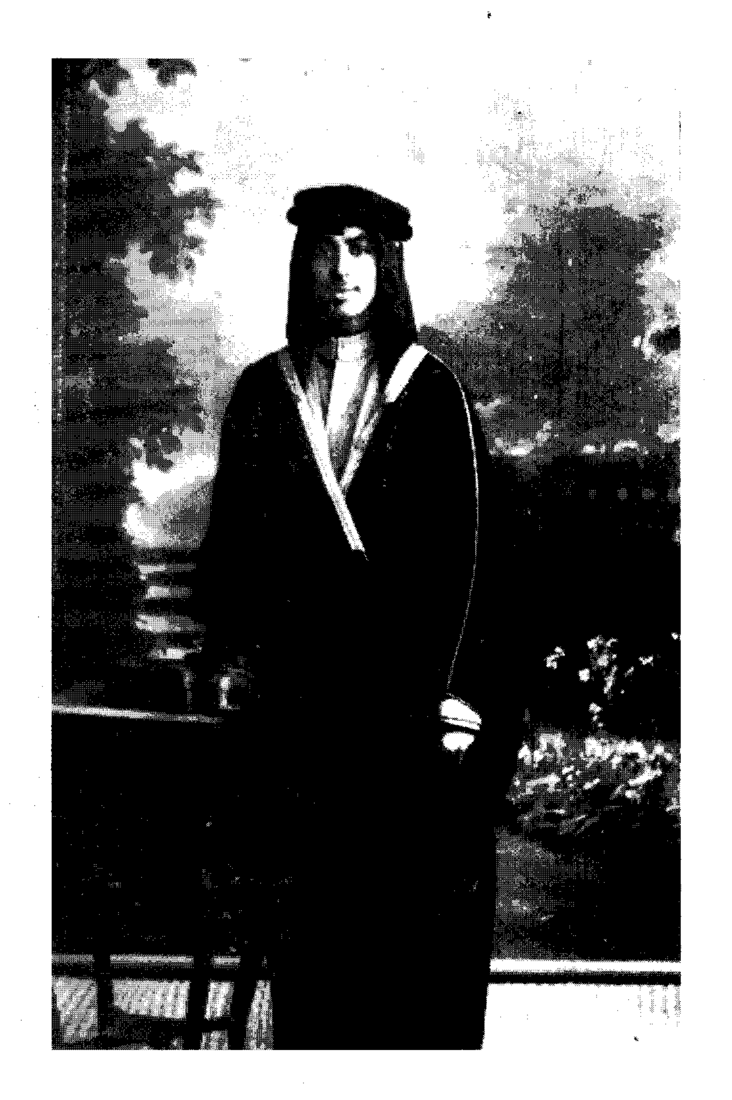
الذى ضحى حياته .
واستهدف للفناء .
ولـكنه لم ينس الوطن
حتى فى اللحظة الأخيرة
فرفع يده كذراع شمشون
واستشهد قائلا .
فى سبيل الوطن أحيا !
وفى سبيله أموت .

« ٥ »

وهـكذا قضى المسكين
ولـكن بلاده العزيزة
مهد هنائه وراحته
قد أصبحت بمنجاة عن الخطر
وهـكذا تكون التضحية
وهكذا يكون النبل والشهامة
وكذا تكون حياة الشعوب
فى ميادين الاستقلال

« ٦ »

وهيا فلنصل لروح هذا النبيل
فان نفسه ترقص لمرآنا .
وان دمه الزكى العطر
الذى أراقته قنابل الأعداء
لم ينس وطنه الاعلى
بل ظل ينادى بحياته
حتى أسلم الروح .
يردد أنشودة الحياة العذبة
فى سبيل الوطن أحيا . . !
وفى سبيله أموت . . !



حسين سرحان

حسين سرحان

ولد بمكة سنة ١٣٣٤ وهو من قبيلة الروسان من (عتيبة) المعروفة فى الجاهلية وصدر الاسلام بهوازن، وتلقى دروسه بمدرسة الفلاح بمكة وتركها عام ١٣٤٩ واشتغل بالأدب بعد ذلك حتى الآن .

طلل فى جوف قلب

فى جوف قلبي طَلَلٌ دارس　　عفا عليـه الدهر حتى محاه
يعج بالآمال حتى هوىٰ　　فى ذكريات كان فيها رداه
آثار حب ومغانى صبا　　أيام كان العمر حـلو جناه
كم حل فيها من حبيب مضى　　طواه فى ربع البـلى ماطواه

* * *

مافى فؤادى غير ذاك الصدى　　من ذلك الصوت الجميل الرقيق
من عاج بالاطلال يَعتَامُها　　أراق من أجفانه مايريق
يطرح ثقـلا من هموم الهوى
فيها كشأن «البحترى» فى «العقيق» (١)
يا قلب ما أوعدت حتى تفى　　ولا حسوت الكأس حتى تفيق

* * *

هبت جنوب وزفت شمْأَلُ　　فانَّ ذاك الطلل الدارس
وقال حتام يجول البـلى　　فىَّ ويعثو العاصف الرامس ؟
كم طلل عاج به شاعر　　يحيي به ذكراه أو فارس

---

(١) اشارة الى قول البحترى :

وقفة بالعقيق أطرح ثقلا　　من همومى بوقفة بالعقيق

والهفتى . كم دمنة اقفرت   لم يغرس الذكرى بها غارس

* * *

فقلت ياذا الطلل المجتوى   أصدف عن السلوى وبث الأنين
لِعِلَّةٍ مجهولة قمت في   قلبي لتأوى فى القرار المكين
فألهم المحزون ألحانه   واقرأ عليه سورة الخالدين
مادب ذاك السقم فى « جوليا »   الا ليستوحيه « لامارتين »[1]

دمية الحسن !

تفتح شبابها عن جمال رائع فاختطفها
الموت قبل أن يحين قطافها !

يادمية الحسن فى افياء وارفة   من الخمائل يجرى حولها الماء
ما كنت أحسب ان الموت مرتقب   فيك الأوان الى أن مسك الداء
وأنت صامتة لا النفس جازعة   وان تأفف من بلواك أعضاء
ولا فؤادك خَفَّاق ولا بدرت   منه العواطف تزجيهنّ ضراء
وهذه عينك الشهلاء[2] ساجية   يزينها فى مجال النزع إغضاء
كانها عين مسبوت رأى حلماً   يروق فارتسمت فى الوجه سراء

(١) راجع رواية رفائيل للفونس دى لامرتين .
(٢) أقل من الزَّرَق فى العين وأحسن منه ، أو أن تشرب الحدقة حمرة « عن القاموس ».

وصاح كل حبيب شاكياً ولهاً وأنت اذنك عن شكواه صماء
واستضحكت شفتاها ثم قَلَّصَها جفاف ثغر له من قبل إرواء

***

أريد أسلو. فهل ذكراك مسعفتى؟ ذكراك نار تذيب القلب حمراء
لَـكِنْ تأسيت والتأساء ذاهبة سُدًى ولا تنفع المحزون تأساء

توبة !

أيهـا النفس قد أطعتك حيناً وعصيت الإله والوجـدانا
قد مضت نزوة الشباب . فكُفِّى اننى مزمع لك العصيانا

هوى فى حبيب ؟!

فتحت له قلبي ليؤويه ظله فلما أوى فى ظله عاث لاعبا
كذلك يلهو بى الغرام فليتنى تركت الهوى عنى ومنحاه جانبا
دلال بعين الفكر القاه محنة ونفسى تراه كالفريضة لازبا [1]
وقال فؤادى حين أدبر صبره أؤدى اليـه بالتصبر واجبا
فقلت نعم . لـكن الى غير غاية ستهواه ياقلبي وتلقى المصائبا
فواهاً لقلب قدس الحب واجتبي هواه فما استصفى سوى الحسن صاحبا

---

(١) لازبا بمعنى لازم .

وواهاً لعين كلما قلت أقلعى　　وأيقنت ان الدمع قد عاد ناضبا
تبادر منها الدمع ينهل جوده　　كأن دموعى تستميح السحائبا
ويبلغ بى همى الى أن أرى المنى　　وإن كن يصدقن الوعود كواذبا

ثغر رفاف!

أتتقى الله خوفاً ثم تقتلنى　　من يقتل النفس لا يخشى من الله
ما كان أحلاك من ثغر يخف له　　روحى وأرواح أمثالى وأشباهى
ما افتر مبتسما إلا ليفهمنى　　بأنه المستبد الآمر الناهى
قد كان عزى وجاهى فى سموهما　　واليوم أصبحت لا عزى ولا جاهى

ساعة رضا

أو

على وتر أورفيوس (١)

ساعة الرضا عند المحبين تشبه ساعة المتصوفة ، وفى كلتا الساعتين النادرتين تستلهم النفس من بدائع الايحاء وروائعه خطرات لماعة ثرة تتضاءل أمامها قوة الادراك ويضيق عنها مدى التصور !

ما رأيت ابتسامة منك حتى   أشرقت ساعة التجلى عليا
فسما الروح للفضاء وشعت   سبحات الضياء عن جانبيا
« لا رعى الله عهده من صدود »   قد كوانى بين الجوانح كيًّا
ياحبيبي أصبحت فى الحب شيخا   فأعد نزوة الشباب إليا
بحديث كأنه الحلم الصا   فى جميل يرن فى أذنيا
وشعاع من ناظريك يفيض السـ   ـحر يغرى الخيال ، عذباً قوياً
أنت كالصبح مشرقاً، وكورد الر   وض نفحاً ، وكالملاك بهيا
هاتها قبلة تعيد على أسما   عنا لَحْنَنَا القديمَ الشجيا

(١) اورفيوس كان شاعراً يونانياً مجيداً وعزافاً مشجياً على العود وكان اذا حرك أوتار عوده لتوقيع ألحانه تهافتت عليه أسراب الطيور وفصائل الوحوش . وله فى الاساطير الاغريقية مع محبوبته « يوريديس » قصة فذة تجمع بين متعة الخيال وسمو الفن .

وأعدها فيالها من عُقار قد شفت فى الصدور داء دويا

* * *

يامثير الغرام جوف فؤادى ومفيض الشؤون من مقلتيا
ان نسيت المحب من كبر النف س فلا تجعل الهوى منسيا
ما شربت المدام لكننى ذة ت مداما أشد منها فريا
خمرة الحب أسكرتنى فأضحت سائر الكائنات بين يديا

* * *

بُثَّ من روحك القوى وأضرم نفحات الخيال والشعر فيا
وترفق فسوف يغدو هوانا عبقريا وشعرنا مرويا

الى النجم البعيد !

ونجم بعيدالافق يهريق ضوءه على عالم يلقاه بالبسمات
اذا استشرفت عين لرؤيته نبت وتاه بها فيض من السبحات
تنورته وهو السحيق مكانه بذهن كثير اللحظ واللفتات
اذا هجع السُّمار ارسلت نحوه لواحظ عين غير ذات سبات
نأى ونأى منى على الرغم جانب وما النأى بالمجتث جذر نباتى
لئن شط عنى ان ينى وبينه أواصر حب وارتباط صلات
وانى لموقوذ بحزن مخامر وما اسطعت منه أن أبث شكاتى

وفى النفس مافيها من البشر والمنى   وفيها عقابيل من الحسرات (1)

***

رأيتك يا نجمى فهلا رأيتنى ؟   وكيف ترانى فى قرار فلاة ؟

فارهفت احساسى وذكرتنى هوى   قطفت جناه فى ربيع حياتى

واسقبت لى حلماً أراه على المدى   عصياً فعاد الآن جد مؤاتى

ورف على قلبى خيال محبب   رقيق الحواشى ذو ندى وشيات

يطيف به حتى يعاوده الرضى   ويطبع آلافاً من القبلات

منحتك من شعرى بواكير غرسه   واهديتك المختار من خطراتى

وقال أصيحابى: لقد فاتك الهوى   « ألا رب شىء عاد بعد فوات »

زفرة أسى !

ضغط الأسى قلباً كسيراً ماله   بكفاح احداث الزمان يدان

وإخال انى لا أحس بنبضه   فى الصدر لولا شدة الخفقان

والحول حول الله لا حول امرئ   عصفت عليه زوابع الأحزان

من كل ناحية تعاوره يد   اخفاق آمال وهدم كيان

والجد يتّبع الغباء وليتنى   ذاك الغبى فيستطيب زمانى

ما نعمة العلم التى نبلى بها   إلا سبيل البؤس والحرمان

---

(1) العقابيل بقايا العلة والعشق وغيرها.

لو أن كل معارف يبلى بها الـ إنسان تنبذ فى حضيض هوان
لنبذتها عمـداً لأصبح جاهلا ويبنيلنى جهلى أعز مـكان

خطرة !

طلبت ندى الزمان فما تسنى وحاولت الثراء فما أتيحا
كذلك رضت بالحرمان قلبـاً غدى من بعد جدواه شحيحا

ليته كان مثلى !

صاح من دهره وبث شكاة وتمنى لو كان فى العيش مثلى
موقناً انى سعيد وانى اقضى العمر فى نعيم وفضل
لست أدرى ماذا أقول ؟ ولـكن ليته كان مثلما شاء مثلى

* * *

لسقته الحيـاة كأساً مريراً فائضاً من شقائهـا ملآنا
ولذاق العناء والبؤس ألوا نًا ولاقى من دهره حرمانا
مثلما ذقته وكـابدت منه ألم النفس . ليته كان مثلى

* * *

ليته عاش مثلما عشت حتى لايغرنّه خداع المظاهر
أظهر الصـبر للأنام وفى أعـــماق قلبى بركان (فيزوف) ثائر
ليتنى كنت مثله فارغ القلـــب خلياً . وليته كان مثـلى



حسین سراج

حسين سراج

ولد بالطائف فى عام ١٩١٢ م وتلقى علومه الابتدائية بمدرسة الفلاح بمكة . ثم رحل الى شرقى الأردن حيث أخذ به علومه الثانوية وبعد اتمامها التحق بالجامعة الاميريكية فى بيروت وسيحمل فى نهاية هذا العام (١٩٣٦ م) شهادة B . A منها .

الى الشباب الحجازى الناهض

ايه أرض الحجاز حسبك ذكرا قدك نشء ، غذوته فأبرا
أنجب الروض روضك الغضُّ زهرا يافعا ناضرا وقد كان خيرا
فتية اغفلت به عن رقاد أو تنال العلا وحقا أغرا
ايه ياأرض قد ولدت رجالا زينوا العالمين عصرا فعصرا
كم بيرموك كم بمؤتة شيدت نصب النصر للعروبة فخرا

ياشباب البلاد كونوا جميعا اخوة عصبة جهاراً وسراً
ثابروا فى جهادكم وأعدوا خلقا باسلا وعزما وصبرا
حققوا الظن فالامانى سبيل من يغامر أتته طوعا وقهرا

ياشبابا عليه نبنى الأمانى اشحذ العزم فالمصائب تترى
واصل السير فالحياة نضال تبتغى قوة وحزما وخبرا
أيقظ القوم فالصباح قريب واستفز القلوب نظما ونثرا
اعضدوا بعضكم وسيروا بجد ويحكم قد كفى التناوم دهرا !
انصروا العلم آزروه ليبدو حالك الجهل بعد ذلك فجرا
واجتلوا عندها الأمانى وقولوا: ليعش شعبنا عزيزا وحرا

الحب

قالوا براك الهوى من لوعة الهجر ... وكثرة النوح آن الليل والفجر
واهتاجك الشوق لا دمع يكف ولا ... وجد يخف ولا عون من الصبر
ونام غيرك مرتاحا ونمت على ... نار من السقم أذكى من لظى الجمر
ما بين آه وأواه وليت وهل ... لا تستقر على حال من الفكر
لم يبق فيك سوى آمال محتضر ... يرجو الحياة ولو فى ظلمة القبر
فليت من تبتغى تحنو عليك ولو ... بنظرة تبعث الآمال فى الصبر
لكن ليلاك لا تهواك فامض فما ... بكاك مجد ولا يغنى عن الهجر
فقلت خلوا سبيلى لست مستمعا ... لنصحكم فدعونى والهوى العذرى

الحب لولا الشقا ما ساغ مشربه ... ولا ترنم قيس الشعر بالشعر
الحب سهل التردى فى مسالكه ... أما التخلص فهو الموت ان تدر
وأنت ياعاذلى هون عليك فلو ... عرفت حبى لما انقصت من عذرى

تعالى

تعالى نبل الشوق من خمرة اللما ... ونرشف أكوابا من الحب والهنا
نضم فؤادينا بنفح من الرضا ... ونشرب نخب الصفو من مبسم المنى
وقومى نناغى حبنا فوق نغمة ... هى القبلات البكر من فيك تجتنى
فينجذب الصدران من شدة الهوى ... ويخفق قلبانا حنينا لبعضنا

أغرك مني ان لقيتك بكرة		أصد كأن لم يجمع الحب شعثنا
وهالك مني الصبر اذ أجفل الكرى		عن الجفن ان يبلوه بالسقم والضنى
ولم تدر ما بالقلب من لوعة الجوى		ونار الاسى واليأس والبؤس والعنا
وما آن أن تنسى زمانا به الهنا		حبانا وليل الانس بالوصل ضمنا
هبيني اقترفت الذنب عمداً ألم يكن		شفيعا هوى مازال بالقلب مزمنا

أجابت أنا والله أهواك انما		أخاف أبي يدري الهوى فيصدنا
ويمعن في ذلي وخسفي وشقوتي		ليرهبني حتى أضحى بجبنا
فآباؤنا ياصاح شبوا ببيئة		تخالف في العادات أطباع عصرنا
فان قلت أبغي ذا الفتى انه فتى		يفوق جمال البدر في الحسن والسنا
يماثلني في الخلق والعمر والحجى		ويربط قلبينا غرام تمكنا
لسلوا عليّ اللوم والشتم أسهما		وقالوا فقيرا لا نزوج بنتنا
يضحون بي يا منية القلب فدية		على مذبح الاطماع في الجاه والغنى
ولم يعلموا ان الهوى ان تكالبت		عليه الأيادي شق للنفس موطنا

الجامعة الوطنية (١)

صاح ان تبغ نهضة قوميه		وحياة تزينها الوطنيه
وشبابا يهب اذ يتنادى الـ		ـعرب للذود والدفاع حميه

---

(١) قصيدة القيت في حفلة هذا المعهد السنوي في عالية : لبنان .

فالى امنا الحنونة [1] ارسل نشء هـذى المواطن العربيـه
روضة تزدهى بأسنى علوم زينتها أنقى الصفات السنيه
روضة أنجبت لنا كل شهم وطنى تهزه الاريحيـه
كيف لاوهى للفلاح تنـادى معشر العرب بكرة وعشيه
روضة أزهرت وهل تنبت الرو ضة غير الازاهر العنبريه

ان فيها لنا أنا ساكرا ما صرفوا العمر فى سبيل القضيه
يبذلون الأيام والعمر لاتفـــنى البلايا عزماتهم والمنيه
أقسموا اليوم ان يربوا شبابا طامحا للعـلاء والحريه
يعشق الحق يعشق العيش حرا ناشرا للسلام بين البريه

أيها الحاضرون تكريم نشء فيه للعرب بالأمانى بقيه
وبهم سوف نستعيد كيـانا حطمته المطامع الاشعبيه
شجعوا رافعى العلوم لترقى أرضنا بالمعاهد العـلميه
فهم النور ان دجا ليـل جهل وهم الترس ان دهتنا البليه

أيها النشء من عليه الأمانى ياعماد البـلاد يوم الزريه
اعضدوا بعضكم وسيروا بجد واقتـلوا كل نعرة عصبيه
فلـكم أسدل التعصب سدفا دون فـكر لوحـدة قوميه

---

(١) لقب يطلق على الجامعة الوطنية.

واعلموا اننا وان فرقتنا خطط الغرب أمة عربيه
ليس يجدى الكلام مالم يجمل بجليل الافعال منا سويه
احرثوا الحقل أسسوا شركات وتردوا الملابس الوطنيه
وابذلوا ما استطعتم جهادا كى تموت المصانع الغربيه

واسلمى امنا الحنونة يمّا زاخرا بالمبادئ الوطنيه
انشرى العلم فهو خير لواء فليفيّ هذا اللواء البريه
ليس فى كفنا سلاح سواه فى نضال مع الشعوب القويه

....

اليها . . .

من الصادح الغريد فى فحمة الدجى يسائل عن «ليلى» وماعنه من روى
أغيرى شدا واستعذب السقم فى الهوى
وأخضل ردنيه البكاء وما ارتوى
أحبك حبا صادقا لاتشوبه مكائد شبان يعيشون باللوى
واعلم مهما يحو قلبي من الهوى فليس بكاف أن يلينك ماحوى
وكلت اليك البث فى الامر فاحكمى كما شئت انى طائع مسلم القوى

أجابت وقد لاح العبوس بوجهها جليا وبوق الشر بالبين قد دوى
أمثلك ياهذا جدير بحبنا أمثلك غر يبتغى عندنا الدوا

أتشكو الى البرح من أنت يا ترى وهل لوضيع بالأكارم مستوى

وهب كنت من بيت رفيع عماده

أيصدق شاب العصر فى الحب ان هوى

كثير من الشبان يغرون فتية

بحب وتحت الحب خبث قد انضوى

يكيلون ألفاظ الغرام تزلفا لهن الى أن يوقعوهن فى الهوى

بهذا الهوى انقضوا ذئابا كواسرا تمزق ثوب العفة الخافق اللوا

وظلوا بهذا الروض يجنون زهره وكل جمال سوف يدركه الذوى

ومذ أذبل الروض النضير تنكروا لهن وصرح الطهر قد مال وانهوى

فكانت مواخير الدعارة ملجأ اليها ضحايا كم تساق الى الثوا

أجل هذه يا شاب نبل فعالكم فهل بعد هذا نفتح القلب للهوى؟

لئن عدت تشكو الحب أخبرت والدى

لعلك تلقى عنده الداء والدوا

قسوتِ لعمرى ربَّة الطهر فارفقى

ولا تزنى كل الشباب على السوا

فما كل من سحَّ الدموع بعاشق

ولا كل سهران يؤرقه الطوى

سقيت غرامى من دموعى فما ارتوى

وعنفت قلبى عن هواك فما ارعوى

وما أنا ممن يدمل الهجر جرحه

ويطفئ نور الحب فى نفسه النوى

أقضى الليالى ساهراً دامى الحشا

اقاسى صنوف البؤس والسقم والجوى

وحيدا طريدا لاسمير سوى الاسى

وقفر من الآلام أطويه ماانطوى

هو الحب ما استولى على قلب عاشق

ندى الهوى الا به اوهن القوى



عبدالوہاب آشی مرحوم

عبدالوهاب آشي

ولد بمكة فى شهر صفر سنة ١٣٢٣ هـ وفى سنة ١٣٣٣هـ التحق بمدرسة الفلاح وتخرج فيها فى سنة ١٣٣٧ وفى سنة ١٣٤١ عين استاذاً بالمدرسة الفخرية ثم فى سنة ١٣٤٣ اشتغل بالتدريس بمدرسة الفلاح حتى سنة ١٣٤٧ ومنها انتدب عضواً بنقابة السيارات ثم اسندت اليه أمانة صندوقها وفى ابان ظهور صوت الحجاز كان رئيسا لتحريرها ، وفى يوم الاربعاء ٢٤ صفر سنة ١٣٥١ هـ اعتقلته الحكومة الحالية أثناء حادثة ابن رفادة فنفته الى (نجد) ثم اطلقت سراحه فى ربيع الآخر من العام نفسه وفى سنة ٥٢ عين معاونا لرئيس المحاسبات العمومية بوزارة المالية وهو بها حتى الآن . وفى غرة ربيع الآخر سنة ١٣٥٥ عين رئيسا لقلم التحرير .

النخبة الوطنية

يا موطني حييت من ... وطن تحييك الدهور
فلأنت بعد الله لي ... أسمى المقاصد والأمور
بعث المسرة والهنا ... ماضيك في أقصى الضمير
وأهاج نيران الأسى ... في النفس حاضرك الكسير
إن ما نظرت الى السوا ... لف يوم كنت بلا نظير
ايام كان بنوك في ... عيش يجللهم نضير
يزهون بالشمم الأشم ... وعدلهم بين العشير
وخليقة شهد الخلا ... ئق طيبها كشذى الزهور
تعنو لصولتك الجبا ... بر كالبغاث[1] لدى النسور
تزجي الهباة لمن أرا ... د عطاءك الوافي الوفير
وتذيق أجناد البغا ... ة عذابك القاسي العسير
ولك المجادة[2] مفرداً ... بين الممالك والصدور
أزهو كما الطاووس يز ... هو، ثم أنخر عن غرور
ما الفخر بالماضي سوى ... نخر المشايخ بالقبور

---

(١) البغاث : صغار الطير وأحقرها.

(٢) المجادة : المجد.

الفخر كل الفخر فى مجد جديد لا يمور
يبنيه شعب باسل بالسيف والعلم الغزير

* * *

وطنى وقد حاقت بنا زمر الخطوب ولا نصير
مالى أرى أبناك قد جنحوا الى سكنى الخدور
وتصامموا حتى كأنـ ـهم صلاد من صخور
عن صوت محتدم الجلا د تجاه بابك والنذير
افثلمت تلك العزا ئم أو قضى قاضى الثبور
أم أخلدت تلك النفو س الى الجبانة والفتور
ويح الجبان اذا استطا ر لهيب قاصمة الظهور
يدع الديار بلاقعا والحر فى قيد الأسير
والموت خير للفتى تحت المناصل والقتير
من ذلة تدع الأبى مطية العسف المرير

* * *

قومى وما شعب حوى اسـ ـتقلاله العالى الكبير
وبنى أريكة ملكه وسما على البدر المنير
الا بتضحية المصا لح والرئاسة والسرير
والسعى جمعا فى اجتلا ب الخير للوطن الخطير

لم يعنه الاصلاح بنيه فى خلق وخير

وجهاده فى بث أنوار المعارف فى القصور

ونواله حرية ... فى ضمنها النفع الكثير

ما قط خر أمام عاصفة المظالم للأمير

وعلى مجاري الحق سال مكرماً دمه الطهور

قومى كذلك فلتكونوا تدركوا العز الجدير

السأم من الحياة

يقولون : « لاحياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة » كلة هي فى حقيقتها قول صادق ، ولكن من يضمن للمرء ـ وخطوب الدهر تكتنفه عن يمينه ، وشرور العالم تتراكض عن شماله ـ أن لايتقزز من الحياة ، وأن لاينكمش فؤاده أمام مظاهرها الوقتية المتقلبة . ذلك مالايكون أبداً سوى ان اليأس اذا تمكن قتل ، كما أن السرور اذا استقام وطال أضجر . والآمال هى الحد الفاصل بين هذا وذاك . ويمكن أن تكون الكفيلة بتحقيق مايقولون . وخير الآمال مايذيق المرء مرارة الألم ساعة الجهاد . كما يذيقه حلاوة السرور عند المنال ، وانه لاعظم درس فى الحياة يهذب ما شذ من أخلاق بنى الانسان :

عِفت تالله حياتى لا أرى	فى ثناياها سوى ذل وهون
ونزاع فك مفتول العرى	وأتون الوجد تذكيه السنون
بينما ليلاتنا ملأى قرى	فاذا الأنهار سادتها الشجون
ثم لم الق عطوفا فى الورى	أو ظريفا يزدهينى بالمجون
أو حكيما ألمعيا أجدرا	يصقل النفس بأنواع الفنون

***

ماحياة المرء فى هذى الدنى	غير آمال نتيجات ظنون
ونضال فى ميادين المنى	يصحب المرء بها بيضا وجون
فاذا ما المرء أضحى مثخنا	بجروح اليأس والدهر الخؤون
لاطموح لامرام يجتنى	لاجهاد لاعراك لاشؤون
لجدير أن يعاف الموطنا	وقمين - عمردينى - بالمنون

ياقلب !

ياقلب صوت أنين الناى يشجينى	وسجع ورق الحمي في الفجر يشفيني
مابال نايى بأيدى الحور أسلمنى	الى سهاد وتعذيب وتوهين
وتلك ورقاء عجماء تقاسمنى	روحى فأعنو لها كل الاحايين
منها سرورى وفى تغريدها جذلى	هل كان بينكما عهد بتأمينى
هل شمت منها وصالا غير منقطع	هل أشركتك صفاء الود واللين
ان الحياة اذا لم يصف منهلها	وأوردتنى على ماليس يرضينى

أرى صدوري منها منتهى أملي   وكيف أحيا بلا أمن وتمكين
هو السرور فإما أن أصادفه   أولا . فعيشي فيها عيش مغبون

يانفس !

يانفس ماهذا اللجاج ترفعي   وتنكبي سبل المفاسد والغواه
ما أنت الا زهرة من باقة   في الكون قد جمعت لأشتات الحياه
ما أنت الا ذرة من عالم   هو طفلة الماضي أعدت للغداه
ما أنت الا فرع دوح ناضر   تجنى لطاف ثماره أيدي سواه
فتبصري كي لاتضيعي مأربا   تبغينه كاضاعة الساعي مناه
اليوم يومك فاقصري من مسلك   يدنيك للاخفاق واغتنمي النجاة
كوني لمن صافاك شهداً نافعاً   والصاب للطاغي أسير قوي هواه
ودعي الهوادة يوم يبلوك العدى   واللين أحمد حين لا يرجى سواه
لافرق بين فتى أبيّ عائف   للهون ، والذُّلان الا في اباه

لوم مردود

تلومينني ان لست أهجر موطني   ترىْ ليس يجدي شدك الحبل في العتب
بلادي لبي والفؤاد ، فهل فتى   يعيش بلا لب ويحيا بلا قلب ؟

يارفيق !

خذ حديثي وخل عنك شجوني | يارفيقي ففي حديثي الحقائق
قصدنا ـ والجهات مختلفات ـ | شاسع الدار مشمل بالمزالق
فانتضي العزم وامتطي الجد والبس | مطرف البأس كي نجوس الخنادق
ان في هذه الحياة مجالا | لمريدي الحياة جم الطرائق
جولة ثم جولة يتجلى | لك في ذا الجهاد صدق الاصادق
وترى ما أكن صدر المعادي | من حقود ، وما طواه المنافق
لك مني الثبات يوم تعد اا | عزم للكر في مجال البوائق
نقصد المجد لا الونى ينقض العهـــد ولا العاديات تفرى المواثق
ان سبق العزوم اذ يتصدى | للعلا دونه تقذى[1] السوابق
كل شيء وان تسامى منالا | هين ان عنى الهمام المسابق
وخزات الزمان للمرء درس | منه يدرى كيف اقتحام المضايق
ووقوف الاقدار في وجهه ها | د يريه كيف اجتياز العوائق
ماحياة الفتى سوى كسب مجد | فيه يلقى المدمرات السواحق
فيعود الرزين ان كان وغداً[2] | ويعود الشجاع ان كان خافق
ويعود الأبي ان كان نكساً[3] | ويعود الرضي ان كان حانق[4]

---

(١) التقذى : هو أن يخالط الفرس الخبب بالعنق في سيره « فقه اللغة »

(٢) الوغد : الأحمق .

(٣) النكس : الذليل (٤) الحانق : الغاضب .

ويعود الحكيم ان كان غراً [1] ويعود الصدوق ان كان ماذق [2]
ويعود الفصيح ان كان فدما [3] بل ويغدو الصليح ان كان فاسق

* * *

فاذا المرء لايروم المعالى فهو فى عيشه كاحدى الأيانق [4]
فاقصد المجد واجعل العز مرمى ضل من لم يبار أسد المشارق
تلك أسد تالله ماغالبتها فى غمار الوغى جموع الفيالق
ورثوا الفخر عن قواضبهم واستأثروا المجد بالنصول الذوالق [5]
لم يزل يزدهى بطيب علاهم جيد أجيالنا وتزهو المفارق [6]
فانح منهاجهم ولا تخش بأسا ان سعى المجدّ رهن الطوارق
لاتخف من صواعق الموت تبدو ذل والله من يخاف الصواعق
أنت ان جلت سوف تعلو علاهم وكذا من يسير لابد لاحق

« قيثارتى ! »

فى ارتكام الظلام
واشتباك الغمام
عند نقض الذمام
هات لى قيثارتى أشد ألحان الهيام

(١) الغر: الشاب لاتجربة له (٢) الماذق: غير المخلص فى حبه (٣) الفدم: العي .
(٤) الايانق : النياق (٥) النصول الذوالق : الرماح الماضية (٦) المفارق : موضع افتراق الشعر فى الرأس .

ان قلبي الوجيع
ماله من شفيع
عند حِبي [1] الرفيع
فعسى قيثارتى تهدنى نحو المرام
يارفيـق الهنـا
أين منى المنى
قد برانى العنـا [2]
هات لى قيثارتى فهى لى طب السقام
فى الغناء الأُسا [3]
لفـؤاد قضى
تحت عسف الهوى
هات لى قيثارتى كى بهـا اطفى الأوام
فى الغنـاء الرُّقى
لنفوس الورى
من عيون العـدى
هات لى قيثارتى تحمنى يوم المـلام

---

(١) الحب : بكسر الحاء : المحبوب (٢) العنا . التعب والأسر .
(٣) الأسا بضم الهمزة : جمع أسوة وهى مايتعزى به ٠

في غرامي الهدى
لاتلمني سدى
ياعذولي كفى
طالما قيثارتي علمت نفسي الغرام
هو حبي فما
غيره لي حمى
في فؤادي نما
وعلى قيثارتي عَلَّم النوح الحمام
يالسرب الهديل !
اسعفوا ذا الغليل
بغناء جميل
وامنحوا قيثارتي صدحكم يوم الوئام
ان وحي الغناء
أنزلته
فتغنوا سواء
بغنا قيثارتي قبلما يأتي الحمام

الهوى ودواعيه ! !

أأسلو الهوى والبدر فى كبد السما ... يهيب بقلبي نحوه حين يسطع ؟ !
وكيف تحيد النفس عما يجرها ... اليه دواع ماثلات تشجع !
وهل فى الهوى نكر اذا ما انتمى له ... فتى جل ما يرجوه عيش ممتع
ضلال يروم اللائمون رجوع من ... تردى به هل فى المقادر مطمع
بلى ! فاحجبوا عنا الحسان لتبعدوا ... هواها وقولوا للمحاسن تنزع
وردوا طلوع الشمس والبدر والسهى ... وقولوا لأزهار الرياض تسفع
وقولوا الغصن البان يقصف عوده ... وقولوا لهذا الكون يطوى ويرفع
وقولوا لهذا القلب يهدا وجيبه ... وقولوا لهذى النفس تخبو وتهجع
والا فلا تلحوا مقيما على الهوى ... وليس له عنه مناص ومنزع
فكل الذى فى الكون داع الى الهوى ... وقلب بنى الانسان يعنو ويخضع

اذ كرينى !!

اذا لمع البرق بين الغمام ... وشق الصباح قباب الظلام
وقامت ذكاء تحيي الأنام ... ألا فاذكرينى وردى السلام

***

اذا أنعش الروض هب النسيم ... وغنى الهزار بصوت رخيم
وماست غصون وجد النعيم ... ألا فاذكرينى وردى السلام

اذا ما الندى كلل الجلنار   وهب الاناسى لكسب اليسار
وحل الرحيل وسار القطار   ألا فاذكرينى وردى السلام

* * *

اذا جونة شاقها المغرب ،   وأبهجك الشفق الملهب
وأقبل جيش الدجى اللجب   ألا فاذكرينى وردى السلام

* * *

اذا البدر ناف على المشرقين   وصال بوجه كصحن اللجين
وبان السهى عارى المنكبين   ألا فاذكرينى وردى السلام

* * *

أسلماى هل تعطفين على   عليل يقاسى عذاب القلا
ألا فاذكرينى وردى الى   فتاك الحياة برد السلام

التعلل بالرسوم ! !

ألهو برسمك حين الوجد يغلبنى   والقلب تلعب فى أحشائه النار
هو التعلة يشفى النفس منظره   والصب يرضيه من نعماه آثار
ان شفنى النأى والتفكير أجهدنى   ففى الرسوم لعهد القرب تذكار

....

الحجاز مستقر الوحي والطبيعة الخرساء !

دعاني أساجل أحرارها ... وقوما لنقفو آثارها
فمالي وللحب يذكي الجوى ... بقلبي . فقد عفت اقمارها
واني مغرى بأحوالها ... وقد هتك الدهر أستارها
بلاد حبتها الطبيعة ما ... يحبب للقلب أدوارها
جبال تناطح جون السحاب ... وتوحى الى النفس أفكارها
تنائف تمرح فيها الوحوش ... تساجل في الدوح أطيارها
ومشتبك الأثل في غابها ... كما جارة عانقت جارها
إذ الليل أرخى ستائره ... أرتك الكواكب أنوارها
ترى البدر في علوها مشرق الـ ... جبين يضاحك نوارها

* * *

بلاد سمت بالأولى عرفوا ... طريق المعالى ومضمارها
كبار النفوس قصيو المرا ... م تهدّوا الحياة وأسرارها
سعى المجد طوعا الى بابهم ... وأولتهم الارض أمصارها
اذا جد جد الوغى عموا ... ميادينها وجلوا عارها
وقد يجنحون الى ضدها ... ويسعون كي يطفئوا نارها
وما عن ونى يؤثرون السلام ... ولكن يريحون ثوارها
وأفضل مايطلب المرء في ... دناه علا يعتلى دارها
فإما بسلم وإما بحرب ... ويا ويل من جر أخطارها

***

بلاد بها الوحى ألقى العصا وبالهدى بارئها خارها
بلاد أضاءت سوالفها ورثنا أساها وتذكارها
تصدى الزمان لتصديعها وأوهى التناحر أمرارها
ولن يستبين لها ألق اذا العلم لم يمح أوضارها
ولن يستقيم بها عوج اذا الدهر لم يصل اغرارها

***

بلاد بها نبتت أعظمى أكلت جناها وأثمارها
أحن اليها وأصبو الى رباها وأعشق أحجارها
وأسعى أداء لواجبها حياتى ، وان ذقت أضرارها

« الحق أجدر بالنصر »

خطرت تأطر[1] غادة حوراء مرهفة القوام[2]
ما كان الا نظرة منه ومنها فاستهام
لو كان يعلم عاشق أن الهوى فى نظرة
لمشى يغض الطرف لايرنو الى رعبوبة[3]
تصبى التقى بدلها[4]
ويل الفتى من دلها

(١) تأطر : تتثنى وتتمايل (٢) نحيفة القد (٣) الرعبوبة : الفتاة الناعمة (٤) الدل : الدلال .

بابى ضفائرها [1] التى غشيت صباح المستهام
فغدا يجاهـد لا يرى فى سعيه غير الظلام
حتى أزاحتها فاسفر وجهها قمراً منير
كان الدليـل له الى حب تغلغل فى الضمير
حب الشريف لمثله .
سعداً لواجـد مثله
بأبى مراشفها التى حوت اللآليء والشمول [2]
هاتيك تنتهب العيون وتلك تلعب بالعقول
شغلت خواطره فأصبح لا يقرّ له قرار
عبداً (لسلمى) أسكرته فلا يفيق من الخمار [3]
سكر الصبابة سكره
يفنى ويبقى سكره
(سلمى) وما سلمى سوى ملك علا عرشَ الجلال
ماجيشه غير القلوب يقودها وحى الجمـال
دانيتها فرأيت مايعيي يراع الواصفين

(١) الضفائر : الشعور المفتولة (٢) الشمول : الخمر .
(٣) الخمار بضم الخاء : السكر .

حسن تزينه خلال[1] كلها ظرف ولين

ماأنضر الحسن الرفيع

يحوطه الأدب الرفيع

كلمتها فتأوهت وأسوتها فتفجرت

فرأيت منها منظراً منه الشجون تسعرت

ما الورد بلله الندى كالخد جادته الدموع

هـذا ليبهج والها[2] وبذاك تحترق الضلوع

أواه من حرق الهوى

وارحمتاه لمن هوى

(سلمى) لى الوطن العزيز فلست أنكر فضلها

سلمى مقر الوحى ما بلد يطاول نبلها

دفعت بنيها للتقدم فاجتووا[3] غير الجمود

وأبوا سوى الموت الأصم ونومهم طى اللحود

فتأوهت وتفجرت

واشقوتاه تفجرت

سلمى أقر بمجدها أبناء مختلف العصور

(١) الخلال بكسر الخاء : الخصال والصفات (٢) الواله : العاشق.

(٣) اجتووا : كرهوا.

وليخلدن فخارها متألقاً[1] خلد الدهور
مالى أرى فى حبها يعلو صراخ العاذلين
ما كنت أعهد قبل حبي غير قوم صامتين
جهل العواذل قبلتى
فلسوف تظهر قبلتى
حرب أثار عجاجها جهل طغى بجيوشه
والجهل غايته الردى . أمم هوت بخدوشه[2]
فليهدأ العذال ليس لنا سوى الحق القمين
مرمى . وان الحق يعلو رغم أنف الناقمين
والحق أجدر لو دروا
بالنصر آه لو دروا
انى لأنظر فى الرجال فلا أرى غير الرياء
لبسوه ثوبا فاحماً فغدوا على الوطن البلاء
بله الحقود وما طوت أضلاعهم مما يشين
ضعف أمام البُطل لايعنيهم غير اللجين
تباً لعباد اللجين
تباً لعباد اللجين

(١) متألقا : مضيئا (٢) الخدوش: الجروح .

ما للشباب وأين هم ؟ مالى أراهم في هجود
بزغت شموس المجد والأوطان جمعاً فى جهود
هلا يريدون الحياة ؟ وما الحياة سوى النضال
ما فاز فيها غير من مشق الحسام ، وما الرجال
الا حماة للوطن
فى موتهم عز الوطن
لبيك ياوطنى وهل يفنى الذى يحيي البلاد ؟
لبى الشباب نداءك العالى وهبوا للجهاد
سيروا أياشبان قومى للمعالى للأمام
وخذوا وسائل حذركم وابنوا على أسس الوئام
امجادكم ونخاركم
والعلم فيه فخاركم
سيروا بعزم الناهضين يرف فوقكم العلم
علم التفكر والرزانة وارهفوا حد القلم
« فالعقل فوق الحس » لايوهى التطرف عزمكم
واقلوا التفرنج واجعلوا الشورى مناط اموركم
فالحكم شورى لا احتكام
سحقاً لجور الاحتكام

رباعيات

البلاغة

يامن تطالب فى الأسفار يدرسها ورد البلاغة عن شوق وإشفاق
ان البلاغة فى فكر ومعرفة ومنطق بفصيح القول دفاق
يفيض نوراً ويسمو فى جلالته كالشمس تظهر فى زهو وإشراق
مااللؤلؤ المنتقى ؟ ماالحسن أبرعه؟ لدى البلاغة بل ما نفثة الراقى ؟

القوانين والأهواء !

دساتير وأوضاع تنسقها الهويات
وباسم العدل واعجبا لها فى الخلق صولات
ينفذها القوى كما تشاء له الحزازات
فويل الناس من أهوا ئهم ويل وويلات

القوى والضعيف

الناس تبنى والطبيعة تهدم هى سنة فى الكون لاتتزعزع
لولا وجود الهدم لم يكن البنا فعلام تضطرب النفوس وتجزع؟
ان القوى على البناء مواظب وعلى الطبيعة أمره لايدفع
لاينثنى الا الضعيف وانه لقوى الطبيعة دائما يتوقع

نظرة فى الجمال الانسانى

هـذه هى النظرة الثالثة تتمة النظرتين اللتين نشرتا فى صحيفة صوت الحجاز بالعدد ٢٨ و ٢٩ من السنة الأولى . أولاهما فى الحياة . وثانيهما فى الحرية .

الجمال يتمثل فى كل مايقع تحت النظر من صور الكائنات . فللسماء جمالها . وللجبال جمالها . وللغابات والمروج جمالها . وللصحارى والواحات جمالها . وللتماثيل والصور الفنية جمالها . وللحيوانات جمالها . وللاناس جمالهم . وهو فى كل منها صورة سامية لذلك الشىء جمعت لمزايا الحسن الذى ينبهر منه العقل ، ويجله الفكر ، وينقاد له الشعور ، ويرمز الى مثل أعلى من مثل الكمال فى الحياة . ونريد أن نتكلم على بعض نواحيه فى الجمال الانسانى .

الجمال الانسانى ، مظهر من مظاهر الطبيعة الخرساء . الذى لاينطق الا بجلاله وهيبته . ولا يفصح الا بسموه وروعته . تفيض جوانبه بالنور . ويشع هيكله من خمائل السحر ، وبوارق الفتنة . يقف المرء بلبه وقلبه تجاهه خاشعاً خاضعاً مستسلماً لارادته القاهرة وأحكامه القاسية . ولطالما أراد بعض جبابرة الانسان أن يهزأ به ويشاكسه ، فاذا هو كناطح الصخر ، تنفد قواه ، ويخور عزمه ،

ويختبل عقله تلقاء نظرة شزراء من عين حوراء ،أوابتسامة غراء من شفة لمياء ، أو كلمة عطف ورضاء ، من ظبية هيفاء ، ولا نبالغ تصويراً أو ننطق هذراً ان قلنا انه صورة ماثلة من صور القضاء والقدر تزج بنفس الناظر اليها فى دائرة قد ترى فيها ماتتطلبه من سعادة وهناءة . وقد لاتجد فيها الا ماينفر عنه من بلاء وشقاء . ومثال قائم من مثل القدرة الالهية تتجلى فى الذات البشرية ، تبرهن للجاحدين عن قوتها ، وترغم النفس العصية على التطامن لها والاذعان لاحكامها ، والاقرار بالعجز التام حيالها ، وانه لأظهر آيات الله الكبرى دلالة على اتقان صنعه ، واحكام وضعه ، وأجل منحة وهبت منه للخلق تزيل عن نفوس بنى آدم صفائح القسوة ، وتحطم عنها أسوار الخشونة ، وتسبل عليها رداء من الرقة شفافا وتكسوها بردة من اللطف قشيبة ، وتلبسها حلة من الشفقة والحنان ذهبية الطراز ، سداها الحب ، ولحمتها العاطفة الشريفة !

والجمال الانسانى الكامل ، هو الذى اذا وقع عليه النظر لاتمل العين الحكيمة دوام مشاهدتها له ، ولا تسأم النفس الشريفة من القيود التى تقيدها به تلك الأشعة المنبعثة من هاتيك العين الدعجاء أو المقلة النجلاء ـ كما يعبر الشعراء ـ والانوار المنبعثة من ذلك المحيا الوضاح ، أو الطلعة المتناسقة الوضع ، الكاملة الصنع البهية المنظر . الجذابة الشكل .

ولن يتسلط الجمال على النفوس تسلط القهر الابدى ، ويرهقها بعفتول صولته السرمدية ، مالم تجمع ذات صاحبه الى محاسنها الظاهرية ـ محاسن خلقها الغريزية ، وكرائم خصالها الطبيعية ، ولئن يكن من الاناسى ملائكة ، فأولئك هم الملاح الأوصاف والصفات ، ولئن يكن الجمال جناية على صاحبه ، فذلك حيث تخبث سجيته ويحمأ ماء جبلته .

فلسفة الموت والحياة

كتبت فى وفاة المربى الاكبر مدير مدرسة الفلاح الأسبق فضيلة الاستاذ عبد الله بن ابراهيم حمدوه رحمه الله رحمة واسعة .

ينتشر النور ويملأ النجود والبطاح ، فتأتى الظلمة تسطو بأجنحتها السوداء على مجارى ذلك النور الوضاح . ويتسق الأمل ويحدو النفوس الى الرجاء ، فتأتى الخيبة تسحق بأقدامها الجهنمية معالم ذلك الرجاء الوضاء . وتسير السفينة وسط اللجى ميممة ساحل السلام والاطمئنان ، فيأتى الموج يصدم بتياره الجبار صدرها ، فتتحطم وتغدو طعمة للامواه والحيتان .

كما تسطو على النور جحافل الظلمة الحالكة وكما تسحق الأمل رحى الخيبة الفاتكة ، وكما تحطم السفينة أواذى التيارات الساهكة ـ

تقف الانسانية ازاء الرزية العظمى : رزية الفناء بعد الحياة ، والعدم بعد الوجود !

يغلب الهدى الهوى ، ويناضل الرشاد الضلال ، ويساجل العقل العاطفة ، وينازع الشجاع الشجاع ، هى بطولة الانسان للانسان تبدو فى صور مختلفة ، وأشكال متباينة ، ولكن الى حد ما ، الى حد ما يقف الانسان تجاه هذا النزاع الهائل باهتاً واجماً ، ذلك هو حد الاجل القاطع ، والموت المحتوم .

اذن فما هو تنازع البقاء ؟ وسنة النشوء والارتقاء ؟!

أفانصراع الشجاع المغوار أمام الجبان الفرار ، هو انتصار للأصلح وبقاء ؟! أو استفحال القوة الظالمة على العدالة الوادعة نشوء للحق وارتقاء ؟! أم هى الطبيعة الحاكمة ، والقوة المستترة القاهرة ، تملى ارادتها ، فيسير الكون على قضائها ؟!

تلك سنن سنهامبدع الكائنات ، هى للبشر عبر وآيات ، فسبحانه من واحد تفرد بالعظمة والبقاء !

* * *

نقف أمام الجوامع ، فنصمت صمت خشوع واجلال ، ونقف أمام الطبيعة الواسعة الباهرة ، فنصمت صمت اعتبار واعجاب ، ولكن نقف أمام الموت وجلاله صامتين . ولاندرى لماذا نصمت أنخوفا من غائلته التى ستغولنا ، والكل منا يعلم ان ذلك منتهاه ؟!

أم دهشة وحيرة لهذه النهاية التى يكره عليها الاحياء اكراهاً ؟ أم اكباراً لموقفه العادل أمام جبروت الانسان وطغيانه على حق أخيه الانسان ؟! أم طمعا فيما بعده ، وما بعده غيب محجب وسرمكتوم ؟ لاندرى ولا ندرى ، وخير لنا أن لا ندرى !!

حياة زائفة ، وأمانٍ باطلة ، ينخدع بها الاحياء ، لايلبث أن يغتالها الفناء ، فتصبح هباء كهشيم المحتظر ، فياخسران من لم يأخذ من دنياه لآخرته ، ومن شبابه لهرمه ، ومن حياته لما بعد موته ، وانه لحق مابعد الموت من مستعتب ، ان هو الا نعيم الابد ، أو شقاء الأبد .

ويالهول المصاب ! على نفوس شباب بدأت تطرق ميدان الحياة للجلاد والكفاح ، وهى أعزل من كل سلاح ، اللهم الا شعلةقوية من مقباس حكيم كان يروضها ، تنير لها مسالك الرشاد ، وسيف بتار بيد بطل كان نقطع به أشواك الاهواء ، وحسك الاغراض المعترضة فى طرائقها .

فمن لهذه النفوس الغريرة الضعيفة ، وقد اقصدت فى صميمها ، ورزئت فى مرشدها وحكيمها ، ونكبت فى بطلها وامامها ؟ من لها اذ تشتبك السبل وتتلوى المعاضل ؟

من لشعلة الحكمة يضيئها ؟ ومن لسيف الحق يشهره ؟

يالهول المصاب ! يالهول المصاب !



عبدالقدوس الأنصاري

عبد القدوس الأنصاري

ولد بالمدينة عام ١٣٢٤ وتلقى دروسه الابتدائية على يد فضيلة الاستاذ محمد الطيب البحيوى الانصارى . وفى عام ١٣٤١ التحق بمدرسة العلوم الشرعية بالمدينة وحاز على شهادتها فى عام ١٣٤٦ ، وعلى الأثر عين بوظيفة مأمورية أوراق ديوان امارة المدينة ، وفى عام ١٣٤٩ ترقى بوظيفة مأمور أوراق . وعين نائبا لسكرتير مجلس الادارة ، وسكرتيراً للجنة تسوية الديون ولجنة الاسعاف الطبى ، ولجنة الصدقات ، وأستاذاً للأدب العربى بمدرسة العلوم الشرعية .

اغفاءة الشاعر وانتباهته

في واحـة تعبق روضاتها ونبعث الغبطة ربواتها
خميـلة دانت زميلاتها لحسنها المنمنم المستفيض

تعابث النسمات أشجارها ليستثير الشدو أطيارها
وتفتح الاكمام أزهارها لتلهم الشاعر وحى القريض

آوى اليها شاعر ملهم سامى الخيال بالأسى مفعم
لما رأى أمتـه تحجم عن المعالى وتسوم النقيض

وبينما الشاعر فى وحدته يجلو جمال الكون فى جنته
تطربه ألحـان قيثارته فى ذلك الروض الأغن الاريض

اذا بصوت مفعم بالأنين منبعث من عمق قلب حزين
فالتفت الشاعر كى يستبين فهاله الشعب يكاد يفيض

فاستيقظ الشاعر من غفوته واعتزم التوبة من هفوته
وازمع التفكير عن جفوته وعاد يدعو قومه للنهوض

وصادفت دعوته اذنا صاغية تواقة للهنا

آلمها سقوطها فى العنا وراعها أن الجناح مهيض

ما كان الا أن سرت كهرباء حبٍّ اعتناق المجد والارتقاء
فى ذلك الشعب فولى الشقاء وانجبر الكسر وقام المريض

وهكذا الشاعران يعتصم بعزلة الفكر تردت أمم
وان يحن منه التفات لهم أنقذهم من دركات الحضيض

فالشعر نبراس لمن ينشدون ذرى العلا بضوئه يرشدون
فان خبا مصباحه بعض حين عنهم فهم من أمرهم فى جريض

الشعر و نفوذه العظيم

فى المجتمع العربى القديم (١)

١ ـ نفوذه فى السياسة : —

يقول الدكتور فريد رفاعى فى كتابه عصر المأمون :

« انك لتعلم ما للاستخدام الشعر من أثر فى كثير من الحركات

---

(١) جل الاعتماد فى وقائع هذا المقال على ثلاثة مصادر : الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى ، والعمدة فى صناعة الشعر ونقده لأبى الحسن بن رشيق القيروانى ، وعصر المأمون للدكتور فريد رفاعى .

السياسية واستحثاث العزمات وانهاض الأمم فى الانقلابات الاجتماعية » اه .

وهكذا فالشعر كان الأداة العاملة فى سياسة الشعب العربى سواء فى ذلك عصر الجاهلية والاسلام .

عقد بن رشيق فى كتابه « العمدة » باباً بعنوان « احتماء القبائل بشعرائها » جاء فى افتتاحه مانصه : — « كانت القبيلة من العرب اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها وصنعت الأطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون فى الأعراس وتباشر الرجال والولدان لأنه « أى الشاعر » حماية لأعراضهم وذب عن أحسابهم وتخليد لمآثرهم وإشادة بذكرهم » اه .

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم معجباً بحسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة الصحابيين بصفتهما من شعراء الاسلام وكان للأول فى شعره مواقف سياسية جليلة قدرها له النبى صلى الله عليه وسلم فدعا له من أجلها وكان وحده قائماً مقام جيش من الجرائد السياسية الساهرة على النفاح عن الدين الحنيف ازاء جمهور الشعراء المحادين .

ونلاحظ من بين ثنايا التاريخ أن شوكة الشعر السياسية قد ازدادت اتساعا لما ثبتت قدم الحضارة الاسلامية العربية خصوصاً فى إبان الخلائف من بنى أمية وبنى العباس الذى هو فى الحقيقة

« العصر الذهبي » لتلك الحضارة . ففي تلك الأيام الزاهرة ترى الخلفاء يتنافسون في تقريب الشعراء لاستدرار فياض مدائحهم التي تقوم بنشر جليل أحسابهم ونبيل أنسابهم وسنى فعالهم على العموم الى غير ذلك من ألوان الدعاية التي تدفع عنهم غوائل الانتقاض وتقيهم من جرائم الانتقاص وتوطد دعائم ملكهم مما أكسب الشعر مركزاً سامياً في الدولة .

وفي الحق ان الشعر في ذلك العهد الناضر قد بلغ الدرجة القصوى في النفوذ السياسي فقد أصبح نافذاً في أجل وأدق شؤون الدولة السياسية .

وسنلخص لك فيما يأتي ثلاث وقائع هامة لعب فيها الشعراء دوراً سياسياً هاماً ان لم نقل كان لهم فيها فصل الخطاب ، وأشباهها لو فحصت :

(١) أوعز معاوية في ولاية ابنه يزيد الى « مسكين الدارمي » الشاعر أن يقول أبياتاً في معنى البيعة ليزيد وينشدها إياه في مجلسه وهو حافل بالوجوه والأشراف فلما عملها وأنشدها بين يديه على تلك الحال قال له معاوية « ننظر فيما قلت يامسكين ونستخير الله » ولم يتكلم أحد من بني أمية في ذلك الا بالاقرار والموافقة وذلك الذي أراده معاوية ليعلم ماعندهم ثم وصله يزيد ووصله معاوية فأجزل صلته

(٢) كان سديف بن ميمون الشاعر حانقا على دولة الأمويين مظهراً ذلك حتى فى أيامهم فلما زالت دولتهم وقامت على جماجمها دولة بنى العباس دخـل سديف على عبد الله بن على العباسى وعنده جماعة من بنى أمية مقربون منه كانوا هم البقية الباقية منهم بالمشرق فأنشده قوله :

لا يغرنك ما ترى من اناس ان تحت الضلوع داء دويا
فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها أمويا

ففى الحال أمر عبد الله فذهبت أرواحهم هباء .

(٣) تحامل ابن حزم الأمير على الأحوص الشاعر فشخص هذا الى الوليد فأنشده قصيدة من ضمنها :

لا ترثين لحزمى ظفرت به يوما ولو ألقى الحزمى فى النار
الناخسين لمروان بذى خشب والداخلين على عثمان فى الدار

ففى الحال عزل الوليد بن حزم عن الأمارة !

والواقع أن الشعراء لذلك العهد كانوا فضلا عن اقتدارهم الباهر واسلوبهم الساحر مهرة فى معرفة سياسة زمانهم فهم يعرفون من أين تؤكل الـكتف وكيف تستثار الحفائظ الدينية والقومية والشخصية قديمها وحديثها ولذلك تم لهم النفوذ السياسى المدهش الذى ألمعنا لك عنه فى هذا الفصل والذى افتخر بتحصيله « البحترى » الشاعر إذ يقول:

ان أبق أو أهلك فقد نلت المنى ملأت صدور أقاربى وعداتى
وغنيت ندمان الخلائف نابهاً ذكرى وناجحة بهم نشواتى
وشفعت فى الأمر الجليل اليهم بعد الجليل فأنجحوا طلباتى
وصنعت فى العرب الصنائع عندهم من رفد طلاب وفك عناة

٢ - نفوذه فى القضاء

يرى حكمة مافيه وهو فكاهة ويقضى بما يقضى به وهو ظالم

بهذا البيت الحكيم وصف أبو تمام الطائى نفوذ الشعر القضائى إذ ذاك فقد كان الحاكم بأمره يقضى بما يقرره ان خطأ أو صواباً ولم يعدُ أبو تمام فى وصفه الحقيقة .

فهذا عامر بن الطفيل لما فاخره « علقمة بن علاثة » وحكّما القاضى هرم بن قطنة واتفق أن كان الأول يد عند الأعشى الشاعر قال هذا فيها قصيدة نوّه فيها بالفضل لعامر على علقمة فنفذ حكمه وأنف القاضى المنصوب راغم .

وهذا أبو دلامة الشاعر الماجن استشهد فى قضية فلما أدى الشهادة وانصرف قال بمسمع من القاضى :

اذا الناس غطونى تغطيت دونهم وان بحثوا عنى ففيهم مباحث

فقبل القاضى شهادته دون توان وحكم للمشهود له .

وفوق هذا وذاك فنفوذ الشعر السياسى طالما أعفى الشعراء فى ذلك العهد من اقامة حدود استوجبوها .

٣ - نفوذه فى الادارة

هل أتاك نبأ الشاعر مسلم بن الوليد الملقب بصريع الغوانى وإنه قد تولى على جرجان . إنه لم يصعد لذلك الكرسي إلا بسبب شعره الجذاب، فهو وان يك صريع الغوانى فقد صرع الألباب وسحرها وسخرها لأمانيه السامية .

لم يحدثنا التاريخ أن صريع الغوانى كان من رجال الادارة الممتازين ولا من أبطال الطعان والنزال المعروفين بل ولا من ذوى القربى من الخلفاء وانما غاية أمره أنه شاعر والسلام.

والشاعر معتبر فى ذلك العصر اجتماعياً قديراً بل هو ادارى كفء لاشغال المناصب بالنسبة لتفوق شعره وبراعته .

فهذا أبو الطيب المتنبي هو ابن سقاء خامل وضيع تربه سيف الدولة منه فلم يكتف بتلك القربى بل طمحت أنظاره نظراً لاقتداره الشعرى الى مرتبة الامارة ان لم نقل الملك ، فانضم لكافور صاحب مصر تحنا نالتسنم ذلك المنصب الخطير فخلب لبه بسواحر مدائحه فيه ، ولكن المتنبي ظهر فى شعره الخلاب بمظهر المفكر الكبير والسياسى الخطير فى نظر الأمير كافور فلذلك توقف الأخشيدى عن انجاز وعده بتأميره خشية من غوائله ، والملك عقيم.

٤ - نفوذه فى الرأى العام

حدث عن نفوذ الشعر فى الرأى العربى العام ولا حرج فطالما كان قائد زمام حركاتهم وسكناتهم ، قال ابو سفيان لقومه عن الأعشى لما مر بهم قاصداً النبي صلى الله عليه وسلم لأجل الاسلام : « هذا الأعشى والله لئن أتى محمداً ليضرمن عليكم نيران العرب بشعره » فأجمعوا اليه مائة من الابل « رشوة يصرفونه بها عن ملاقاة النبى صلى الله عليه وسلم » ففعلوا وانصرف . ففى قوله ليضرمن عليكم نيران العرب بشعره برهان ناهض على ماذهبنا اليه من امتلاك الشعر ناصية الرأى العربى العام فى هاتيك الأيام .

ودليل ثان : المحلق الكلابي رفعته قصيدة الأعشي(١) إلى مصاف الأشراف بعد أن كان غاية فى الخمول والضعة ، فقد تنافس الأشراف فى مصاهرته بسببها .

وثالث : بنو أنف الناقة ارتفعت مكانتهم فى نظر العرب ببيتى الحطيئة (٢) .

---

(١) نفى الذم عن آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقى تفهق

(٢) هما : سيرى أمام فان الأكثرين حصى والأكرمين اذا ما ينسبون أبا

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

ورابع : بنو نمير جمرة العرب انطفأت جمرة سموهم وهبطوا الى الحضيض الأسفل بسبب بيت جرير [1] فيهم فهل بعد هـذه الأدلة الناطقة من برهان ؟ وهل بعد هذا الصنيع من نفوذ فى الرأى العام ؟

« أدبنا الحديث »

وكيف نمهد له سبيل التقدم ؟

من بواعث السرور والانشراح أن أدبنا الحديث استطاع لأسباب لا محل لايضاحها هنا أن يفلت من القيود الأدبية الاولى بحذافيرها دفعة واحدة : أى من دون أن يتورط فى سلسلة شبكاتها المعقدة إبان دور انتقاله الى الطراز الحاضر . ومن دواعى الأسف والاستياء معاً أنه فى هذا الطور الجديد لم يلق بين يديه من وسائط التقدم والنجاح ما يكفل له الرقى الى المثل الاعلى المنشود ، فقد قامت فى وجهه عقبات جمة لم تذلل بعد . . . فما هو أهم تلك العقبات وكيف السبيل الى اجتياحها فاجتيازها ؟ هذا ما عنيت بمعالجته فى هذا المقال على ضوء الحقائق التى تبينتها من البحث والاستقصاء :

١ ـ الخمول الاثرى والاقدام على النشر

« الخمول الأثرى » وأعنى به الاحجام عن النشر خروجا من مستلزماته وتبعاته هو من تلك العقبات التى لا تزال صامدة أمام قافلة

(١) هو : فغض الطرف انك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

أدبنا الحديث. فكثير من أدبائنا المقتدرين يحررون ويحبرون ويؤلفون بأسلوب جذاب مرماه الابداع وسمو الغاية ونبل المقصد فاذا أنجزوا ذلك رموا به فى (سلال المهملات) فلو تأملوا فى صنيعهم هذا لأدركوا أنهم قد ساعدوا من حيث لايشعرون على القضاء على عنصر حى من عناصر أدبنا الحديث الناهض ألا وهو ذلك العنصر الذى كرسوا جزءاً ثميناً من أعمارهم فى احيائه وإنعاشه، فمثلهم كمثل الفلاح الذى يلقى بذوراً طيبة فى أرض له طيبة ويواصل الليل والنهار **في تعهدها وسقيها وإنمائها حتي إذا أينعت وأثمرت عبث بها دون** رحمة أو إشفاق.

اذا اتضح هذا ـ وهو واضح ـ فانأملنا لوطيد فىمبادرةأولئك النفر للخروج عن زوايا الخمول الأثرى الى ميادين النشر بكل نشاط تغذية لروح النهضة، وابرازاً لكفاياتهم المكنونة أمام الجمهور.

٢ ـ العزلة الفكرية والروابط الادبية

ومما منى به أدبنا الحديث فى الصميم اخلاد جمهرة من مريديه الى كهوف العزلة الفكرية فكل منهم يعيش فى بيئة خاصة محدودة من تفكيراته وتصوراته وبحوثه واستنتاجاته الشخصية لأسباب

ليس هذا محل شرحها مما أحدث اضطرابا فى اتجاه دقة نهضتنا الأدبية وضؤولة وقصوراً في نتائجها .

ومنعا لهذا الحاجز الحصين أرى من الضرورى تأسيس أندية خاصة للأدب يغشاها جماهير المتأدبين توسعة لدائرة أفكارهم بتبادل الأفكار والقاء المحاضرات الشائقة .

٣ ـ التخدير والتغرير

يؤلمنا وايم الحق أن نشاهد سوق تخدير الأعصاب وتثبيط العزائم عن مواصلة الجهود الأدبية المنتجة نافقة السلع فى أوساطنا بصورة واسعة النطاق ، فلا تكاد تظهر مقالة أو قصيدة أو كتاب فى أى موضوع أدبى طريف الا واستهدف المكتوب ثانويا والكاتب أوليا للواذع القدح الممضة نزيهة وغير نزيهة (١)

فان كان الشاعر أو المحرر أو المؤلف ممن لم يرزقوا حظا وافرا من قوة الارادة خر فى الحال صريعاً لليدين ، وانسحب من الميدان مكتفيا من الغنيمة بالاياب ، على أنا اذا حاولنا تحليل هذه الظاهرة نجدها من بعض آثار الارتباك التى تحدث ابان الانتقال من طور

---

(١) ليس فى هـذا تشك من النقد الوجيه الصحيح المبنى على قواعد العلم وطلب الحقيقة ، فذلك من أسمى ما نحبذه وندعو اليه .

الى طور ، ولابادة جراثيمها أرى أن نسعى سعياً جدياً فى فتح أبواب التقدير والتشجيع والتعضيد أمام ادبائنا العاملين المنتجين . ومن أهم تلك الأبواب وأجدرها بالعناية اقامة الحفلات التكريمية لنوابغنا طبق المنهج الذى يسير عليه العالم المتحضر فى مشارق الأرض ومغاربها نظراً لما تثمره هاتيك الحفاوة من بث روح النشاط والثبات والحماسة للفن فى صدور المحتفى بهم مما فيه تهيئة جو صالح للانتاج الأدبى الجيد المملوء حياة وابداعا

٤ ـ خاتمة

وانى أرى من اللازم ـ وأنا على وشك اختتام هذا الموضوع الخطير ـ الاشادة بما لمادتين من التأثير العظيم فى استحثاث سير النهضات الأدبية العالمية والقفز بها الى الأمام وأعنى بهما الدعاية والمسابقات الأدبية ذات الجوائز التى تمنح لمن فاز فيها بقصب السبق من قبل الغُيُر [١] من أنصار الأدب ، على أن تكون فعلية لاقولية فحسب .

فبالدعاية نضخم قاموس أدبنا فى نظر العالم الخارجى ولا يخفى

(١) الغير بضم الغين والياء هو الجمع الصحيح لغيور كما يدرك بمراجعة كتب النحو فالى ذلك ألفت أنظار أدبائنا .

مانجنيه من وراء ذلك من الفوائد الأدبية الجمة . وعلى عاتق الصحافة تطبيق هـذه المادة بمـا لديها من أساليب ووسائط الاذاعة والاعلانات المنظمة .

وبالمسابقات الأدبية فى التـأليف والتحرير نستخرج مخبآت أفـكار أدبائنا المنزوين وغير المنزوين فى حلة جذابة قشيبة وفى هذا تقوية عملية لعضلات أدبنا الفتى وحفز به الى فنن النهوض والنجاح والسمو .

ظاهرة مجيدة

فى نهضة الأدب العربى

ماذا يجب أن يكون موقفنا تجاهها ؟

هذه الظاهرة الجديدة تتمثل فى هـذا الانتقال الميمون الذى نشاهده ونسر به اليوم فى أفـكار أدباء العربيـة من ناحية العناية بالحضارة الغربية والافتتان بها ، الى ناحية الاهتمام بدرس المدنية الاسلامية العربية ونبث [1] دفائنها الرائعـة والباسها ثوبا قشيبا ، والبحث عن تراثها القيم المثبت فى هذه الـكتب الحية التى كانوا يدعونها ، جهلا بمـا فيها ، بالـكتب الصفراء ، ونشر نتائج هـذه الدراسات المفيدة المنعشة فى مؤلفات جامعـة بين طرفى العناية الفـكرية والجمال الفنى ، وفى مقالات ضافية بليغة ، وفى قصائد رنانة شائقة ، تجوب أطراف العـالم العربى من أقصاه الى أقصاه ، حاملة رايات القديم ، فى ثوب قشيب شفاف ، فتثير حماسة القراء واعجاب المطالعين بهذه المدنية العظيمة الزاهرة التى شادها الأسلاف

لا نرتاب فى أن هذا الانتقال الحميد من أفق الغرب الى أفق الشرق ، ومن الشرق الى الاسلام والعروبة ، هو أثر من آثار

(١) نبث البئر : نبشها .

التطور المجيد الذى حصل فى نفسيات الأمة العربية جمعاء

فالأديب فى كل أمة ، مع أنه الجرس الذى ينبه مشاعرها ، ويوجهها الى الناحية المفيدة ، فهو أيضا الصدى الحاكى لتطوراتها وتصوراتها ، وآلامها وآمالها .

* * *

فى اليوم الذى كانت الأمة العربية خاملة النفوس ، قاصرة الأنظار متولية شطر الغرب ، تخاله أحسن قدوة وأرقى مثال يحتذى ـ كان الأديب العربى كذلك سواء بسواء . . كان أدبه اذ ذاك عربيا فى ألفاظه ولغته ، غربيا فى تفكيره ومراميه ومقاصده .

وكان الأديب الذى يعنى بدراسات الحضارة الغربية ، وينقل نتائج بحوثه فيها الى أبنـاء أمته فى لغتهم كان هو المثل الأعلى فى الأدب . من أجل ذلك رأينا المكتبات العربية الحديثة زاخرة بهذه الدراسات تارة فى مؤلفات ، وطورا فى جرائد ومجلات ، وكانت الناشئة والامة تطالعان تلك البحوث بمزيد الشوق والحفاوة لتستلهما من تضاعيفها الأمثلة العليا فى الأدب والعلم والسياسة والاخلاق .

أما المباحث الاسلامية فقد كانت المكتبة العربية شبه محرومة منها ، فليس لحياة أبى بكر الصديق ولا لعمر الفاروق ولا لخالد ابن الوليد ، ولا لأبى عبيدة بن الجراح ، ولا لسعد بن أبى وقاص ، ولا

لعمرو بن العاص ، ولا للمغيرة بن شعبة رضى الله عنهم دراسات حديثة شافية ، تجلو لنا عن جلائل أعمالهم ؛ وعظائم آثارهم بل ولا للرشيد وابنه المأمون ، وحفيده المعتصم ، ولا للجاحظ ولا للمتنبي وغيرهم من أقطاب النهضة الاسلامية والثقافة العربية ، ليس لهؤلاء جميعاً تراجم قيمة ممحصة.

وليس للعلوم والفنون العربية من تفسير وحديث ، وفقه ، ولغة وبلاغة ، وطب ، وكيمياء ، وهندسة ، وطبيعة ، وصناعة ، وزراعة ، وتجارة ، وتربية ـ مباحث واسعة منظمة تكشفها لنا وتجعلها على مقربة من الناشئة العربية المتعطشة الى المعرفة .

كانت هذه الناحية من الدرس والبحث وقفاعلى فريقين : فريق المتدينين من العرب والمسلمين وفريق المستشرقين من الأفرنج . أولئك كانوا أقلية مرمية بالرجعية والقهقرى ، والجمود على القديم البالى . وهؤلاء كانوا يؤولون آثار هذه المدنية ويمسخون حقائقها على النحو الذى يرضى ذوقهم الغربى ونزعتهم المسيحية .

وكذلك كان الأدب العربى الناهض منذ نشأته الى ما قبل زمن وجيز ، فلما سرى روح اليقظة فى الأمة العربية ، وأجمعت على أن تطرح عن كاهلها أعباء التقليد الأعمى للغرب ، وأقسمت لتأخذن لنفسها مكانة تحت الشمس ، كان لزاماً على الأدب أن يتجه وجهة

جديدة ؛ ويتكيف بكيفية غير الأولى ، بحسب ماتدعو اليه الظاهرة الجديدة فى أمته وكان لزاماً عليه أن يكون فى الطليعة وفى المقدمة ، ليحافظ على مركزه فى النفوس ، وفى الحياة خصوصاً أن الاستقلالين : الاجتماعى والسياسى لايتأتيان الامن زعيم نفسى قوى بالغ التأثير ، وذلك الزعيم هو الأدب القومى فى أسمى معانيه ؛ فالأدب القومى الجامع لهذه الأوصاف من شأنه أن يضرب على الأوتار الحساسة فى قلوب الأمة فيجتذبها ويهيب بها الى النشاط والطموح والعمل المستمر الجبار .

وهكذا حال الأدب العربى الحديث فهاهو اليوم يقدم الشواهد ويقيم البراهين على أنه أهل للزعامة ، وقمين لقيادة الأمة فى ميادين النهوض ، فقد اتجه الى دراسة المدنية الاسلامية العربية من جميع نواحيها ، وأزمع على تقديم نتائج دراساته الى الأمة العربية فى مؤلفات وأساليب تلذ مطالعاتها ، يظهر ذلك للقارىء اذا تصفح المجلات والجرائد العربية السيارة واذا تفطن الى أن كبار أدباء العربية اليوم انكبوا على هذه الناحية ، وكرسوا جهودهم فى دراسة حياة المرشد الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فوجدوا فى حياته معينا لا ينضب ، فأخرجوا النا فيها أسفاراً عديدة راقية كما وجدوا فى دراسة حياة خلفائه الراشدين رضوان الله عليهم ، وحياة أقطاب النهضة الاسلامية قديماً وحديثاً

فهم انما يبحثون فى هذه الأيام على هذه النهضة ، ويشيدون بذكرها وانهم عاكفون على تحليلها فى مبادئها ، ومقدماتها ونتائجها ، ليهنأ العرب بهذه الظاهرة الجديدة فى أدبهم الناهض ، وليفخر الأدب بها أيضا .

وبسبب هذه الظاهرة المجيدة أصبحنا نرى المؤلفات العصرية التى تبحث فى مدنية الاسلام العربية تتكاثر فى المكتبات الحديثة بصورة مدهشة ، ولقد زاحمت زميلاتها الغربية الموضوعات ولن يمر وقت طويل حتى تحل من الناشئة والأمة والمكتبات نفس المكانة التى احتلتها المباحث الغربية فى جميع ماذكر ، لما تحويه من الآراء القوية ولما تكشفه من نواحى نهضة عظيمة رائقة كانت نسياً منسياً ، ثم لاتصالها الوثيق بالروح العربية المتحفزة الى النهوض والتفوق .

ماذا يجب أن يكون موقفنا تجاه هذه الظاهرة ؟

هذا السؤال هو بيت القصيد ، فالحجاز هو منبع الحضارة الاسلامية العربية ومنه انتشرت فى عموم الأقطار .

ما ذا يكون موقفنا من نبث كنوز الأجداد وبعث مطمور آثارهم القيمة ؟ أترى يكون موقفنا منها الجمود والقناعة بما يقدمه الينا أدباء الاقطار العربية المجاورة ؟ أم يكون موقفنا مشرفا لمركزنا

رافعاً لرؤوسنا فنبحث مع الباحثين ، وننقب مع المنقبين ، ونشترك مع الكاتبين فنعيد لأنفسنا شيئا من زعامتنا الأدبية الضائعة ؟

يا ترى أي الموقفين يختاره أدباؤنا ؟ وأي الطريقين يسلكون ؟

انني أرى أن هذه الظاهرة الجديدة فرصة سنحت ، وأرى أن اضاعتها غصة ، وأن انتهازها غنيمة ، فهل لأدبائنا أن ينتهزوها ؟ ؟



عبد الحق النقشبندي

عبد الحق النقشبندى

ولد بالمدينة سنة ١٣٢٢ وتلقى علومه الابتدائية فيها ولما نشبت الحرب العامة انتقل مع والده الى الشام وفى عام ١٣٣٧ رجع الى المدينة وانتظم فى سلك المدرسة الفيصلية فالراقية . وفى عام ١٣٤٠ انتقل الى الهند وانتظم فى مدارسها العربية ، فنال اجازة التدريس ، ولقب (مولوى) وعاد الى المدينة بعد أن زار مصر وفتح بالاشتراك مع صديق له مكتبة واشتغل بالتدريس فى مدرسة العلوم الشرعية . فالابتدائية الأميرية وفى عام ١٣٥٠ قام برحلة الى البلاد العربية المجاورة . ولما تأسست دار الأيتام فى المدينة عين مديراً لها ولما انشئ معمل الغزل والنسيج عين أميناً لصندوقه ومحاسباً لادارته حتى الآن .

حنين الى الوطن

من قصيدة قالها فى الهند يتشوق فيها الى الوطن .

خليلي عوجا نحو طيبة ان لى   فؤاداً بها قد ضل منى بلا عمد
تهيج بى الذكرى اذا ما استعدتها   فأقضى الليالى بالنحيب وبالسهد
فشوق ووجد واغتراب ووحدة   فتباً لهذا الدهر كيف بنا يردى
وكيف وصولى نحوكم سادة الحمى   وشتان مابين المدينة والهند
رعى الله أياماً تقضت لقربكم   وأوقات أنس آنستنى فى البعد
وحيا الحيا تلك الطلول وأهلها   ولا زال يغشى ربعها طالع السعد

هيا رجال بلادى

آب الخليل المفدى   يسمو جلالا ومجدا
أهلا به من همام   له المحامد تهدى
قد حاز عزاً وفخراً   وبالمعالى تردى
فرحبي يا ربوع الـ   ـبلاد غوراً ونجداً
بعبقرى كريم   فاق الأماثل جدا
سليل آل رسول   قد اكتسى العز بردا
وزانه تاج فضل   من المهيمن مُهدى
لله درك شهما   بذلت فى العلم جهدا

فنلت فضلا عظيما وحزت حظاً وسعدا
وكل شهم أديب يوليك شكراً وحمدا
سريت مثل هلال وعدت بدراً تبدى
فمن أراد المعالى سعى اليهـا وجدا

***

هيا رجال بلادى نشمر اليوم زندا
نشيد للعـلم صرحاً نشيد ركنا أشدا
بالعـلم ندرك شأواً بالعـلم نبلغ قصدا
الجهل قد عم فينا حتى طغى وتعـدى
فيم البقاء بذل من دونه الموت أجدى



عبد الله عمر بلخير

عبد الله عمر بلخير

ولد بحضرموت عام ١٣٣٣ وفى عام ١٣٤٥ سافر به والده الى الحجاز حيث ادخله فى أول عام ١٣٤٦ المدرسة الأهلية بالشبيكة بمكة المكرمة فتلقى بها دروسه الأولية ثم التحق فى عام ١٣٤٨ بمدرسة الفلاح وتخرج فيها فى عام ١٣٥٣ . وفى آخر عام ١٣٥٤ بعث الى بيروت لاتمام دراسته فى جامعتها الامريكية . وهذه بعض أشعاره التى قالها وهو طالب بمدرسة الفلاح

ثلاثة أعياد

القيت بين يدى سمو الامير فيصل يوم عيد الفطر سنة ١٣٥٣ تهنئة له بعيد الفطر ، وعيد جلوس جلالة الملك الذى احتفل به ثانى يوم العيد . وترحيبا بقدوم الامير من الرياض الى مكة .

لمن موكب قد سار يتلوه موكب بأوله سال (النقا) و(المحصب[1])
أ (هارون) فى الركب العظيم توافدت
اليه الورى أم سار فى الجيش (يعرب)
أم البطل (المنصور) ماجت بخيله الا
بلاد . أم الجمان فيها (المهلب)
أم (الفيصل) الغازى تبدت شموسه فقامت له كل البلاد ترحب
تبدى فأمست كل عين قريرة وكل فؤاد بالسرور مكهرب

***

قدوم به (أم القرى) قد تزينت ففى كل حى مهرجان . وموكب
ولو لم يعج (السيل[2]) بالشعب يوم ان
قدمت . وكل للقا يترقب

(١) النقا والمحصب : موضعان مشهوران بمكة (٢) السيل : موضع يبعد عن مكة ٤٧ ميلا وهو المكان الذى احتشدت فيه الجماهير التى لاقت الامير .

لوافى اليك (الحجر) يمشى مرحّبا وسار يلاقيك (الفِناء المحجب)

***

توالت مسرات على الشعب منذ ان قدمت . فكل بالمسرة مطرب

ثلاثة أعياد : قدومك سالماً واقبال عيد الفطر باليمن معرب

وعيد جلوس العاهل المنقذ الذى تميس به (نجد) وتفديه (يثرب)

فانعم به يوما . لذكراه كلما يرددها(التاريخ)يزهو ويعجب

هو النعمة الكبرى على العرب كيف لا

وفيه ابتـدا عصر (السعود) المذهب

وفيه خطونا خطوة سجلت لنا على صفحات الدهر بالفخر تصحب

وفيه غضبنا غضبة مضرية بأمثالها الأمثال فى الناس تضرب

وفيه أرينـا الناس كيف اتحـادنا

فأعجب بروح المجد ان كنت تعجب

وفيه التقى (نجد) بقطر (محمد) فسارا الى القصد الذى نحن نطلب

الى (الوحدة الكبرى) يقود جموعهم

موحّـدهم (عبد العزيز) المحبب

مليـك له تاج (بنجد) مرصع

و (عرش) على أفق (الحجاز) مطنب

دعائمـه فوق الحطيم وزمزم وقمته العليا الى الشمس أقرب

تحف به منا القـلوب ودونه يلذ لنا الموت الزؤام ويعذب

* * *

أمولاى أنت العيد للشعب كلما رآك تبدى وهو بالبشر مشرب

ووالدك الحامى الذمار ومن له بكل فؤاد عرش حب منصب

امام هدى حتم على الناس حبه وطاعته فرض وشانيه مذنب

قد اختاره الرحمن للدين حارسا ليحميه ممن بات بالدين يلعب

* * *

أمولاى ان العيد هاج كوامنا وجدد أحزانا بها القلب يصخب

ذكرنا به عهداً أتى فيـه زاهراً

على العرب والاسلام فى الغرب يضرب

ذكرنا به عهد النبي وصحبه ودولة أهل (الشام) ممن تقلبوا

ودولة (هرون الرشيد) ومن له

(بمصر أو الاحقاف) عرش ومنصب

وهاهو يأتى - والجزيرة كلها تئن من الخصم العنيد وتندب

يسام بنوها الخسف فى كل موطن وأوطانهم بالغدر والمكر تسلب

تطالعنا أخبارهم كل ساعة فتغلى لها منا القلوب وتلهب

وقد ضاقت الدنيا بهم فى اتساعها وداهمهم جيش العدو المقرب

(يكادون من ذعر تفر ديارهم
وتنجو الرواسي لوحواهن مشعب[1])

فبينا هموا فى ذاك والكل خائف
وقد طاشت الأحلام والظلم أغلب

اذا صوت (ملك) قد دوى فتحرك الش
مال به ، وارتج شرق ومغرب

يناديهمو والسيف يعلو شماله وفى كفه اليمنى (الكتاب المهذب)
فثابوا فألفوه على (البيت) واقفا (امام الهدى عبدالعزيز) المطيب
فماج بهم شرق البلاد وغربها ولبوه والآماق بالدمع تسكب

* * *

أمولاى هاهم قادة الشعب سادة البلاد عن الاخلاص للعرش أعربوا
أتوا رافعى آى الولاء يقودهم شعور به تزهو القلوب وتطرب
و(شاعرك) الشادى أتاك مهنئاً وهاهو فى أركان شعبك يخطب
اذا عجزت أقلامه عن بيانه أهاب بذكر (الفيصلى) فتكتب

* * *

وحسبي ماقد قلت فيك فانني مقر بأنى موجز لست أطنب

---

(١) الذعر : الخوف الشديد . والرواسي : الجبال . والمشعب : الطريق . والبيت لامير الشعراء شوقى بك .

فاخلاقك الغراء ليست خفية   وجودك بحر ليس بالغرف ينضب

فخذها كما شاء البيان تقدمت   اليك خروداً ـ أنت فى الناس تطلب

(فلاحِية[1]) تزهو وترقص كيف لا   ومنشدها (للفيصل) الفذ ينسب

فعيد سعيد بالمسرات وافد   عليك وعهد زاهر بك طيب

ودم رافلا فى حلة السعد ماشدت   مطوقة أو سار للبيت موكب

وعاش (ولى العهد) للشعب سالمـاً   به نخر نا ما العيس فى البيد تضرب

ودام (بعبدالله) نجلك قطر نا الـ   حجاز قرير العين ما اخضر مجدب

الملك يخطب بالصوارم والقنا

قيلت هذه القصيدة بمناسبة سفر البعثة الثانية للطيران الى اوربا :

نهض (الحجاز) وصحت الأحلام   ووفى الزمان فبرت الأقسام

فعلى النفوس الطامحات تحية   منا يرتل آيها (الاسـلام)

وعلى الشباب الناهضين الى العلا   السائرين الى الأمام سـلام

البائعين لشعبهم أرواحهم   من كل حر فى الوغى ضرغام

من كل حر بين أضلعه انطوت   نفس لهـا فى الفرقدين مرام

(١) نسبة لمدرسة الفلاح بمكة فانه اذ ذاك طالب بها .

يشقى ليسعد شعبه وتلذ فى إسعاد أمتـه له الآلام

* * *

بوركت ياعزم الشباب وقدست روح الشجاعة فيك والاقـدام
أمل الجزيرة قد أنيط بعزمكم (بغداد) ترقب نوره و(الشام)
متطلعين الى (الحجاز) فانه فى كل عصر قائد وإمام

* * *

أبنـاء يعرب والنفوس فداؤكم ما للشباب على الهوان مقام
هبوا فقد آن الأوان وحسبنا نوم فقد سبقتكمو الأقوام
طيروا زرافات الى قمم العـلا فهناك قد نصبت لـكم أعلام
فالملك يخطب بالصوارم والقنا لا الـكتب تخطبه ولا الأقلام
والحق يعطى للقوى ومن يكن غراً فان الفاتـكين قيام
فاخطوا بأمتـكم فقد ضاقت بها الد نيـا فلا روح ولا اقـدام

* * *

لغـة المدافع والقنابل والقنا يشفى الخطاب بها والاستفهام
لا الاحتجاج ولا التظلم نافع كذب اليراع وصدق الصمصام

* * *

الشعب يحيى بالشباب فانه الر وح التى تنمو بهـا الاجسام
فاذا تعلم واستقام ورام أن يرقى الى قمم العـلا أيلام ؟

***

وطنى (الحجاز) عرين كل غضنفر ... كفكف دموعك فالشباب قيام

ان ضيعوك فقد رأيت مصيرهم ... واليوم تعقد باسمك الاعلام

فالى الامام فكلنا جند وفى ... عين العدو المستطيل سهام

نفديك بالأرواح وهى أعز ما ... يفدى به ان صحت الأحلام

ونموت كى تحيا ويعذب فى سبيـ ... ـلك للشباب الموت وهو زؤام

***

يامن يعز على البلاد فراقهم ... وهم البزاة الصيد أين أقاموا

الله فى حسن السلوك فانكم ... عرب ودينكم هو (الاسلام)

صونوا كرامتكم وكونوا بينهم ... صفاً فلا شيع ولا أقسام

فالله يرقب كل ماتأتونه ... و(الشعب) و(التاريخ) و(الايام)

***

سيروا على اسم الله ان مرادنا ... مجد له مهج البلاد قوام

والى اللقا فى يوم يهتف باسمكم ... (شعب) له أمل بكم وذمام

ونراكم سربا يهز دويُّكم ... قممَ الجبال ، فتصعق الآكام

ويرن صوتى فى الجموع مرحبا ... بكمو فتروى رجعه (الاهرام)

فى عصر رب التاج منصور اللوا ... من (للجزيرة) منقذ وإمام

الى ملك العرب !

على أثر حادث المطاف المعروف فى حج سنة ١٣٥٣ طلبت الجيوش السعودية بالعاصمة من جلالة الملك اقامة حفلة استعراض كبرى فرحا بسلامته ونجاته فأذن لهم فى ذلك فكانت حفلة من أبدع حفلات الجيوش العربية ، وأقيمت فى عصر ذلك اليوم حفلة أخرى باسم الشعب فالقى فيها قصيدة مطلعها :

اليوم يفتخر الاسلام والعرب
والشعب جاء يؤدى بعض مايجب

حتى أتى على وصف الاستعراض العام فقال :

يامنظرا مارأت عيناى أروع من ... رؤياه حتى اعترانى عنده الطرب
فقام يوحى الىّ الشعر آيتـه ... بين الفيالق فاهتزت بها العصب
فى موكب (العرضة الكبرى) وقد لعبت ... فيها الرماح وقامت ترقص القضب
والخيل تصهل والأعلام خافقة ... والأسد تزأر والآفاق تصطخب
والابل ترغى وأصوات البنادق كالر ... عد المدمدم تروى رجعها السحب
شعارهم (كلمة التوحيد) قد بلغت ... باب السموات فانشقت لها الحجب
وفي وقوفك كالفاروق مبتسما ... تستعرض الجيش لم يقعد بك التعب
وكلهم عند مايبصرك نسمعه ... يعتز بالله والاسلام يحتسب
وقد تمنيت لو أنى بينهمو ... فاننى عربى لى بهم نسب

أشدو بشعرى وفى يمناى صارمة   من فوق ضامرة فى سيرها خَبَبُ
فيملا الجو تغريدى فيطرب من   سماعه البيت والأعجام والعرب
وقد رأينا (سعوداً) وهو طالعهم   بكفه الرمح مثل النار يلتهب
وبينهم (فيصل) الهيجاء يتبعه الشـ   بل الصغير[1] له الأبصار ترتقب

* * *

الله أكبر هـذا المجد يقرؤه   على الخلائق أسد فى الوغى نجب
قساور أشبهوا فى البأس والدهـ   ومن يشابه أباه هل به عجب
ضياغم حسروا عن رؤسهم ومشوا   يهللون على أعدائهم يثبوا
قد اشتكت منهم بيض الصفاح فما   رقوا ولا رحموها وهى تنتحب

(١) هو الامير عبد الله نجل الامير فيصل وقد كان مطمح أنظار الشعب لما أبداه من ضروب الفروسية على صغر سنه وحداثته .

عجب موقف الكنانة منا ؟ !

نظمت هذه القصيدة تحية لوفد بنك مصر عند ما زار الحجاز فى عام ١٣٥٣ هـ

يا حمام الحمى تغن بشعرى ۝ فى ربى الروض بكرة وأصيلا
وترفق بمغرم هاجه الوجـــد وأمسى من الغرام عليلا
واتخذ منبراً على فنن الدو ۝ ح وغرد بين الزهور قليلا
وارفع الصوت حين تسجع حتى ۝ يرد الصوت (دجلة) و (النيلا)
علّ (مصراً) تصغى فتسمع ماذا ۝ فى ربوع (الحجاز) أمسى مقيلا
وترى كيف نحتفى بالألى يبـ ۝ ـنون فى مجدها البناء الطويلا
من سمعنا عنهم كثيراً وألفيـ ۝ ـناهم اليوم فوق ماقد قيلا
كم أياد قد قلدوا مصر أمست ۝ غرراً فى جبينها وحجولا
وستبقى فى جيدها بعد دهرا ۝ هى رمز الاخلاص جيلا فجيلا

* * *

(طلعة) الخير للعروبة من أمـ ۝ ـسى لدى شعبه عزيزاً نبيلا
أنت نظمت (بنك مصر) وأهديـ ۝ ـت الى (الشعب (زمزماً) و (النيلا)
وركبت الأخطار غوراً ونجداً ۝ وتحملت فيه عبئاً ثقيلا
وامتطيت الهواء فى خدمة الشعـ ۝ ـب وفارقت صاحباً وخليلا
طب فؤاداً فما بنيت هو المجـــد سيبقى مخلداً مأهولا

يتغنى به (المقطم) (والاهـ رام) رمزاً للتضحيات جليلا
وتباهى به (الجزيرة) و(الشر ق) افتخاراً بين الشعوب طويلا

* * *

ان هـذا القدوم قد أنعش العر ب جميعا شبابهم والكهولا
وازدهت (مكة) بذلك حتى غمر الانس نجدها والسهولا
وأقامت لنا على حبها للنـ يل فيما رأيتموه دليلا
وهى ان تحتفى بكم تحتفى بالـ مجد. مجد الاسلام عرضا وطولا
وترى فيكموا وفى مصر ماير وى أوام الصادى ويشفى العليلا
فلمصر المحراب بين شعوب الـ عرب طراً زعامة وشمولا

* * *

أيها السادة الكرام ومن فى صالح العرب قد سعيتم طويلا
عجب موقف الكنانة منا ماعرفنا لسره تعليلا
قرب الأبعدون منا وصدت وتمادت. فما عسى أن نقولا؟
أجميل بها الصدود؟ وحتا م؟ أما آن للجفا أن يزولا
قسما بالذى برى الكون لاء لاك فرد سواه فيه فتيلا
لومشت (مصر) نحو (مكة) شبراً لمشت (مكة) الى (مصر) ميلا
قد صبرنا. وسوف نصبر حتى يقضىَ الله أمره المفعولا
واذا ماالحبيب أسرف فى الهجـ ر فقل للمحب صبراً جميلا

تحية البعثة الفلاحية

كان الحاج محمد على زنيل مؤسس مدارس الفلاح قد أوفد الى البلاد الهندية بعثة من طلاب مدرستى الفلاح بمكة وجدة لتلقى العلوم الدينية هناك . وعند عودتها من الهند ونجاحها أقامت مدرسة الفلاح بمكة حفلة تكريمية لها سنة ١٣٥٢ ألقيت فيها عدة قصائد وخطب وهذه القصيدة واحدة منها :

تلألأت الأنوار مذ سطع الفجر ... وهب نسيم الوصل فابتسم الزهر
وقامت على الأغصان تشدو حمائم السـ ... ـرور وقد ألقى أشعته البدر
فيا ملكات الشعر نحوى يممى ... ولا يعتريكن الدلال ولا الكبر
لتلبسن من شعرى عقوداً كأنها الجـ ... ـمان جمالا تحتها حلل خضر
وأبعثكن اليوم فى مدح فتية ... بمقدمهم قد عمنا الانس والبشر
وأمسى بنادينا السرور مخيما ... ويعبق فى أرجائه المسك والعطر
وتاهت بهم (دار الفلاح) وقد غدت ... تلألأ فى عليائها الأنجم الزهر

* * *

تجشمتم الأخطار فى طلب العلا ... ولم يثنكم عما ترومونه عذر
وهاب بكم داعى «الفلاح» أن اقبلوا ... فهز قلوباً كان يعمرها البر
فلبيتم الداعى سراعاً وسرتمو ... كأن طريق الهند فى عينكم شبر
وفارقتم الاوطان والاهل كلهم ... ومن رام مجداً كان ديدنه الصبر

فأولا كم الرحمن عزاً وسؤدداً وفضلكم . فالحمد لله والشكر

* * *

وقد قام من آل (الرضاء) (موفق)[1] أتيح له فتح المهيمن والنصر
رأى العرب حيرى فى دياجير جهلها تتيه بلا وعى وقد مسها الضر
فكم داعياً يدعو الى الله بينهم يذكرهم لو كان ينفعهم ذكر
وزاد على الجهل المركب فيهمو جمود له فى كل جمجمة وكر
يرون سكارى سابحين وما هموا سكارى . ولكن ذلك الجهل لا السكر
فقام وحيداً مستعيناً بربه يكابد أهوالا يشيب لها الشعر
ولم يكترث بالحاسدين وما به رموه وقالوا ان إحسانه نكر
ولم يأل جهداً فى المضى بشعبه الى مستوى يخشى المضى له النسر
فنى الهند والبحرين أنشا مدارس الـ فلاح وفى أم القرى فله قصر
وبالطائف المأنوس أيضا و(جدة) قصور لنشر العلم زينها الذكر

* * *

كذلك من رام النهوض بأمة فلا يكترث بالحاسدين وهم كثر
ويمضى بعزم ثابت وجراءة فان سبيل المجد مسلكه قفر
فمن رام وصل الغانيات فانه يكون سخيا لا يهولنه المهر

---

(١) موفق : لقب للزعيم الحجازى مؤسس مدارس الفلاح فى الحجاز والهند والبحرين الحاج محمد زنيل على رضا .

ومن رام ادراك المعالى بعزمه ۔ تساوى لديه السهل والمركب الوعر
فلا يُنهض الشعبَ الكسول الى العلا ۔ سوى العلم تحميه الصوارم والسمر
فما من سبيل للنهوض بغيره ۔ يكون . ألا فليحذر الخطر الغر

* * *

فهيا بنى قومى الى السير للعلا ۔ جميعاً . فاما الفرقدان أو القبر
لختام هذا البطء فى السير حققوا الا ۔ أمانى . فان الغيث أوله القطر

* * *

فبالأمس كان الغرب فى الجهل راتعا ۔ وكنا ملوك الارض يرهبنا الدهر
فشدنا منار العلم والدين والتقى ۔ وكان لنا فى كل مملكة أمر
وطئنا جبال (البرنات)[1] بخيلنا ۔ وما صدنا عن ذاك بحر ولا بر
وبالسيف زلزلنا العروش وبالقنا ۔ تطايرت التيجان . فانتثر الدر
وكنا الملوك العادلين اذا التجا ۔ بساحتنا الملهوف أو مسه الضر
وخضنا غمار الحرب فى كل موطن ۔ وكان لنا فى كل معركة نصر

* * *

عقدنا بنود العدل فى أرض مكة ۔ فطار بها فى كل ناحيـة صقر
فسار بكل الارض عدل يزينه ۔ وفاق فأمسى الذئب يألفه النمر

---

(١) (جبال البرنات) : هى سلسلة جبال بين فرنسا واسبانيا باوربا وصلت اليها خيل العرب الفاتحين .

✡✡✡

فلما انحرفنا عن شريعة احمد　　وأصبح للأغراض من ديننا جسر
مضوا وقعدنا واسترحنا وشمروا　　وما نابنا الا التفرق فالقهر
جمود وجهل وانحلال وفرقة　　وضعف وأشيا لا يطاق لها ذكر
وقد بحت الأصوات هذا مذكر　　وذا واعظ فينا وإرشاده جهر
وذاك ينادينا هلموا الى الهدى　　وكيف ينادى من با ذانه وقر ؟

* * *

وما ضرنا غير التفرق وحده　　فذاك هو العيب المشين ألم تدروا ؟
فياليت شعرى كيف ينعم عيشنا　　ونحن رقود ما لنهضتنا فجر
ألا قاتل الله الجمود فانه　　نذير الشقا قد حل ساحته الفقر
فان لم يداركنا الاله بنفحة　　تهب فتحيينا فينجبر الكسر
ويبدل هذا الجهل بالعلم والتقى　　وننهض جمعا والعلوم لنا أزر
فياضيعة الأعمار ياضيعة الحجى　　وياويح قلبى ما لكسر همو جبر

* * *

نريد رجالا عاملين تهمهم　　حياة بنى الاسلام ان نابهم شر
نريد رجالا مخلصين لقومهم　　يسد بهم فى كل مملكة ثغر
نريد رجالا يبذلون نفوسهم　　ليشروا بها عزاً اذا ذعر الذعر
نريد نهوضاً للمعالى بهمة　　وعزم كحد السيف ليس به خور

فما بالأماني يدرك المجد طالب ولكن بعزم لا ينهنهه الزجر

***

أنيطت بكم آمالنا فتقدموا بأمتكم حتى يكون لها الصدر
فأنتم رجال الدين والعلم والحجى وليس غريباً من معادنه التبر
فشيدوا الجوار المنشآت كأنها الـ جبال الرواسي في البحار لها مخر
ودونكم الجو الفسيح فشيدوا به سفناً في الخافقين لها مور
وبثوا علوم الدين في النشء انها الـ أساس ويزكو الزرع ما صلح البذر
وسيروا بعزم فالمهيمن وحده كفيل لكم بالفوز فهو له الأمر

***

على الرحب شبان الفلاح ومرحباً بكل همام في مبادئه حر
وأهلا وسهلا بالندى يتبع الندى وبالنبل يبدو في الوجوه ولا فخر
فحطوا رحال السير في البلد الذي به الركن والبيت المحجب والحجر

***

وقد جئتكم باسم الفلاح مهنئاً أعبر عن شوق يمثله الشعر
وأهدى تحيات يفوح عبيرها فيزري بعرف الروض مذ زانه النور
فقولوا جميعا هاتفين ورددوا (يعيش رجال العلم و النفر الغر)

تحية الكشافة العراقية

«شبه الجزيرة» موطني وبلادي — من «حضرموت» الى حمى «بغداد»
أشدو بذكراها وأهتف باسمها — في كل جمع حافل أو نادي
منها خلقت . وفي سبيل حياتها — سعي . وفي إسعادها إسعادي
كل له في من أحب صبابة — وصبابتي في «أمتي» و«بلادي»

* * *

يامرحبا بيني «العراق» ومن بهم — يعتز كل موحد « بالضاد »
بيني الذي ملك البلاد بأسرها — « هرون » رافع راية الارشاد
رسل «السلام» الى «العروبة» كلها — وبُناة « وحدتها » بكل بلاد
بمحرري أوطانهم بسيوفهم — والقاطعين بها عرى الافساد
بمطهري أوطانهم من كل من — عرفوا بكل دعارة وعناد
بالسائرين الى الأمام بشعبهم — المهتدين بسنة الأجداد

* * *

مد (العراق) الى (الحجاز) يمينه — فمشى « المقام » مهنئا بوداد
وترجلت «صنعا» وقام مرحبا — «بردى» يصفق بين دوح الوادي
وتخللت «شبه الجزيرة» صيحة — هي (حضرموت) تئن في الاصفاد
هي أخت (مكة) و(العراق) و(جلق) — أم الحضارة حين مبعث (عاد)
مهد الأولى ضرب الكتاب بأسهم — مثلا وقوة بطشهم في النادي

فتك الجمود بهــا وشتت شملها فالجهل من تحت العمائم بادى
وتساهل (العرب) الحماة بأمرها فالى من الشــكوى بأمر بلادى؟
فى ذمة (التاريخ) مالقيت وما تلقى من البلوى والاستعباد

***

يا وحدة العرب التى نسعى لها حتى نشيدها على الأعمـاد
هــذى بوارق نهضة محمودة علقت مبادئها بكل فؤاد
ومشت موا كبها وأقبل جمعها و (الله) قائدها و (احمد) حادى
سارت تطالب فى الحياة بحقها بالسيف سلته من الأغمـــاد
من بعد أن فشل اليراع ولم تجد أحداً يخلصها من الأضداد
وكذا دساتير الحياة تنص :أن لا حق الا للقوى العادى

***

السيف خير مطالب يصغى له عند الخلاف وشدة الانـكاد
والشعب يدرك بالتضامن قصده لا بالنزاع وكثرة الأحقاد

***

أبناء (بغداد) الشقيقة مرحبا من كل قلب نابض وفؤاد
قرت بمقدمكم عيونُ شبابنا فالبشر من خلل الاسرة بادى
واليوم تحتفل البـلاد بأسرها بكمو ويصدح كل طير شادى
وتبث (زمزم) للفرات حنينها (والـكرخ) يبعث شوقه (لجياد)
وتهب من (مهد النبوة) نسمة تغشى (الرصافة) كالشعاع الهادى

فتثير من زهر الرياض عبيره   فيضوع فى الأرجاء والانجاد
هى نسمة الاخلاص من حرم الحمى   لشقيقه أفديهما بفؤادى

* * *

فالى المليكين اللذين بفضلهم   نلنا ونال (العرب) كل مراد
(عبدالعزيز) الفذ و(الغازى) هما   فخر (العروبة) حضرها والبادى
والي البلادين (الحجاز ونجده)   وكذا (العراق) عرينى الآساد
أهـدى تحية مخلص لبلاده   ومن (الفلاح) سلام صب صادى



علی حافظ

علي حافظ

ولد بالمدينة سنة ١٣٢١ وتلقى علومه الابتدائية فى مدارسها الأميرية ثم انصرف لتلقى العلوم الدينية على يد بعض المدرسين فى المسجد النبوى . وعين كاتب ضبط فى المحكمة الشرعية الكبرى فرئيساً لكتابها حتى الآن .

سعد الخالد

نظمها على أثر وفاة زعيم مصر وفقيد العرب سعد باشا زغلول.

حملت لناصحف الكنانة رزأها   بزعيمها ليث الوغى ورحاها
فتفاقم الخطب الجليل وهالنا   ماقد ألمَّ بمصر حين دهاها
وتساقط الدمع الغزير وفتتت   أكبادها جزعاً على بلواها
ياليتها لم تحمل النبأ الذى   هدمت به آمالنا ومناها

***

فاذا بكته اليوم مصر فانما   تبكى شهيد جهادها وهواها
أو مزقت مصر الثياب لحزنها   فلكم اذاب حشاشة لهناها
كم قام فى وجه العدو مناضلا   حتى أقام لها مثال علاها

***

ياسيف مصر وعزها ومغيثها   عند الخطوب وسعدها ورجاها
لم يبك فقدك شعب مصر وانما   عم المصاب العرب فى دنياها

***

ياسعد قد قالوا قضيت وانما   نفس العظيم حياتها ذكراها
من يترك الذكر الحميد مخلداً   كالشمس يُستهدى بنور ضياها
فهو الذى نال الحياة عزيزة   فله الهناء بمجدها وسناها



عمر صيرفي

عمر صيرفي

ولد بمكة عام ١٣١٩ وتعلم بالمدرسة الراقية وتخرج فيها وقد رحل الى جنوبى بلاد العرب واشتغل بالتدريس هناك ثم رجع الى مكة فعين مدرسا بالمعهد الاسلامى السعودى .

أحقاً ؟؟؟

أحقاً ياوطني انك موطن الفقر والجمود من القديم ولا تزال ؟ أم أنت الذى انبعثت من أبنائك ثورات وفتوحات جلبت الغنى والخير على المشرقين ؟

أحقاً ياوطني انك عالة من القديم على الغير ؟ أم أنت الذي أضاءت تعاليم النبوة فيك أسمى معانى العبقرية والخلود فانقشع ليل الجهل عن الكرة كلها فكنت كريما بأكرم مطلب وأسماه ؟

أحقاً انك كنت فى سمع الزمان وبصره سرابا مجهولا ؟ أم أنت الذي اهديت اليه اضوأ شعل النور وأسمى التنزيل والالهام وأوفر البيان ، فجئت بالراشدين ، وابن الوليد ، وطارق ، وابن رشد والرشيد ؟

أأنت وليد الجدب والقسوة ، والتنافر والجمود ، والجحود ؟ أم أنت الذي ملأت الأرض كرماً وعدلا وشفقة ، ورحمة وعطفا ، وجئت للتاريخ بفاتحين ماعرف أعدل ولا أرحم منهم ؟

أحقا انك موطن الحفاة العراة البعيدين عن الحكمة والفلسفة ؟ أم ان أرقى شريعة لاصدق فلسفة وأبلغ مرسول نزلت بين جبالك ووديانك ؟

أو لست أنت أبا أولئك الذين مشوا صفوفا الى العالم يهدون ويعلمون، ثم يرابطون ويجاهدون ، لهذا ، ولهذا فقط حتى تكون كلمة الله هى العليا بنفوس قريرة ، وقلوب مطمئنة ، عامرة ايمانا ويقينا متوطنة ، على أفضل التضحيات وأسماها ؟

حقا !! ان أبناءك اليوم فى عقوق وعقوق ، يدعون ضدك ولا يشعرون فيتعظون ، لأنهم تقاعسوا عن مثلك العليا ، بانصرافهم عن التأسى باجدادهم أفذاذ التاريخ يعملون ضدك ، ثم ان ضربوا مثلا فانما يتمثلون بكانت ، وفولتير ، وهوجو ، وشكسبير ، ونابليون .

أما معريك ، ولبيدك ، ومتنبيك ، ومأمونك ، فلا يذكرون

رحماك ياوطن القرآن والشعر والجمال !

يقولون : ان فى واديك أمة تتقاعس عن النبل والسمو فهى لاتتقدم ولا تنبل

رحمكم الله !

اسعوا فى جمع كلمتكم ، وتوحيد آرائكم ، وتنسيق مواردكم ، ثم ادّعوا ماشئتم ، ونحن لكم مصدقون ومتبعون ، أما انكم ترمون الامة ولا تعملون ، فانما بأنفسكم تنددون ، انكم ان لم تضربوا المثل فى حسن اعتدالكم وقوى رأيكم ، وبعد نظركم ، فلأنتم أحرى أن لايسمع لكم .

رحمكم الله !

كونوا مُثلاعالية حتى يقتدى ويفتخر بها، أوفدعوا ، واتركوا ، حتى يأتى الله بالفتح أوامر من عنده وأنتم تنظرون .

التبشير بالدين ، أو بالوطنية ؟

لاأدرى كيف يقوم ويثور أولئك الذين يتزعمون أممهم باسم الوطنية وصالحها وينجحون ، ولا أجد فى من تزعم بالدين ناجحا ؟

هل هو الدين الاسلامى القاصر عن السمو بالعواطف والارتقاء بها الى الوحدة والتضامن، وغير الكافل لتصفية المجتمع من أدران العادات والاخلاق ؟

أم هى الدراسة القاصرة فى المنادين باسمه ؟

أم هى العاطفة الاسلامية غير الممتلئة بالغيرة عليه والحمية فى جميع المتدينين به فى مختلف الأقطار حتى يكون الداعى باسمه غير ناجح ؟

ربما يقول قائل:ان الداعين بالدين واليه كثيرون وهم ناجحون، ولكن ضغط الظروف هو الذى يجعل النجاح قاصرا غير ظاهر الاثر

ولعمرى أين التعاليم الاسلامية وهؤلاء ؟

التعاليم الاسلامية التى تحمل فى تضاعيفها أمر المجددين وبعثهم على رأس كل قرن .

فأين هم ؟ ولماذا أجابهم قبلنا الآباء ؟ ولم لانجيبهم من طول هذه القرون ؟

وأين المجددون الذين ينهضون بنا فى حالة التقهقر والجمود ، التى منينا بها ؟

واذا نظرت الى الذين تزعموا باسم الوطنية تجدهم أكثر تفهما لها من الذين تزعموا باسم الدين . والا فكيف نتجاهل قوة هذه العاطفة التي نحسها نحن المسلمين جميعا تزداد تأججا فى صدورنا كلما ضغطت الظروف وأظلمت الحوادث ، ثم لانجد زعيما نلتف حوله ، ولا من يحثنا على استغلالها .

أظن ان الأدلة قد تضافرت على اننا مقصرون فى دراسة واستجلاء حقائق ديننا بالشكل الأتم والمطلوب لتكييفنا امة ناهضة ناجحة ليصلح آخرنا بما صلح به أولنا .

وعلى الذى يغار منا على دينه ، وأمته ، ووطنه ، ومصالحه ، أن يبحث ، ويدرس ، ثم يبحث ويدرس فى هذه التى تسمى قيادة وزعامة وخطابة ، ثم يكون قائما متزعما ، ثم ناجحا موفقا ، يعيد الى الدين صفته والى الأمة مجدها ، والى الوطن قوته ، والى الاجداد التحية المباركة .

«ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين»

حاجتنا !

حاجة هذا البلد الى القواد القديرين ، حاجة الفقير المسكين الذى يتلهف الى مايسد به رمقه فما حصل لديه التهمه ، لذلك تجدنا من القديم ندرس على كل وافد ونتأدب بأدب كل ضعيف ، فمن ذلك أصبحنا فى حاجة أكثر من الأولى الى زعماء يوحدون مختلف الدراسات ومتنوع الآداب .

على ان نظرة واحدة الى حالتنا كافية لأن يحكم الشخص بأن الدراسة والأدب اللذين ندعيهما قاصران كثيراً وكثيراً ، لذلك وجب على الشباب الذى يقول قليلا ويعمل كثيراً ان يتلا فى هذا النقص . فالشباب هو نواة القوة فى الامة . وانا نسمع كثيراً عنه فى البلاد المحيطة بنا والبعيدة عنا .

فعلى الشباب فى هذا البلد أن يعمل

وعليه أن يتلافى .



عزيز ضياء الدين

عزيز ضياء

عزيز ضياء الدين بن زاهد ولد فى المدينة المنورة عام ١٣٣٢ وتلقى علومه الأولية بمدرستها الراقية الهاشمية ، وفى عام ١٣٤٥ التحق بمدرسة الصحة بمكة. وفى عام ١٣٤٧ الغيت هذه المدرسة فعين كاتبا لمديرية الصحة العامة ، ثم استقال منها فعين بادارة الشرطة وترفع إلى رتبة مفوض ثان ورئيس للمنطقة الثالثة بشرطة العاصمة ومازال بها إلى الآن .

وطنى

أنت يا وطنى تاج رصعته يد الله بلآلئ القداسة والخلود وتوجت به جبين الانسانية .

أنت ياوطنى ينبوع تدفقت منه أنوار المدنية والحضارة والعلم من روابيك وربوعك ، من جبالك وسهولك ، من صحاريك وقفارك .

تعالى صوت الدين الاسلامي الحنيف فسمعته الانسانية فاستيقظت فيها مواضع الاحساس وانبعثت فيها روح الحياة .

منك ياوطنى انبثق الفجر الذى بدد ليل الهمجية والوحشية الذى ظلت تتخبط فى دياجيره الانسانية قروناً طوالا .

ياوطنى ، يامهبط الوحى ، ومشرق الاصلاح .

يامنجم الأبطال الخالدين ، ومنبت العباقرة النابغين .

يامهد الحرية والعدالة والمساواة .

يامهد طفولتى السعيدة ، يامن استقبلت فيه وجه الحياة وعرفت فيه معنى الوجود .

ياجوهرتى الغالية ، ياكنزى الثمين ، يارمز مجد العالم ، ياشارة فخر الانسانية .

أحبك ياوطنى .

أتفانى فى حبك كما يتفانى الفراش فى النور .

يلذ لى أن أحترق بخوراً فى مجمرة الواجب الذى علىّ نحوك

من ثدى أمى رضعت لبان حبك

من حرارة شمسك استمددت حرارة اخلاصى

من صفاء جوك اكتسب الصفاء ضميرى .

وسأظل ياوطنى

سأظل وفياً لك مادامت لبان أمى تجرى فى دمائى

وستظل حرارة اخلاصى مادامت حرارة شمسك

وسيدوم صفاء ضميرى مادام صفاء جوك

وسأبقى صريحا قويا ما بقيت سهولك وجبالك .

أحبك ياوطنى

أحبك أكثر من كل شىء ، أحبك الى درجة التقديس

وفى سبيلك أضحى ، بأبى ، بأمى ، بأطفالى الصغار ، بكل شىء غال نفيس

أنشودة عاشق

غن يابلبل واعزف يانسيم واسقنى ياصاح من خمر الكروم
لحظ من أهواه يرمى بالسهام
وفؤادى يتلظى من هيام
فى ضلوع شفها وقد الغرام
فاسقنيها حرة تجلو الهموم لاتلمنى اننى لست الملوم
آه ياقلبى كم عذبتنى
بخفوق ووجيف لاينى
ولكم غربتنى عن موطنى
هل ألفت الصد من ذاك الظلوم أم ألفت العيش فى هذا الجحيم
قد لعمرى ذبت من فرط الجوى
وفؤادى ذاهب نهب الهوى
ويح دهرى حسبه هذا النوى
فنيت روحى كما يفنى الهشيم فى سعير الهجر والحب الغشوم
أين ياحب العهود الماضية
حين لانسمع فيها لاغية
غير تغريد الطيور الشادية
حين عشنا تحت أفنان النعيم وسمت أرواحنا فوق النجوم

أين ياحب وفاء وحنين
ولقاء وعناق كل حين
وحبيس من غرام لايبين
هل مضى الكل كما يمضي اليتيم   حين يمنى بانتهار من لئيم
كم همى دمعي وكم قلبي شكا
ولسوف العمر يقضى في البكا
عل ياحِبي ترضى علكا
فيسود الود كالعهد القديم   ثم يسقى البؤس كأسا من حميم
عل ياحِبي ترضى فنعود
لحياة ملؤها أنغام عود
ثم نشدو رغم آهات الحسود
غن يابلبل واعزف يانسيم   واسقنا ياصاح من خمر الكروم

امتى

استعراض عاجل لأحلام الشباب الحجازى وأمانيه ، ووصف صادق لهذا الشباب فى عهد جلالة الملك المصلح عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل السعود .

كنت يا أمتى فجراً فضياً فى ظلمات الماضى السحيق
وأصبحت بصيصاً خابياً فى نور الحضارة الجديد
كنت يا أمتى شمساً يستضىء بها الضالون
وأصبحت ظلاماً يضل فيه المهتدون
كنت يا أمتى قوة يخافها الأقوياء
وأصبحت ضعفاً يعبث به الضعفاء
كنت يا أمتى أسداً كاسراً
وأصبحت حَمَلا وديعاً
كنت يا أمتى حديداً وناراً
وأصبحت ثلجاً ورماداً
كنت يا أمتى مفخرة الانسانية كلها ولكنك أصبحت!؟
أصبحت سكرى بالأوهام لا تفيقين
أصبحت ضائعة فى الأحلام لا تهتدين

أصبحت محرومة من النور لاتتذمرين
أصبحت نائمة على الأشواك لاتتوجعين
أصبحت يا أمتي هشيما
فياحسرتي ، يا لفجيعتي على ماضيك المجيد ! . .

* * *

ليت شعري هل ماتت فيك مواضع الاحساس ؟
أم جمدت في جسمك دماء الشهامة والمروءة ؟
أم تلاشى من نفسك حب الحرية والمجد ؟
أم آثرت الظلام على النور ، وحياة الأفاعي ، على حياة الطيور ؟!

* * *

لا وربي ، لن تموت أمة منها محمد بن عبد الله ، وبلسانها نزل كتاب الله ، وباخلاص أبطالها انتشر دين الله .

لا وربي ، لن تموت هـذه الأمة التي خلدها مجد عتيد ، وعظمة طاغية وتأريخ مجيد ، ونخار لايبيد . . .

لا وربي ، لن تموت أمة حملت رسالة الدين الحنيف أربعة عشر قرنا
لا وربي ، لن تموتي يا أمتي
وما حاضرك الا اغفاءة ستنتهي ، وغفلة لن تعود
واني لألمس في جسمك حرارة اليقظة والانتباه

وأسمع فى صدرك زفرات الحسرة والندم
وأرى فى مآقيك دموع الفجيعة والألم
وان هذا لدليل الاحساس والشعور
وانه لدليل اقتراب ساعة النشور .

* * *

هل أضعفتك مصائب الدهر العنيد
هل أرهقتك نوائب الجهل الغشوم
اذاً اسمعى صرخات أفذاذ الشباب
اذاً تعالى أدلك على من يأخذ بيدك الى سماء مجد جديد وفخار طريف
تعالى أضع يدك على قلبك النابض الحى، وساعدك المفتول القوى
تعالى أدلك على هذا العنصر الملتهب الجبار
تعالى واعلمى ان على اكتاف هذا الشباب سيشاد مجد المستقبل الكبير

* * *

وبعد فان هذا الشباب يا أمتى قوى يشعر بقوته، عظيم يشعر بعظمته
انه قوى بروحه المتطلعة الجامحة ، عظيم بنفسه الحرة الأبية
انه يمقت استبداد الجهل الغشوم ، انه يحتقر الظلم والقسوة ،
انه قد سئم حياة الأنفاق والخنادق والمستنقعات والأوحال ، ولسوف

يرفع راية الجهاد ، ومصباح الهدى ، ولسوف يرفع هـذا الشباب عن كاهله كابوس الجهل المستبد ، ولسوف يمزق جسم الظلم والقسوة لأنه يريد أن يمشى فى العالم مرفوع الرأس ، مفتوح العين ، مطلق الجناح. لأنه يريد أن يبنى مجداً علميا جديداً ، وعظمة ثقافية حديثة ، لأنه يريد أن يكون حراً فى فكره فلا تسيطر عليه الأوهام ، حرا فى قوله فلا يخرسه عن الحق جبن وذل ، حرا فى عمله فلا يقعده الجمود والخنوع ، يريد أن ينال هذه الحرية ، ويريد أن يسحق أعداء هذه الحرية ولسوف يبلغ مايريد ، ولسوف يضحى بحياته ثمنا لما يريد . . .

ان هذا الشباب يا أمتى قوى يشعر بقوته ، عظيم يشعر بعظمته

انه قوى بضميره الحر النزيه ، عظيم بوجدانه الحى الثائر

انه يسخر باحناء الرأس وتقبيل الأيدى ، انه يهزأ بالنفاق والرياء، انه لايعرف الذل والجبن ، لايعرف الخنوع والجمود . ولسوف يطمس هذا الشباب عادات الذل والهوان ، ولسوف يسحق الجبناء الأذلاء ، ولسوف يدمر الخانعين الجامدين ، لأنه يريد أن يعيش شريفاً ، لأنه يريد أن يكون المثل الأعلى للقوة والعظمة والشباب . ولسوف يبلغ مايريد ، ولسوف يضحى بحياته ثمنا لما يريد . . .

انهذا الشباب يا أمتى ، قوى يشعر بقوته ، عظيم يشعر بعظمته

انه قوى برجولته الصحيحة ، عظيم بنفسه الكبيرة

وانه يكره الرجولة الناقصة والأخلاق المعوجة المريضة ، والتربية السقيمة ، ولسوف يقضى هذا الشباب على العناصر الضعيفة : على ناقصى الرجولة ، على مرضى الأخلاق ، على ضعاف النفوس ، على ذوى التربية السقيمة ، ولسوف يجتث من النفوس عناصر الأنوثة والضعف . لأنه يريد أن يمثل الرجولة الكاملة ، وأن يضرب المثل الأعلى للقوة والبطولة ، لأنه يريد أن يكون انسانا بكامل معانى الانسانية ، وقوميا بكامل معانى القومية ، ولسوف يبلغ مايريد . ولسوف يضحى بحياته ثمنا لما يريد . . .

ان الشباب يا أمتى قوى يشعر بقوته ، عظيم يشعر بعظمته

انه قوى بايمانه ، عظيم باخلاصه .

وانه لايستوى الهدى والضلال ، والظلام والنور . وانه لايستوى هذا الشباب ، والأوهام والخرافات ، وانه لايتلاءم مع الرجعية والتعصب ، لا يتلاءم مع ضعف العقل واضطراب الفكر ، ولسوف يدك هذا الشباب صرح الأوهام والخرافات ، ولسوف يدمر حصن الرجعية والتعصب ، لأنه يريد أن يضرب بذلك المثل الكامل لقوة العقل واستقامة التفكير . لأنه يريد أن يتخلص من حياة القرون المظلمة . لأنه يريد أن يمثل العقل الصحيح فى الجسم

الصحيح . ولسوف يبلغ مايريد ، ولسوف يضحى بحياته ثمنا لما يريد . . .

ان الشباب يا أمتى قوى يشعر بقوته ، عظيم يشعر بعظمته
انه قوى باحساسه المرهف ، عظيم بشعوره الملتهب الفياض

وان هذا الشباب لا يرضى عن هذا الموت الشامل فى الزراعة والصناعة ، لايرضيه هذا الاستعمار الاقتصادى ، انه يريد أن يضيف الى استقلاله السياسى استقلالا اقتصاديا ، يريد أن يأكل مما تنبته أرضه ، وأن يلبس مما تنسجه يده ؛ يريد أن يصنع الأسلحة والمناطيد وأن يستخدم الكهرباء والحديد ، يريد أن يستغنى عن الغير ، وأن يصد هجمات الغرب الطاغية ، يريد أن يطير فى الجو كالنسر ، وأن يعيش فى النور كالزهر ، ولسوف يبلغ مايريد ، ولسوف يضحى بحياته ثمنا لما يريد . . .

ان الشباب يا أمتى قوى يشعر بقوته ، عظيم يشعر بعظمته
انه قوى باتحاده ، عظيم بتضحيته

انه لايحب لك أن تتفرقى ياأمتى شيعا وأحزابا ، يريد أن ننسى شيعنا ، وأن نعمل جنودا فى تشييد صرح قوميتنا ، انه لا يحب (أن تكون كل شيعة منا أمة) يريد أن تتحد الصفوف وتتوافق القلوب ، وتجتمع الكلمة ، ويسود الوئام ، وتتفق الغايات

ولسوف يبلغ ما يريد ، ولسوف يضحى بحياته ثمنا لما يريد
على أن لاتبخلى عليه بالعطف والحنان
على أن لاتبخلى عليه بالموازرة والتشجيع
على أن لاتبخلى عليه بالتضحية ، حين يطلب منك هذه التضحية
وانه ليقطع على نفسه عهداً ، أن يعيد لك المجد الضائع والفخر السليب . . .
وانه ليضحى بكل شىء
ليسعدك ، ليكونّن مستقبلك ، ليجعلك يا أمتى فوق الجميع . . .

عيد

كانت الشمس تلقى على الحياة نظراتها الأخيرة
وكانت نظراتها الأخيرة مملوءة حسرة وأسى
كانت تودع الحياة بعين جائرة
وكان وداعها للحياة يفيض حرارة وجوى
كانت تحب الحياة وتبغى البقاء
فكان احتضارها أملا وهوى
ولكن الأجل قد جاء والوقت قد حان
فتخاذلت ، وهناك وراء الجبال لاقت الردى
فحملها الأفق الى مثواها فى أعماق الدهور
وكلل الشفق نعشها بالزهور وأحرق أمامه البخور
وبكاها فأراق على الأفق الدماء
ونعاها فأحزن المرج والصحراء
ثم لما ابتلعها لحدها وغيبها دهرها
صاح فى الروض طير
لقد ماتت ذكاء
فكان يوم قديم قد مر وكان شهر قديم قد انقضى

وجن جنون السحاب الحزين
فناح نواحا يثير الحنين
وراح يناجى الربى والحزون
يمزق فوق الذرى وجهه
ويهرق فوق الثرى دمعه
ولم يرث قلب لتلك الدموع
ففاض المحب بأنفاسه
وراء الجبال ، وراء الحبيب

***

وجاء الظلام يسود الحياة ويأسو الحزين ويشفى الكلوم
وبنات نعش يرقبن من سمائهن مصير السحاب المحب
ويعجبن بذاك التفانى وذاك الوفاء وذاك الحنين
ويرتعشن حين يذكرن حبيبا أطال المغيب
فتطلعن قلقات الى طريقه وراء الهضاب
فرأينه يشق الفضاء ويفرى الظلام
فابتسمن وضحكن
وابتسم وضحك
ومد اليهن شعاعا

ومددن اليـه شعاعا

فـكان اللقاء وكان العناق

وغرد فى الروض طـير

لقـد أشرق الهـلال

فـكان يوم جديد قد حل وكان شهر جديد قد قدم .

* * *

رأت الأرض الهلال فقالت :

ياسعادتى بقدومك . فأنت مؤنسى حين يستبد بى الليل ، وأنت نجيي حين يأسرنى الظلام

ورأى العاشق الهلال فقال :

ياهنائى بقدومك ، فأنت عزائى حين تهجرنى الحبيبة ، وأنت ملاذى حين يجفونى الـكرى

ورأى الناس الهلال فلم يقولوا شيئاً وانما ملأوا الدنيا ضحكا وأطلقوا المدافع ابتهاجا

وسأل طفل أباه الغنى قائلا :

لم تطلق المدافع ياأبت ؟ . .

فقال : لأن العيد قد أتى ؟

فوثب الطفل صائحا

العيد قد أتى يافرحتى بالعيد ! ؟ . .

* * *

وسأل طفل يتيم أمه قائلا :

لم تطلق المدافع ياأماه ؟ ! . .

فسكتت وجالت فى مآقيها الدموع ! .

وتأوهت . فالتهبت فى صدرها النيران

واغمضت عينيها فرأت الماضى بأفراحه ومسراته :

رأت أفراحاً وأعياداً مرت سعيدة كالأحلام الجميلة

رأت ليلة عيد السنة الماضية حين كان زوجها حيا يلبي طلباتها الكثيرة . ويرسل الخادم الى الاسكاف والخائط يستعجلهما فى ارسال ثياب ولده وحذائه . ويداعب ابنه . ويغمره بالقبل . ويملأ الدار اشراقا ونورا

رأت ألوان الثياب الحريرية والحلى الثمينة التى كان تخيرها لها لتلبسها فى العيد

رأت الماضى بأفراحه ومسراته وهى مغمضة العين ذاهبة اللب

وفتحت عينيها النجلاوين فرأت الحاضر الأسود المخيف فارفض منهما الدمع الهتون

رأت جسم سعادتها الغض بين فكى الدهر الجبار

رأت الظلمات تسود الدار . والوحشة تلفها فى ردائها

رأت الحزن يطبق على حياتها واللوعة تعبث بنفسها

فبكت وناحت نواحا مكبوتا

بكت لأن ولدها سيخرج غدا مرقع الثياب . بينا الأطفال جميعهم سيخرجون رافلين فى ثياب جديدة جميلة ، وأحذية لامعة وعقل مقصبة .

بكت لأن ولدها سيعود غدا باكياً منتحبا . حين يرى الزمامير واللعب فى أيدى الأطفال ولا يرى فى يديه شيئا منها

بكت لأن ولدها سيذوق لأول مرة مرارة اليتم وعلقم الحرمان التى حرصت على أن لايذوقهما منذ مات أبوه ! . .

وكان الطفل يلهو بكعاب فى يده : وسمع المدفع يطلق مرة ثانية فاستأنف سؤاله

لم تطلق المدافع يا أماه ؟

أخفت وجهها فى ذراعها النحيل ولم تقل شيئا

وعرف الطفل أنها تبكى

فسألها لم تبكين . هل تخيفك أصوات المدافع . ربما كان هذا هو الحرب الذى حدثتنى عنه . ولكنه لايخيف . اننى مسرور

قال ذلك وأسرع الى النافذة يستطلع ، فسمع طفلا يصيح

العيد قد أتى ، يافرحتى بالعيد !؟..

فركض وارتمى فى أحضان أمه وهو يقول :

لاتبكى . لاتبكى ، ليس هذا حربا كما تتوهمين . انما هو العيد . العيد الذى جاءنا قبل أن يسافر بابا . هو العيد !؟..

وكاد يقول : يافرحتى بالعيد

ولكنه لأمر ماسألها . هل ستشترين لى ثيابا كما كان يشترى لى بابا

فرفعت اليه رأسا مثقلا وأخذته بين ذراعيها وقبلته بلهفة وحرارة ودفنت وجهها المحمر المغيظ فى صدره الصغير وقالت :

لا ، لا ، انه الحرب ياولدى . وحين اشترى لك الثياب يأتى العيد

ثم وضعته فى حضنها . وارتفع صوتها ناعما مرتعشا بأغنية النوم ، فاستسلم اليتيم ونام ملء أجفانه الوردية يحلم بالحرب وينتظر الثياب

ونام الأطفال جميعهم ينتظرون العيد .

فى الخريف

عم مساء ياعش هنائنا ، يافردوسنا المفقود !

عم مساء أيها الحقل المائج بالسنابل والرياحين والزهور !

عمى مساء أيتها السويعات اللذيذة من ماض جميل !

عمى مساء ياصخرة الملتقى ، ويا ناموس النجوى

عمى مساء أيتها التذكارات اللطيفة ، الباقية من سعادة احتواها الزمن ، وشرد بها الحظ العاثر .

* * *

وحدثنى بربك ياعشى ، حدثينى ياصخرة الملتقى .

أين ذهبت وضاءة الحسن التى كانت تشيع وتتألق على هـذه الصحراء الحزينة ؟

أين تلك الضحكات التى كانت ترن فتملأ هذه الأمكنة الكئيبة حياة فياضة بالشعور ، مليئة بالعواطف ؟

أين ذلك الحنان الذى كان كلما أقبلت يضمنى فرحا ، كما تضم الأم طفلها الوحيد ؟

أين يا عشى ، ذلك الاشراق ، أين ذلك الجمال ، أين ذلك الفرح أين اختفت تلك الأطياف الملائكية الباسمة ؟

* * *

واحسرتاه !

دائما صمت . . . دائما عبوس . . . دائما وجوم !

أأنت مثلى أيضا ياعشى مكتئب حزين ؟

أأنت مثلى أيضا محروم الحنين ؟

أأنت مثلى أيضا ، ثائر حائر دائم الأنين ؟

إذاً تعال !

تعال ننصت الى حديث الماضى !

تعال نقرأ هذه الصحف الذهبية !

تعال ، فسنجد فيها نزراً من سلوى وعزاء ،

* * *

هل تذكر مثلى كل شىء ياعشى ؟

أما أنا فأذكر جيداً حتى هذه الساعة ذلك المساء السعيد الذى جلسنا فيه لأول مرة على رمالك هذه ، نتحدث عن الليل الدانى من ناحية الشرق .

وكانت الدنيا يومئذ ضاحكة باسمة ، كفتاة لعوب !

وكانت الشمس قد بدأت تربت على رؤوس الجبال اللازوردية البعيدة ، وتزيل ماسح عليها من دموع السماء الغاضبة

وكانت النسمات تهب ناعمة نشيطة ، فتداعب الأزهار والورود !

وكانت نشوة السرور قد لعبت برؤوس النخلات ، فأخـذت ترقص على ألحان السواني ، رقصات هادئة ، فوق بساط مطرز بالزبرجد والذهب والياقوت .

وكانت العصافير والنغران ، تصدح بفنون من التغاريد تملأ الفضاء وتصعد بروحينا الى عليين !

وكنا نمشي على هـذه الارض وقد تأبط كل منا ذراع الآخر ، تأبطا يجعلنا نتمنى لو أن كلا منا يندمج فى الآخر ويتلاشى فيه .

وكانت أحـذيتنا تغوص فى الارض الرطبة الهشة ، فيعلق بهـا الوحل ، ويبلل ثيابنا ماوجم على أوراق الاشجار من دموع السماء !

ولقـد مشينا حتى تغلغلنا فى الخضرة ، بين المقصبة وتحت أغصان الفل والياسمين .

وهناك أذكر ، اجتذبنا جمال الأزهار وأسكرنا عبقها ، فوقفنا نقطف منها ما يكفى لضم باقة جميلة .

وطغى علينا السرور فأخرسنا ، فلم نجد غير النظرات نتبادلها ، وهى لغة بليغة لا يفهمها الا قلب كقلبينا باركته يد الحب .

ثم خرجنا من المقصبة ، ومشينا ، حتى عثرنا عليك أيها العش ، فاغتصبت إعجابنا ، فقلنا هنا يجب أن نستريح ثم ارتمينا على أرضك

المعشوشبة الندية .

ولست أدرى هل كنت جميلا حقا ، أم ذلك ماتراءى لنا !

أنت الآن لست أكثر من تل رملى أحمر ، ومن صخور قاسية باردة اللون والشكل !

ولكن حين رأيناك كنت جميلا ، بل كنت منظراً يروق النفوس الفنانة الشاعرة !

كنت تلاً تتوجك خضرة الأعشاب الحلوية ، وذهب الأزهار البرية !

وكانت تمر بك ساقية الحقل ، ترغى وتزبد كلما اصطدمت بصخورك الناشئة !

وكانت تحيط بك الصحراء ، والجبال والحقول ، وكنت أنت فى وسطها كالقلب الشاب الزاخر بالآمال !

وكانت تطربك وتطربنا السواقى بموسيقاها الشجية ، فى كل مساء ، الى أن ترى القمر يشق طريقه الى الارض من قلب الليل !

وكانت مناظر الغروب ، ترتسم على لوحة الفضاء ؛ فتثير فى النفس ألوانا من الاعجاب بقدرة الواحد الأحد .

لقد كنت جميلا ياعشى ، بل لقد كنت طرفة نادرة !

* * *

فحدثنى بربك أين ذهب ذلك الجمال ؟

أين تلك البسط الزمردية ؟ هل سلبتها يد الأحـداث كما سلبتنى رفيقى ؟

أين ساقيتك اللجينية الطروبة ؟ هل ابتلعها فم الدهر كما ابتلع سعادتى ؟

أين أزهارك العسجدية ؟ هل ذوت وماتت ، كما ذوت وماتت آمالى ؟

أين موسيقاك المطربة الشجية ؟ هل تلاشت وضاعت كما تلاشت وضاعت أحلامى ؟

أين الحقول النضرة ؟ أين النخلات الباسقات ؟ هل هشمها القدر كما هشم روحى ؟

بل أين تلك الشمس ؟ أين الغيوم ؟ هل آلت على أن لا تعود ؟ كما آلت على أن لا تعود أيامُ هنائى ؟

بل أين النسمات الناعمـة ؟ هل بدلت بسموم وحميم ؟ كما بدل بالحزن فرحى ؟

أم أنت ياعشى قد شاركتنى الحداد على الماضي الجميل ؟

أم أنت ياعشى قد زهدت فى الحياة كما زهدت فيها أنا ؟

أم أنت ياعشى لك قلب ينبض ، ويحس ، ويتألم ؟ فأحسست بشقوتى ؟ وتألمت لحالى ؟ فظهرت على محياك هذه الكآبة الخرساء؟

* * *

ايه ، ياعشى ؟

لاهذا ولا ذاك ، وانما هو الخريف ، سلبك تاجك وأكاليلك وجردك من جمالك وجلالك ؟

وغدا عند مايقبل الربيع ، عند ماتتفتح البراعم ، وتنضر الأزهار وتغرد الطيور ، وتستيقظ القلوب .

غداً ؛ ترد اليك الطبيعة ما اغتصبته يد الخريف !

ولكن أنا !

أنا ، ياعشى ، فى ذمة الله !

بحر النضار ! !

كانت الحياة تختال فى ثوب الربيع الخلاب ، وكانت تفيض سحراً وفتنة ، فتغرى القلوب الشابة بالحب .

وكان الحقل جاثما فى قلب الصحراء ، كالحب الطاهر فى القلب البرىء !

وكانت سنابل القمح تماوج كبحر من نضار ، يأخذ بلب الغنى الشحيح !

وكانت الجداول تنساب بين الأحواض ، فى طريق تحفه آلاف الأزهار ، بآلاف الألوان ، وكانت تتغلغل فى قلب الخضرة وتتسرب الى صميم الحقل كما يتسرب الحب الأول فى دماء الشاب الحدث !

* * *

وهناك النخلات الباسقات المتناثرة فى عرض الحقل وطوله ، كأنها عرائس فتانة ، تهتز على مسرح الطبيعة ، فتعلم القلوب البائسة فنونا من التوجع والألم ، وتعلم القلوب السعيدة فنونا من التثنى والتهادى ، كلما هبت عليها ريح الشمال القاسية !

وبين الافنان ، وتحت الدوالى ، وعلى السنابل كانت الطيور تصفق بأجنحتها ، وتصدح بأغاريدها ، فتملأ الجو ألحاناً سماوية ، يعجز عنها فن (بيتهوفن) . لأنها أنغام الطبيعة ، وحى الفنون ، ومصدر الالهام !

وكنا نشق بحر النضار ، فى سير هادئ وئيد ، نتأمل مناظر تبعث فى نفسينا شعوراً بالسعادة ، هى تلك المناظر التى ترسمها ريشة الفنان المبدع على صفحة الغروب العسجدية .

وكنا نتأمل كل شيء فى صمت وابتسام ، كفيلسوف حائر ، أو

عابد زاهد ، ويطول صمتنا ، ثم نهتف معاً ، ماأجمل الحياة .

ولقـد كان شعورنا صادقا ، وهتافنا صادراً من قلبين أسكرهما رحيق التدانى .

ولقد كانت الحياة جميلة حقا ، بل لقد كانت فتانة وساحرة !

وأى جامد عديم الذوق ، ينكر جمال الحياة ، فى فصل الحب ، فى فصل الحياة ، فى فصل الربيع ؟

كان يمتلكنا شعور الحرص والبخل ؛ وكنا نرى كل شىء جديرا بالعناية والرعاية ، لان الحياة قد عودتنـا أن نسلو كل شىء حين تصافحنا يد الهناء .

وكنا نشعر دائما أن علينا أن نأخذ من كنزنا أوفر قسط ، وكنا نغار على ذلك الـكنز من كل شخص عـدانا ، فاذا مارأينـا أشباحاً تتهادى بين جذوع النخل ، أو على حوافى الجداول ، نمتعض و نقطب حواجبنا ، كأنمـا الطبيعة كانت حقا صريحا لنا ، وليس لأحـد أن يشاركنا فيه !

وكانت النسمات البليلة المنعشة تهب علينا ، وتداعب وجهينا ، كأنها أنامل عاشق يداعب وجه حبيب وديع .

وكنا دائما نهتف فى أصوات خافتة ، أو آهة عالية .

ما أجمل الحياة !

وهذا الى أمس فقط ؟

* * *

ولـكن اليوم بعد أن أقفرت حياتى من الذى كنت أشق معه بحر النضار .

اليوم ، أتجرع كأس العلقم المريرة ، كما ارتشفت كأس السعادة العذبة بالامس !

اليوم ، عرفت أن الحيـاة تتلاعب بنـا كما يتلاعب الطفل بالدمى (1)

اليوم ، يهون علىّ فراق الحياة ، مادمت قد فارقت الحبيب .

كل شىء باهت ، كل شىء كالح ، كل شىء حزين ؛

فلا الحياة بثوب ربيعها الخلاب تعجبنى !

ولا الحقل بخضرته المزدهرة وأزهاره اليانعة يستهوينى !

ولا بحر النضار بموجاته المتـكسرة يغرينى !

ولا الجداول بلونها اللجينى ورغائها تلهينى !

ولا صدح الطيور وغناؤها يتصل بشعورى !

يخيل الىّ أن الانسانية كلها تتوجع لأنينى وتتفجع لمصابى !

يخيل الىّ أن حبل حياتى قد انقطع وأن لاصلة لى بالمستقبل

---

(١) الدمى ـ جمع دمية وهى الصورة من عاج ونحوه

وانى لأتمنى لو أن حركة الزمن تقف عند هذا الحد !
أتمنى ، ولـكن ، هاأنا أعيش !
هاأنا أتلظى فى الجحيم
فواحسرتاه . . . !

فاجعة

أيها الليل !
يامستودع انات قلبى الـكسير ، وآهات صدرى الكليم !
أيها الليل !
ياشريك سعادتى الذاهبة ؛ وشاهد أفراحى الفانية
أيها الليل !
ياينبوع العزاء ، ويارسول الرحمة الى البؤساء !
أيها الليل !
ياناموس القلوب الملتهبة الشاكية ، ويامجير النفوس المظلومة الخائفة
أقبل بربك ياليل ، الىّ ، الىّ ، فقد نفذ الصبر وعز الدواء . . .
إلىّ ، وليتدفق دمعك هتونا ، وليرتجف قلبك الجبار هلعاً .

* * *

إلىّ ولا تهرب حين ترى آثار العدم والبلى تلوح على الرياض والحقول !

إلىّ ولاتهرب حين ترى العبوس مرتسماعلى وجه الأفق والجزع يتمشى فى أطراف الصحراء السعيدة

إلىّ ولا تهرب حين ترى الطير لايشدو بألحانه ، والهواء لايعزف على قيثارته ، والأشجار زاهدة فى الرقص

إلىّ ولا تهرب حين ترى الطبيعة كلها فى نحيب وأنين

إلىّ وليتدفق دمعك هتونا ، وليرتجف قلبك الجبار هلعاً .

* * *

إلىّ وضمنى الى قلبك الزاخر بالحنان

الىّ أمسح على اكتافك عبراتى

الىّ أسمعك أناتى وآهاتى

الىّ أحدثك كيف بادت سعادتى

الىّ وكن رحيما بى ياليـل وليتدفق دمعك هتونا ، وليرتجف قلبك الجبار هلعاً .

* * *

الىّ وتأمل ، ذلك النعش الذهبي المكلل بالورود والرياحين

تأمل ذلك الحشد الـكبير من ملائـكة الرحمة كيف يمشى حاسر الرأس دامع العين

تأمل أسراب الطير كيف تطوف بالنعش حزينة مهيضة

تأمل تلك الجداول والجعافر كيف ترغى غيظاً ، وكيف تلتهب غضبا
تأمل أشعة ذكاء كيف تسطع حزينة صفراء
تأمل الأفق كيف يتلظى ألما ، والغمام كيف يتفطر حزنا
تأمل واسمع كيف يوقع النسيم على قيثارته لحن الحزن والرثاء
تأمل فى ذلك النعش جدث سعادتى ، وأولئك هم مشيعوه الى مقره الأخير
تأمل وكن بى رحيما ياليل ، وليتدفق دمعك هتونا ، وليرتجف قلبك الجبار هلعا .

* * *

حسبى منك ياليل هذه الأنامل الناعمة تلمس بها نفسى فتخفف عنها مابها ، كما تخفف الأم على ابنها مابه
حسبى منك ياليل هذا القلب الذى لايضيق بشكواى وعويلى
حسبى منك ياليل أنك تصدّ عنى هجمات الناس ومضايقاتهم
حسبى منك ياليل هـذه الأجنحة البليلة تحتوينى فتخفينى عن أعين الانسان

هذا الانسان ، ياظلمه ، ياقسوته ، ياله من كائن هائل مخيف
هذا الانسان الذى يرقص فوق الجثث ويداه ملطختان بالدماء
هذا الانسان الذى يضحك ، والدم من قلبه صبيب ، والدمع من عينه لاينقطع .

هذا الانسان الذى يمضى فى سبيله كالمجنون ، لايبالى بأحد ، ولا يهمه أحد ، كآلة مسلوبة الشعور والحس .

هذا الانسان الذى يبتسم حين أتأوه ويرقص حين أصرخ

حسبي منك ياليل ، هذه الاجنحة البليلة تحتوينى ، حسبى منك أن تحملنى على هذه الاجنحة الى حيث تذهب فى كل صبح

الى حيث لاشىء ، الى حيث العدم والفناء . . !



عبد السلام عمر

عبد السلام عمر

ولد بمكة عام ١٣٢٧ ثم التحق بمدرسة الفلاح وفى عام ١٣٤٥ تخرج فيها واشتغل بها مدرسا حتى شهر رجب سنة ١٣٥٢ حيث التحق بوزارة المالية محرراً ولا يزال بها حتى الآن

مهمة الادب فى الحياة

للأدب مهمة فى الحياة ، هى : أن يترجم شعور الناس ـ أفراداً وجماعات ـ بصورة واضحة تستطيع أن تفهم منها أفكارهم وعواطفهم ودقائق تأملاتهم ، وأنت بعيد عنهم كما لو كنت على اتصال بهم ، وكما لو كنت تدرس ـ من قرب ـ حياتهم وتستجلى كوامن نفوسهم وتتعرف اتجاهات ميولهم .

والأدب ـ بعد هذا ـ قوة من القوى المؤثرة بالدرجة الاولى فى اتجاهات حياة الشعوب وفى مصيرها ، فهو فى الامة التى غلب عليها روح التمرد والنفور والقسوة فى الخلق ؟ يؤدى ـ بقوته ـ وظيفة تهذيب الطبائع الانسانية بما يوحى اليها على ألسنة أدبائها من عواطف سامية رقيقة تلابس ماخشن فى نفوسها فتدمغه بطابعها وتشذب ماقسا من سجاياها فتنصاع الأمة للسماحة واللين ؛ وتتذوق من الحياة جمالها وبداعتها ، ثم لاتلبث ـ بعد ذلك ـ أن تسمو مداركها نحو كمال (الانسانية العامة) وتتجه حواسها الى اكبار كل خلق كريم والافتتان بكل عمل جميل .

وهو فى الأمة التى طغى عليها روح الخمول والركود . يؤدى وظيفة الممهد للحياة العملية بما يبث فيها ـ على أقلام أدبائها ـ من

منبهات نفسانيـة قوية توقظ من شعورها ما كان هامداً وتحفز من أوتار قلوبهـا ما كان جامداً ، وتبعث من عزائمها ما كان خامداً ، وتحيي من ضمائرها ما كان راكداً . وبما يصور غاية العمل وثمرته من تماثيل رائعة تستميل الفكر وتستثير العقل بجماع مافيه من حس وادراك الى التفكير والانتاج ، وتبعث فى النفس بكل مافيها من عواطف وأحاسيس ، شرارة النهوض والاهتمام فتندفع الى السبيل تعمل وتجد تحت تأثير المنبه النفسانى الشديد . كما أنه فى الأمة التى لعبت بها يد التفريق ومزقتها أيدى سبا ، وأطفأت فيها شعلة الوطنية وكبتت روح الوحدة والتضامن ـ يقوم بمهمة الجامع للكلمة والموحد للميول ، بما يسكب بين يدى بنيها من العبرات الرقراقة المنسجمة بكاء على حق الأمة الضائع ومجد الوطن المندثر . وبما يعرض أمام أنظارهم من العظات الصارخة بمشاهد الاعتبار من الأمم الواهنة المتخاذلة والمتفرقة فيستجيش فى نفوسهم الحماسة ويثير فيها روح التضحية القومية ويحرك فيهم كهربائية العمل للواجب العام المقدس فتتجاذب قلوبهم من غير أن يشعروا ويجتمع شملهم وتتوحد تلك الكتل المتفرقة بتأثير نداء الوجدان كما تجتمع برادة الحديد المتناثرة كتلة واحدة بجاذبية المغناطيس . وكما تتوحد كريات الزئبق المبعثرة على سطح مستو فى جهة واحدة بقوة الحركة والترجرج

ثم هو كما يؤدى هـذه الوظائف والمهام فى تلك الامم النافرة والخاملة والمتفرقة ، كذلك يقوم بواجب المسـجل لعظمة الامة وحضارتها كلما بلغت من الرقى شأواً . فيطبع تاريخها بطابع الخلد ويكسوه حلة قشيبة زاهية ترنو لها الأبصار ، على توالى الأعصار وتكون موضع التأمل والاعجاب ويحفظ لها فى سفر الحياة صفحة ذهبية لامعة بالمجد الخالد .

كذلك يعمل فى نفوس أفراد الشعب المنصرف الى أعماله بجد ، ماتعمله الموسيقى . بما يرسله أدباؤه من القطع الشعرية البديعة التى يجد فيها الانسان رجعا لصدى نفسه الشجية ووتراً لنغمات قلبه المضنى ، فيتلذذ من قراءتها ويطرب لسماعها ، وينفس عن نفسه ماعلق بها من ألم ، ويذهب عن فكره مايطيشه عن بهجة الحياة . ولعل دور (الاوبرا) التى تنشئها وتساعدها الحـكومات فى الأمم الحية ليجد فيها الشعب العامل فى صخب الحياة من أسباب انعاش النفس وانشراح الضمير ـ مايبعث فيه لذة العيش وروح اليقظة والنشاط ـ لعل هذه الدور شواهد قائمة لما للأدب من تأثير موسيقى عظيم على النفوس اذ ليس فى دار الاوبرا الا الاطراب بقصائد ممتعة جميلة كلها رقة وعواطف تمثل أعمق نغمات النفس ، أو تمثل روايات كلها صور طبق الأصل للحياة وما فيها من آمال وآلام ،

وأفراح وأحزان، ومحبةوبغض ، ورضاء وغضب ، ورحمةوقساوة، وعطف وكراهية ، وهل هذا كله سوى الأدب فى بعض صوره وفصوله .

ان حضارات الأمم المعاصرة ونهضاتها قد أصبح قوامها العلم والفن ولكن للأدب فضل تأسيس هذه الحضارات والنهضات أيا كان نوعها وكيف كانت صبغتها . وما من نهضة علمية أو فنية أو سياسية أو دينية الا للادب يد فى انشائها وتقويتها فى بدء تكوينها.ومطالعو التاريخ الحديث لاينسون كلما ذُكرتْ قوة المانيا الهائلة ، ما كان لادبائها قبل قرن أمثال (جوته وشيلر) من الجهود فى تكوين وحدتها وتوجيه قوتها الى صوب واحد ، بعد أن كانت ـ داخل بلادها ـ مجزأة الاوصال ، متفرقة الكلمة والغاية ، أشبه بالأقطاع المختلفة المتباينة ، وكان ما كان من استحواذ نابليون بونابرت على قسم منها ، ولا ينسون كذلكْ حينما تذكر الثورة الفرنسية ـ وهى بدء حياة فرنسا الحاضرة ـ ما كان لأدب (مونتسكيو وروسو وفولتير واندريه شيتيه) من تأثير عظيم فى نفوس الفرنسيين بعثها الى تعشق الحرية وأيقظ شعورها الى نشدان حقوقها المغصوبة وانقاذها من أيدى الطغاة المستبدين .

وهذا الدين الاسلامى قد قام دستوره الأعظم (القرآن الكريم)

على الاعجاز ببلاغته وبيانه الساحر ولم تكن الحياة الاسلامية فى ابتداء بعثها الا تلك البلاغة العربية المثلى التى كان يبثها نبي الاسلام (صلى الله عليه وسلم) فتهيمن على العقول بعذوبتها وتغزو القلوب برقتها وسحرها وجاذبيتها وكانت قريش - رغم مناوأتها هذه الحياة الجديدة - تسارع الى سماع تلك البلاغة تترقرق من فم ذلك النبي العربى الكريم . فلايلبثون أن يداخل نفوسهم الاعجاب ولا يعودون الى مجالسهم الا وقد استرقت تلك البلاغة مسامعهم ، واسترعت قلوبهم وأخذت حلاوتها تستولى على أذهانهم . ثم لايلبثون أن يستهوى أفئدتهم مايتخللها من حكم نبيلة وقوانين انسانية كريمة كانوا فى غفلة عنها فيروا أنفسهم منقادة - من غير ماحيلة - الى ورود هذا السبيل .

ثم أليس تلك النهضات الاسلامية التى ملأت - وما زالت تملأ - الخافقين قد شيدت ، كلها ، على تلك الحياة الاسلامية الاولى التى بدأت بالاعجاز بالبلاغة فقط وأسرت النفوس بالبلاغة فقط ، واستولت على اتجاهات القلوب وتصورات الافكار بالبلاغة أيضا فكان ما كان من شأن الاسلام فى العظمة والخلد ، من ذلك التاريخ حتى الآن .

والبلاغة بما هى تصوير بديع للحقائق ، وترجمة صادقة للواقع ونقش للشعور ، وبما هى بيان ساحر يتناسق ايجازاً أو اطنابا مع

تناسق تلك الحقيقة المصورة ؛ والواقع المترجم ، والشعور المنقوش ـ اختصاراً أو افاضة ـ ليست الا مانسميه بالأدب اليوم .

اذن فالأدب قوام النهضات والحضارات يؤسسها فى الابتداء ثم يسايرها فى تطوراتها ويحفظ لها ذكراً خالداً حتى نهاية الحياة فهل بيننا من الأدباء من يوقظ أمتنا الخاملة المتفرقة من رقدتها ويؤثر فيها مثل تلك التأثيرات ويخلق لها مثل تلك النهضات ذلك ما أود أن تجيب عليه الاقلام فى مستقبل الأيام .

الوجدان

الوجدان قوة من قوى الشعور كامنة فى النفس ، تنزع بصاحبها الى التجمل بكل خلق كريم ، وتدفعه الى عمل كل أثر جميل ، وايثار كل ماغايته الحمد . . . . . . فهو احساس رقيق وعلوى سمته النبل والنزاهة واللطف . وظواهره الشرف وكرامة النفس والاحسان ، وله احتكام على النفس ، فهو يتسيطر عليها ولكن فى اعتدال ، ويحدوها الى العمل فى رفق واتزان من غير تعسف واغلاظ ، ويغالبها فيما تريد من شطط ، بهدوء وجلال ، فان هو غلبها وقادها الى الجميل ففعلته عاد عليها بالجزاء الطيب فأذاقها حلاوة عملها فى لذة الارتياح ونشوة السرور والاطمئنان ، وان هى غلبته فسارعت الى القبيح

عاقبها بالوخز والتأنيب حتى ترضخ وتثوب الى الرشد والندم على ما كان منها من شذوذ وتفريط .

وهذه القوة الكامنة فى الانسان انما تكون فى تلك النفوس الكريمة التى هيأتها الأقدار لأن تمثل وقار الانسانية ، وجمال غايتها بصورة جاذبة تكشف عن الأسرار التى تكفل السعادة الاجتماعية العامة ويرتاح اليها الناس جميعا على السواء ، لو كانوا يقدرون على الاستمساك بتلك الأسرار كسجية فى نفوسهم وعلى اصطفائها كمنهاج فى سلوكهم ، فهى لاتستقر فى النفوس المسفة التى غشى أعماقها ليل السوء ، واحتاطتها الرذائل ، فتداعت كرامتها وكانت شرعتها فى الحياة الغش والتضليل ، وكان سبيلها فى الوجود التقلب فى فوضى الأخلاق : ذلك لأنها طاهرة لاتمتزج بالخسائس ، شريفة لاتتنزل فى مواطن الفساد ، نبيلة لاتساير النذالة والمكروه .

وقد خلق الناس فى الحياة أطواراً ، فمنهم ذكى ممتاز ، ومنهم عالم معتز بعلمه ، ومنهم أديب مغرور بأدبه ، ومنهم غنى مفتخر بثروته ، ومنهم شريف فى الحسب يتعاظم به ، ولكن الذكاء والعلم والأدب والغنى والحسب الموروث لاتجدى فى هذا المجتمع ولا يسعد بها أصحابها اذا لم يكن لهم وراء هذه المميزات وجدان طاهر يكسوها بهاء ويكسبها تقديراً على تقدير . ومثل الذكى والعالم والأديب

والغنى والحسيب من غير وجدان كمثل حقل مخضر بحشائش فاسدة وأشواك ضارة نبتت بينها زهرة بهيجة المنظر تشبه الورد فى لونه وشكله الباهى الجميل ، ولكن اذا جئتها مجذوباً بهذا المظهر المستميل تريد أن تستنشق منها رائحة ذكية وتمتع نفسك بأنفاسها الشذية سرعان ماتشيح عنها بوجهك ، ويصغر فى عينك ما كنت أجللت فيها من قبل ، حينئذ تدرك أنها نجمة من أنجم تلك الحشائش خادعة الظاهر لم توهب فى جيوبها ولا فى أكمامها أرجاً عطرياً ، وليس بينها وبين الحشائش والأشواك التى تكتنفها فارق . ومثل صاحب الوجدان من هؤلاء كمثل وردة يانعة وسط جنينة مخصبة حافلة باخضرار ممتع يجتذب نفسك وينعش قلبك فتتناول يدك تلك الوردة باستئناس روحى ، واعجاب ، ولا تمالك أن تضعها فى المحل العزيز عندك ، تشاهد جمال الحياة فى منظرها وتستديم الانتعاش بعبيرها الفياح .

ان أساليب السعادة كثيرة ومبثوثة فى ميدان الحياة ، وطلابها الكثيرون متفاوتون فى اختيار النوع الذى يتذوقون منه لذة الهناء. وصاحب الوجدان الطاهر لو تجمعت لديه كل أسباب السعادة دفعة واحدة أو انفرد بشىء أو فاته الكل ، انما يجد لذة السعادة الحقيقية حينما يوفق الى ارضاء غلة وجدانه ويرى أن ماقامت به

نفسه وعملت يداه من أثر جاء وفق ما كان يرجو وجدانه ويمليه عليـه وازع الوجدان . فأعظم بها من لذة ليس تصويرها بمستطاع قلم وبيان .

وكل انسان فى الوجود يدعى لنفسه وجدانا ، ولـكن الوجدان ـ يا للأسف ـ ليس من قالات اللسان . وانما هو سر خفى فى منطويات النفس لاتدرك حقيقته الا فى نتائج الأعمال والغايات فهو كالقوة الـكهربائية لايظهر كنهها وجمالها الا حينما يتألق نورها الوهاج على الأسلاك الذهبية فى ثريات البلور .

شخصيات العظماء

وأثرها فى النفوس

يموت انسان من أناسى هذا العالم ، فلا ترى عينا تدمع عليه ، ولا قلبا يتألم لفقده ويذهب نبأ موته مع الرياح لايجد له صدى فى النفوس ، ولا تجيش لذكراه عاطفة حزن اللهم الا نفراً من خواصه وذوى قرباه يبكون ويجزعون عليه أياماً . ويموت آخر فكأنما هوى جانب من العالم وانتقض جزء من أجزائه فترى الأعين تغمرها عبرات الحزن ، وتشعر بالنفوس واجمة من تأثير هذه الصدمة السيئة وبالعقول حيرى كأنها نصبت على هذا العالم تراقب حركاته وتدير أعماله وكأن هذا الذى مات وذهلت لموته ليس واحداً من البشر يجوز عليه مايجوز على غيره من الموت ، وغاية حياته الفناء كغاية كل حى . فلم إذن هذا التفريق بين وحدات هذا المجتمع البشرى ؟ وما هى الفوارق غير المشتركة بين أفراد هذا العالم ؟ تميز بينهم هذا التمييز البعيد وتقضى لأحدهم بما لاتقضى به لكثيرين آخرين من مقام تعظيم وسمة اجلال حتى بعد الموت .

هنالك أسرار وميزات خاصة يختص الله بها بعض شخصيات من بين هذا العالم فيودعها فيها ليصلح على أيديها أمما ، أو ينقذ بواسطتها شعوبا ، أو يقود بها خلائق شتى الى مواطن القوة بعد

الضعف . والرفعة بعد الذل ، ولولاها لدرست شعوب . وتدهورت أناس وأمم الى دركات الانحلال والفناء ، وتلك هي شخصيات العظماء الذين يسمهم التاريخ بطابع القيادة والزعامة، ويربط حياة أممهم بهم، وتحفظ آثارها بذكرهم ويعاد ذكرها على أسمائهم سواء كان ذلك من ناحية واحدة خاصة ، أو نواح متعددة عامة . وتلك الأسرار والميزات الخاصة التي كمنت فيهم ، وتكاملت عندهم دون غيرهم هي بالذات الأسباب التي كونت وهيأت عظمتهم ، وبالتالى عظمة شعوبهم وأممهم ، إذن : فلكل عظمة أسباب ودواع تخلق لها الجو الذى تنشأ وتتهيأ فيه . وعلى قدر قوة هذه الأسباب ونشاطها تكون قدرة تأثيرها فى النفوس ، ومثلها كمثل الخلايا الليفية لجثمان الانسان فكما أن نشاط الجسم يكون على قدر امداد الخلايا بعضها البعض بالتيارات والتموجات الدموية وسرعتها فى ذلك ـ كذلك عظمة الأفراد . فانه على قدر استعداد أسبابها يكون تأثيرها فى النفوس .

واذا أردنا أن نتعرف هذه الأسباب فليس ذلك فى الامكان من كل الوجوه ، فهى ليست بالعلم وحده ، ولا بالتأثير وحده ، ولا هى بالأخلاق السهلة الجذابة فقط (وكم من أشخاص اجتمعت فيهم هذه الصفات ، ولكنهم بقوا كغيرهم أناسا عاديين فى هذه الحياة) وانما هى مجموعة خلال كريمة ، ومواهب ممتازة تتبدى كسر من

الاسرار في نواحي الحياة المتنوعة ، فطوراً في عمـل من الأعمـال عجزت عنه العزائم ، وتارة في معضلة فترت دونها الأفـكار ، وكره في عبء أبت الـكواهل أن تقوم به وما الى نحو هذا من الجلائل والعظائم،ولـكن مع ذلك لاتستطيع أن تضع لها حداً حقيقياحين وصفها . بل هي كالمغناطيس القوى تسطو على القلوب وتهيمن على المشاعر فتتألفها ويمتزج فيها احترامها فلا يدرى الانسان الا وقلبه عالق باجلال تلك الشخصية العظيمة، ولا تشعر الجماعات الا وسلطان تلك الشخصية يستولى على مشاعرها وهذا السلطان في شخصيات العظماء -انما هو موجود فيهم بالطبع لامكتسب بالمران .

على أن ميول الافراد والجماعات نحو عظيمها وزعيمها مهما كانت لاتظهر تماما الا بعد موته لأنهم في حياته لعظيم اغراقهم في الاحترام والاجلال لم يعودوا يحسون بأن ذلك شيء غير عادى لديهم ، والانسان اذا زاد امعانا في أمر استهان به مادام باقيا بين يديه وتحت أنظاره ، واذا فقده تجلت فيه رغبته،لذا يستولى الذهول والاندهاش على أفـكار الأفراد والجماعات حين موت زعمائها وقادتها، ويضحون وقتئذ كالأيتام لايدرون ماذا يفعلون ، ويحسون حينئذ بالتحقيق بأن شيئا انتزع من بينهم وأن هوة انفتحت أمامهم ولـكن أين هي؟ وكيف؟ وفي أي شيء ، وهل يمكن انسدادها ؟ هذا مالايستطيعون تصويره

لك ، ولا الاجابة عنه ، ولقد تحدثهم الهواجس بأن الحياة لم تعد ممكنة لهم مادام الموت قد سطا على مناط أمانيهم وثقتهم وأعز عزيز لديهم بل تذهب بهم الى أبعد من هذا الظن فيستغربون نزول الموت على هذا الذى كان ملء قلوبهم ويؤديهم استغرابهم هذا فى مواطن كثيرة الى عدم تصديق نبأ موته فى بادئ الأمر : وليس بعجيب هذا الاستغراب من أناس وضعوا ثقتهم فى جهة واحدة ، وتناسوا بجانبها كل ماعداها حتى أنفسهم . ويمكننا أن نتبين مقدرة أى زعيم فى إجتذابه القلوب ، وسلطانه على النفوس بمقدار تأثر جماعاته من وفاته .

والأمثلة التى توضح ما تقدم جمة شاخصة فى كل عصر وفى كل جيل . يحدثنا التاريخ عن المسلمين فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وكيف اعتراهم الذهول يوم مات حتى ان أحدهم وهو (عمر ابن الخطاب) سل سيفه وهدد من يتحدث بموت النبى قائلا : (انما أرسل اليه كما أرسل الى موسى فلبث عند قومه أربعين ليلة والله انى لأرجو أن يقطع أيدى رجال وأرجلهم) . ألم يكن المسلمون إذ ذاك ــ وهم أثبت الناس إيمانا ــ يعرفون الموت ، ثم ألم يكونوا يعرفون فوق ذلك أنه آدمى يجوز عليه ما جاز على الأنبياء قبله وكتاب الله بين أيديهم يقول (انك ميت وانهم ميتون) لاشك فى علمهم ذلك

ولـكن الثقة العظيمة بنبيهم والجلال العظيم لشخصه الذى مازج قلوبهم وأنساهم كل شيء عداه جعلهم حين فاجأهم موته يكذبون أنفسهم ويتشككون فى تصوراتهم وهذا مثل الناس مع كل عظيم لديهم .

ويوم مات سعد زغلول باشا بمصر استولى الذهول والاندهاش على المصريين كلهم وأخذت منهم الحيرة كل مأخذ. ولم يصدقوا نبأ وفاته بادئ بدء وليس ذلك بالغريب المستنكر فان كل مصرى كان يشعر أن قلبه بجملته سعد زغلول وكيف لا تأخذه الحيرة حين يحس بأن قلبه ينتزع منه انتزاعا بل أغلب الشرقيين البعيدين الذين يدركون عظمة سعد انتابهم ما انتاب المصريين ، وأنا أعرف من نفسى ذلك ، فانى لم أصدق بوفاته حينما قرأت نعيه فى بعض الصحف واستغربت أن يغتال الموت سعدا العظيم كأن الموت مستحيل على العظماء، ولـكن تلك سنة الله جرت فى الناس مع كل من تملّك نفوسهم وقلوبهم بالحب والاجلال .

قوة الارادة فى الانسان

صلاح كل أمة انما يكون بالعلم الصحيح ، والعلم الصحيح لا ينال الا بالسعى والادراك ، والسعى يتطلب عملا ، والعمل لا يكون الا بالصبر والمجالدة فى طرائقه ، وهاتان الصفتان انما هما نتيجة الارادة القوية التى تعزم على صاحبها بالمثابرة فيما يعمل وتدفعه الى اقتحام مايعرض أمامه دون نوال مبتغاه .

ولقد خلق الانسان فى هذه الحياة ليغامر فيها ويجد ، والحياة حافلة بأسباب السعادة وهى فى متدارك كل أحد ، ولكن دون ذلك مراحل أهوال ، ومتاعب ، وشقاء ، لابد من اجتيازها . وليس للانسان سلاح يقوى عليها به سوى تلك القوة الكامنة فى نفسه (الارادة) فاذا أحسن استعمالها ، واستفزها بالحركة الدائمة ، والعمل المستمر المثمر ، ظهرت نتيجتها وأثرت فى كل ماأمامها من صعوبات كما تؤثر قوة الكهرباء فى كل ماتمسه واذا أهملها بانتحال العجز والكسل ضعفت وكبر عليها كل أمر وعسر عليها كل عمل ، وتغلب عليها كل شىء بسيط .

فالارادة — إذن — هى النقطة الأساسية فى حركات الحياة وأطوارها ، وعلى قوتها تبنى كل قوة سواء فى الأعمال الفردية أو فى أعمال الأمم ، وبها تستثمر قوة العلم والفن ، ويستطاع تحقيق كل

أمل منشود ، كما أن من ضعفها واستكانتها الى الضعة يأتى كل فتور وخمول ، وتلاش واضمحلال .

ولعل أقرب مثال يمكن تطبيق هذه النظرية عليه ، هو حياتنا الحاضرة . فنحن اذا قارنا شعبنا بغيره من الشعوب الحية المعاصرة نجد تفاوتا عظيما ليس فى العقلية والذكاء ولكن فى اتجاهات الحياة وتطوراتها ، والأسباب في ذلك واضحة والمسألة تفسر نفسها بنفسها .

اننا ككل الأمم لاينقص مجموعنا عن مجموع غيرنا فى الذكاء والتفكير الى حد بعيد ، ولقد تحصلنا من العلم ومن وسائل رغد الحياة على قسط طيب استطاع غيرنا من الأمم حينما كان مثلنا فى دور الابتداء ـ أن يستثمر من مثل هذا القسط فائدة محسوسة ، تبدلت معه وجهة حياته ، وتغير مظهرها من الضعف الى القوة ومن الخمول الى النشاط والانبعاث ومن الجمود الى التقدم وطلاب الغاية السامية كأن هذا القسط من العلم ووسائل السعادة ، كان كشعاع من الضياء بسيط أرسل الى ظلمة تلك الأمةفاستنارت على ضوئه ، واستيقظتقليلا وأخذت تبحث (بقوةإرادتها) عما يقوى ذلك الشعاع لتبدل ظلامها كله بنور وضاح أما نحن فكان نصيب ذلك القسط عندنا كنصيب تلك القطعة الصغيرة من (الطباشير)

الأبيض يلقى فى إناء ضخم مملوء بحبر أسود فاحم فهى - بلا ريب - لاتلبث أن تضمحل من غير أن تؤثر فى الاناء وما فيه بشىء ، والأساس الفارق بيننا و بين غيرنا فى هذا كله هو قوة الارادة فى غيرنا وضعفها لدينا .

ان الأمة - كما قالوا - هى مجموع الأفراد ، والأمم الأخرى الحية تمتلك ثروة من الأفراد علماء وأغنياء ، وعمال أقوياء ، ولكن ليس سر قوتها وعظمتها فى غنى أفرادها وعلمهم وقوتهم فقط ، فان هذه الصفات وحدها لاتعمل لسعادة المجموع . وانما السر فى ذلك الجوهر الكريم (الارادة القوية) الذى يضىء كضوء الراديوم ، فى نفس كل فرد منهم ، فأغنياؤهم لايفهمون من غناهم أنه للاكتناز وأنه مستغل خاص لسعادتهم المحدودة بل يعلمون أن ثروتهم انما هى ثروة الأمة ، فيحرصون على أن تكون وسائل جمعها ونمائها ، وسائل نافعة للمجموع ، ولا تحجم ارادتهم عن التضحية بما يملكون فيما يحسون أن وراءه إصلاحا محققا ، وفائدة مادية مرجوة - ولو فى المستقبل البعيد لأمتهم ولكيانها الاقتصادى ، واذا توجهوا الى أمر مثل هذا ، ثابرت عزائمهم عليه حتى يلمسوا ثمرته . وعلماؤهم فهموا من العلم أنه بحث وتنقيب وأن ما اكتسبوه انما هو وسيلة لاجتلاء أسرار الكون وكنوز الطبيعة ، فصحت ارادتهم على

البحث ولو فيما رآه الناس صعباً مستحيلا ، ولم يبالوا ـ مادام لهم ارادة قوية ـ بما يعترضهم من عقبات تستنزل اليأس والقنوط ، ففتح لهم العلم بابه على مصراعيه ، وألان بين أيديهم مستصعباته ، وكشف لهم عن ألغازه . وعمالهم ـ وهم الطبقة الثالثة فيهم ـ تحفزهم أيضا ارادتهم الصارمة لأن يفكروا فيما يسعد أمتهم من طريق عملهم، باذلال كل شاق ، وتسهيل كل عسير . وأمتنا أيضا فيها علماء ، وأغنياء ، وعمال اقوياء ، ولكن الفرق بيننا وبين غيرنا أن **علماءنا قنعوا بما عندهم وأغنياءنا لذواتهم لا يفهمون من الثروة إلا** أنها متاع شخصى خاص ، فشغلتهم أنفسهم وأغراضهم الشخصية عن النظر فيما ينفع الأمة ، وأغرقتهم خيالاتهم الطائشة فى بحر من الأنانية وحب الاستئثار بعيد القرار . وعمالنا الأقوياء[1] لا يفهمون من العمل سوى حرفين فقط هما (حج) فاذا تجاوزت بهم الى ماعداهما تلاشت ارادتهم ، وقعدوا بك فى الطريق ، وناموا النوم العميق واذا حاولت أن تبعث فيهم روح الاقدام ، وتشعل شرارة العمل ، وتذكى عزائمهم ، وحاولت أن تفهمهم أن للحياة مسالك كثيرة غير هذا (الموسم) الذى استكانوا اليه أعظم منه جدوى وأكثر ادرارا للخير يعمهم ويعم الأمة معهم، وأن ليس بيننا وبينهم

---

(١) نريد بالعمال الأقوياء غير العلماء ورجال المال الممتازين .

الا توجيه إرادتهم القوية اليها والاقبال عليها بعزم ثابت ـ هزوا رؤرسهم هازئين وولوا وجوههم عنك مستقبحين منك هذا الفهم والتفكير .

يقول بعض الفلاسفة : إن الإنسان لا تجزم إرادته بأمر ممكن جزماً تاماً لا تردد فيه الا وينفذ . ولقد صدقوا ، ودلائل صدقهم مشهودة فى أعمال إرادىّ هذا العصر (فاديسون) مثلا لم يكن له أن يصل الى ما فوق ألف اختراع ، وفيها ما كان يعد فى درجة المستحيل لولا الارادة القوية التى اتصف بها طوال حياته منذ أن كان عامل تلغراف بسيط فى (واشنجتن) حتى مات وهو أكبر وأشهر مخترع فى العالم .

ولم يكن (لبيكار) أن يحدث العالم عن أسرار طبقات الجو العليا لولا الارادة القوية التى حملته على الصعود (ببالونه) فى الطبقات التى لم يكن الناس يحلمون بأن أحداً يجرؤ على اكتشافها .

ولم نكن لنسمع بأن الانسان يصبح فى مصر ويمسى فى مكة على متن طيارة لولا قوة إرادة الأخوين (ريط واورفيل) التى حملتهما على أن يعلنا للعالم ـ بطيارتهما الأولى ـ أن جو الارض ميسور فيه السير والمرور بأسهل ما يكون .

ولم نكن لنسمع ـ باندهاش ـ ثروة فورد التى تعد بمئات الملايين

من الجنيهات لولا قوة عزمه ومثابرته على سلوك نجاح الحياة المختلفة ومنافعها المتنوعة منذ أن كان عاملا بسيطاً فى احد معامل السيارات بأمريكا ، الى هذا اليوم الذى سخرت له فيه كل هذه الأموال الطائلة ينتفع بها وينفع منها أمته ، ولم يكن أيضا للعرب فى صدر الاسلام أن يستولوا على بلدان الفرس والرومان ويهدموا ملك الأكاسرة والقياصرة ، وهم بدو عزل ، لولا تلك القوة الهائلة ـ قوة الارادة ـ التى كانت تنادى فى ضمائرهم بأن سيروا ، تقدموا ، فيسيرون غير هيابين ولا وجلين من شىء ، ولا مستصعبين أى أمر عسير .

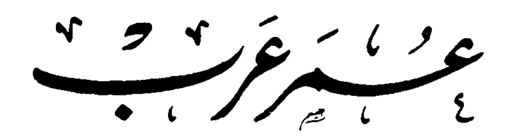
فالسر إذن ـ فى هذا الجوهر الكريم ـ فى قوة الارادة .

فالارادة القوية ، هى أساس كل شىء ، هى أساس العمل والباعث اليه ، والعمل دعامة النهضات وعمادها . والأمة التى لا يتحلى أفرادها بالارادة القوية لهى أمة تمثل الموت بصورة مصغرة ، سيقضى عليها الخمول ، ويلاشيها اليأس بالتدريج وما أحراها بأن يسقطها الجغرافيون وعلماء التاريخ من عداد سكان الارض .

فليكن بيننا ـ إذن ـ رجال أقوياء فى إراداتهم ثابتون فى عزائمهم يوجهونها الى خير الأمة ؛ واذا أقبلوا على أمر أقبلوا بعزم لا تردد فيه ، تعقبه الثمرة الناضجة والنتيجة المحسوسة .



عمر عرب



ولد فى أول المحرم عام ١٣١٨ بمكة المكرمة ولما بلغ العام السابع من عمره أدخل فى (كتّاب) تلقى به مبادئه الأولية فى العلوم الدينية والرياضية وفى عام ١٣٣٠ عند ما أسست مدرسة الفلاح بمكة التحق بها ومكث فيها الى تمام عام ١٣٣٧ حيث تلقى كافة علومه فيها ثم عين فى عام ١٣٣٨ أستاذا بمدرسة الفلاح بجدة وبقى فيها الى نهاية ذلك العام وفى عام ١٣٣٩ عين كاتبا بالمجلس البلدى بمكة ورقى فى عام ١٣٤١ الى وظيفة محاسب ثم فى عام ١٣٤٣ رقى منها الى وظيفة رئاسة الكتاب وبقى فيها الى منتصف عام ١٣٤٦ حيث عين محرراً بديوان (النيابة العامة) ولا يزال به حتى الآن .

ذكرى قديمة

أما تذكرين زمان الصبا وعصر السرور وأوقاته ؟
وأنسا تقضى بتلك الربى نعمنا مليا بلذاته ؟
نناجى السكون ونهمى الشؤون ونبنى صروح الهوى والغرام

* * *

أما تذكرين صفاء الغدير وصدح البلابل وقت المسا ؟
وأنت بقربى ملاك السرور يزيل من النفس وقع الأسى
نقضى الغداة ببث الشجون ونطفى لهيب الجوى والأوام

* * *

أما تذكرين وقد جُدتِ لى بقطف الورود ورشف اللمى
وقلت مكانكَ قف واجتل سناى فعندك بدر السما
فرعيا لعهد الولا والحنين وسقيا لعصر الهنا والوئام

* * *

دمعة على الشباب !

لمع المشيب بلمتى وانجاب ريعان الشباب
وتحطم الأمل الفتىُّ وكان ريان الاهاب

وتصدعت همم وكا نت لا تبالى بالصعاب
وثابة نحو العلا ء بعزمة تفرى الصلاب
نزاعة نحو المكا رم بالسلام وبالغلاب
واها على زمن مضى وعلى أمانيه العِذاب
كانت تفيض لذاذة أحلى من الشهد المذاب

الى الشرق المستكين

ياشرق هل نفدت قوا ك وهدك الخطب الكبير
أم قد جبنت عن النضا ل وهالك الرزء الخطير
بالأمس كنت مناضلا تبغى الصدور أو القبور
تسعى الى العليـاء لا تخشى مناوأة الدهور

***

بالأمس كنت ورائد الا إقدام يهـديك الطريق
واليوم فل مضاءك الـحدثان هـلا تستفيق
بالأمس كنت اذا أرا ك أقول مرحى أمتى
واليوم بت أرى الجمو د فأين أين عشيرتى
بالأمس كنت اذا سمعـت هزيم صوت المدفع
أفتر عن بشر تفيـض به حنـايا أضلعى

ماذا أصابك بعـد ما قد كنت تصبو للكفاح
هل أفزعتـك صفاحه فخشيت من لثم الصفاح
ماذا أصابك بعـدما قد كنت تعـدو للنضال
هل بت تخشى بأسه وتفر من وجه النزال

قلب المحب

يابلبل الروضة حى الصباح
مقبلا عنى ثغور الاقاح
واصدح فانى موله مولع
تيمه الحب !
واعزف فانى قد دهتنى الشجون
ومضنى الوجد ولا من معين
فبت دامى القلب لا أهجع
وعقنى الصحب !
اساهر النجم واهمى الدموع
وأذكر الحب بقلب هلوع
وقد تناءى الحب والمربع
وأقلع الركب !

فصرت من وجد حليف الشجن
وبت من شوق أليف الحزن
وشفنى السقم ولا مطمع
وهكذا الصب !
يا ظبيتى رفقا بقلبي الكليم
عيناك أصمت مهجتى فى الصميم
فاحنى عليه انه موجع
قد مضه الخطب !
ياربة القرط وذات السوار
أنت حياتى ليس عنك اصطبار
وعن هواك قط لا أقلع
لو مسنى الكرب !
بحسنك البالغ حد الكمال
وقدك المائس ذى الاعتدال
انى لغير الحب لا أخضع
لو خرت الشهب !
حسبك دلا اننى فى عذاب
ومهجتى أودت فيا للمصاب
مُنى بوصلى قبلما أصرع
ويسبق العضب !

آلام الصب الحائر

غادة الحسن تجلت كالقمر بعيون قد تحلت بالحور
ناعسات محييات قاتلات
فاتنات ، من صفاء ساحرات
نظرة منها تثير الزفرات
ويظل الصب منها فى خطر خافق القلب عديم المصطبر ! !
وجبين ساطع تحت الظلام
كهلال النصف فى وقت التمام
يا لقلب ! مضّه هـذا الغرام
ان يرى روضا توشى بالمطر وجنان الخلد مابين سقر
ويرى ثغراً حليا سلسبيل
وزلالا بارداً يشفى الغليل
ياخليلى هل لهذا من سبيل
علنى أهدأ من هذا الضجر ففؤادى قد شـكا منى الضرر
وبجيد خلتـه جيد الظبا
وجـال فاق بلقيس سبا
فلذا قلـبي منى ذهبا
وتأذى الجفن من طول السهر وملاكى قـد جفانى ونفر

ان تثنت فهي كالغصن الرطيب
قد كسى ثوبا من الحسن قشيب
كلما خاطبتها زادت قطوب
ورمت قلبي بسهم قد وتر   فأصابته ولا حين مفر
يا مهاتى خففى عنى الألم
فحياتى أصبحت مثل العدم
وبرانى لاعج الشوق ولَمْ
أر عطفا منك يا أخت القمر   فارحمينى لو بيسمات النظر
أترى هذا دلالا أم ملال
ونفاراً ، أم رأت قتلى حلال
فارفقى بالصب ياذات الجلال
فَأَنِى الحب فاض وغمر   وكيانى بات حتى لا أثر
لم يؤثر منظرى فى قلبها
لاولم ترأف بقلب صبها
وغدا   بعد أن ذاب جوى من حبها
عيشى مشوبا بالكدر   فطلبت الموت أبغى المستقر

صاح باكر الى ارتشاف الثماله ودع الغر سادراً فى الجهاله
واطلب الصفو فى رياض كستها جسنات الربيع أبهى غلاله
واقصدالدوح فى الصباح ودعنا نتفيا مع الحبيب ظلاله
واتل أوصاف من نحب وذرنا نتغنى بذكر ذات الجلاله
وأفض فى الحديث عنها فقلبي ـ دائماً ـ يعشق الجمال وآله

***

(قم بنا ندعى النبوة فى العشـــق فقد سلمت علينا الغزاله)
وملاك الهنا أطلّ علينا باسماً والهوى ألقى رحاله
وحبتنا ذكاء نوراً وزهواً فحمدنا ماقدمتـه الغزاله
والنعيم المقيم فى روضة الأنـ ـس مقيم، وليس شيء مثاله
والأزاهير فى البراعم فاحت أرجاً عاطراً فكانت حباله
والشحارير فى الغصون أثارت نار وجـد، وخيط قلبي ذباله
ومياه الينبوع تجرى كذرا ت لجين على الزجاج مساله
والنسيم العليل يخطر فى الرو ض، ويلقى على الغصون مقاله
فتراها من همسه فى سرور مائحات الاعطاف شبه إماله
بين هذا الجمال رتل سطور الـ ـحب واشرح مافى الهوى من نباله.

***

صاح هات المصباح ، واطرق قلوب الـ
ناس ـ سِلْماً ـ وقم نؤدى الرساله
واتل اسطورة الهوى كل حين ان آياتها تزيل
ليس هـذا الجمال الا يد اللـــه ترينا آياته ، وفعـاله
ليس هـذا الجمـال الا قوى تبـ عث فى النفس روعة وجلاله
ليس هـذا الجمال الا قوام الر وح والنفس فاكسنى سرباله
ليس هـذا الجمال الا رواء لقـلوب قد أظمأتها الجهاله
ليس هـذا الجمال الا شفاء لجروح فاضت دماء حيـاله
ليس هـذا الجمال الا بهاء وسناء ونضرة وطلالة
ليس هذا الجمال الا كشمس وَقلوب العشاق للشمس هاله

* * *

صاح ذا منهل الهناء فبادر لورود المنى وخض بى مجاله
واقتحم بى دار الحبيب وقل لى هاهو الحب قد حباك وصاله
ان يوماً أنال فيـه مرامى ذلك اليوم يوم مجرى العداله

عصر الشباب

حدثيني عن الصبا والشباب عن زمان الهناء بين الصحاب
حدثيني

حدثيني عن الهوى يامهاتى ان هـذا الحديث يحيي رفاتى
حدثيني

حدثيني عن الهوى والغرام وعن الحب واطف حر أوامى
والشجون

يوم كنا طفلين نمرح غيا يوم كنا ولا نرى، الدهر شيئاً
حدثيني

يوم كنا نسير فى الروض صبحا يوم كنا نبنى من الحب صرحا
حدثيني

يوم كنا بجانب الزيزفون نتشاكى الغرام بين الغصون
حدثيني

يوم كنا نخـلو بقرب الغدير يوم كنا نسير خلف الطيور
حدثيني

نقطف الورد والزهور ونعدو ولآى الغرام نتـلو ونشدو
كل حين

كنتِ بدرا يضيء جو حياتى كنت قربى تلطفى زفراتى
وانينى

نتساقى كأس الهناء دهاقا ونقضى وقت السرور عناقا
من حنين

حـدثينى عن رنة الأوتار كيف كانت تعيث بالأفـكار

حدثينى

عن ليال السرور بين الحقول عن زمان الصفا وجر الذيول

حدثينى

عن حياة كانت نعيما وخـلداً عن حياة كانت سلاماً وبرداً

حدثينى

لست أسلو هواك ياهند يوماً لا ولم أخش فى عذابك لوماً

صدقينى

ذكرينى بذلك العهد (هند) كيف نلنا الآمال والعيش رغد

ذكرينى

كم قطعنا عهد الصبا بالسرور كم رتعنا على متون الحبور

ذكرينى

ذكرينى بصفو وقت تولى فيـه كنا من الهنا نتملى

ذكرينى

كيف أسلو ذاك الجمال المفدى كيف أسلوك اننى مت وجـدا

فاسعفينى

واحنينى الى ارتشاف لمـاك واحنينى الى اجتلاء سناك

واحنينى

واحنينى لقطف ورد الخدود واحنينى لهصر بان القـدود

واحنينى

آه ان تنظرى بعين العليم ما أقاسى من العـذاب الأليم

ترحمينى



عبد الحميد عنبر

عبد الحميد عنبر

ولد بالمدينة سنة ١٣٢٦ وتلقى علومه الأولية فى المدارس الأميرية . ولما أسست مدرسة العلوم الشرعية انتظم فى سلكها ونال شهادتها وبقى استاذاً بها ما يقرب من سنتين وهو الآن يدرس اللغة الانكليزية .

هل نحن على ابواب عهد جديد

أظن أنه لايوجد فى المملكة العربية السعودية اليوم من يشك أن هناك فى طول المملكة وعرضها نهضة قوية تدفع النفوس دفعاً الى تطلب الكمال فى جميع شؤون الحياة ، ونظرة واحدة فى حياتنا أمس وحياتنا اليوم تكفى لأن تقنع اقناعاً صحيحاً كل من يتوهم غير هذا . لأنه يوجد بيننا اليوم كثيرون ممن كانوا يعتقدون أن مافى الصحف والمجلات كذب لافائدة فيه ، وقراءتها خروج على الدين والتقاليد . وهم اليوم يطالعون الصحف بتلهف ويعتقدون أن لمطالعتها الفضل الكبير فى تنوير الأذهان وتنمية الأفكار ، وكان يوجد بيننا من يرى ارسال الأبناء الى البلاد الخارجية للتعليم انما هو تضييع لهؤلاء الأبناء وقسوة يجب أن لا يتصف بها الآباء . وهم اليوم يودون لو ساعدهم الحظ ، فيرسلون أبناءهم ليرتشفوا مناهل العلوم من أطراف الدنيا ، وبيننا شيوخ كانت طرق العلم مفتوحة أمامهم ولكنهم لم يلتفتوا اليها لانشغالهم بملاذ الحياة . وهم نادمون على مافرط منهم ولا يرضون أن يتصف أبناؤهم بالجهل الذى ذاقوا مرارته ، وعرفوا معناه السقيم .

كل هذا يدل دلالة واضحة على أن الشعور بوجوب النهوض عام

فى طبقات الشعب وموجود لا شك فيه . غير أن الجدير بالبحث هو : هل توجد طرق منظمة ، وموارد غزيرة لاشباع هذه الرغبة اشباعاً كافياً وتوجيه هـذا الشعور توجيها منظماً ليأتى بالنتيجة المطلوبة ؟ أم ان هذا الشعور المتدفق يغلى فى الصدور مدة ثم لاتلبث ناره أن تخبو فلا يأتى بالنتيجة المطلوبة ، ذلك ما نريد أن نبحثـه ونرجو أن نوفق فى بحثنا الى طريق الصواب .

اننا نقدر لاطراد هـذا النهوض وتمخضه عن عهد جديد وجود أصول أربعة هى :

(١) وجود مدارس منظمة ابتدائية وثانوية وعالية توافق برامجها مناهج التعليم العام فى عموم أقطار العالم المتمدن .

(٢) وجود صحافة عالية تنشر الثقافة بين الجمهور .

(٣) « بعثات منظمة الى البلاد الخارجية .

(٤) تنظيم حياة الشباب تنظيما يوافق مطالب الحياة .

ولنبحث عن كل واحد من هذه الأصول على حدة لنتبين مقدار حظنا منه فنقول :

المدارس

لا نشك أن حكومة جلالة مليكنا المحبوب « عبدالعزيز السعود » التى شجعتنا على متابعة النهوض للتخلص من حياة لا تليق بشعب

عربى كريم قد سعت جهدها فى تعضيد المعارف وتوطيد مركزها، وقد بذلت وكالة المعارف من جانبها أيضاً جهداً تشكر عليه فنشرت المدارس الابتدائيـة فى أطراف القطر والمعهد العلمى السعودى بأم القرى الذى هو عبارة عن مدرسة ثانوية مستعدة لتهيّئ تلاميذ للمدارس العالية التى يجب أن توجد فى المستقبل القريب

الصحافة

من حسنات العهد السعودى هذه الروح الصحافية القوية التى نراها فى أطراف البلاد فقد شجعت حكومة جلالة الملك «عبدالعزيز» الصحافة فى الحجاز ، وأعطت امتيازات لعدة جرائد ومجلات صدر منها البعض وتوقف وبعضها لا يزال يصدر حتى الآن ، ومنها ما أعطى امتيازه ولم يصدر حتى الآن

ونحن هنا نسأل لِمَ لم يصدر ما أعطى امتيازه ؟ ولِمَ توقف عن الصدور ما كان صادراً ؟! ذلك لأن الصحافة لم تستقر لدينا على أساس قوى وانها فى حاجة الى تنظيم كما أنها فى حاجة الى صحافيين مدربين يستطيعون قيادة الجماهير وغرس المبادئ الوطنية والأخـلاق الرفيعة فى نفوسهم

البعثات

أما البعثات فليس هناك بعثات منظمة من الشباب المتعلم سوى

التى ترسلها الحكومة فى مناسبات خاصة لذلك فنحن فى أشد الحاجة الى ارسال البعثات المنظمة من الشباب المتعلم الذى نال قسطاً وافيا من التعليم الحجازى ووجدت فيه أهلية واستعداد للاقتباس من العلوم العالية مايفيد به أمته وبلاده. وهذا فيما نظن واجب من واجبات الشعب يجب أن يقوم به خير قيام. فالتجار وأصحاب الأملاك هم المسؤولون عن هذا ولن يجدوا لمبراتهم مصرفا خيراً من هذا، فهو صدقة جارية تثبت لهم الثناء على مر الدهور، ومتى تتابعت البعثات التى ترسلها الأمة الى جانب البعثات التى ترسلها الحكومة فستكون نخبة صالحة من رجال العلم والصناعات الذين يكون عليهم مدار النهوض.

الشباب

ليسمح لى الشباب الناهض أن أقول ان حياة أكثر المتعلمين عندنا غير منظمة، فانك لاتجد بينهم من رسم لنفسه خطة يسير عليها، وكون غاية معروفة يسعى لها فى أدوار حياته، بل ان الكثيرين منهم لايتكلفون عناء التنظيم بل ولايفكرون فيه فيتركون أنفسهم للظروف تكيفهم كيف شاءت. والعهد الجديد يحتاج الى شباب

منظم يسعى للغاية التى رسمها لنفسه ويقتحم المشاق فى سبيل نيلها

ذلك ما نرجو أن تنتبه اليه الأيدى العاملة من رجالنا العاملين ، فيسعون لحمل الأمة على أخـذ المفيد الصالح منها . وعندئذ لايمضى وقت طويل حتى نصبح أمة حية تأخذ مقامها بين الأمم .



مُحَمَّد بن سُرُور الصَّبَّانْ

محمد بن سرور الصبان

ولد بالقنفدة فى ذى القعدة عام ١٣١٦ وانتقلت أسرته الى جدة فى عام ١٣٢٠ هـ وفيها تلقى علومه الأدبية ، ولما نشبت الحرب العثمانية الايطالية تحولت أسرته الى مكة فالتحق بمدرسة الخياط ، ثم انصرف الى الاشتغال بمحل والده التجارى وفى عام ١٣٣٦ عين كاتب يومية بادارة بلدية مكة ، ثم رقى الى وظيفة محاسب ، فرئيس كتاب ولما شكلت حكومة جلالة الملك « عبدالعزيز آل سعود » المعظم البلدية عام ١٣٤٣ عين بنفس الوظيفة ، ثم انتخب عضواً فسكرتيراً للمجلس الأهلى وعلى أثرها اعتقل ضمن المعتقلين السياسيين وأفرج عنه بعد فتح جدة، وعين معاونا لأمين العاصمة ، وفى أوائل عام ١٣٤٦ نفى الى الرياض بتهمة سياسية وبقى مسجونا الى موسم عام ١٣٤٧ حيث عفى عنه فأخذ يشتغل بالأعمال التجارية حتى عين رئيسا لقلم التحريرات بوزارة المالية ، ثم مديراً لادارتها. ويعد اليوم من أعظم الرجال العاملين فى حكومة جلالة الملك المعظم .

ياليل [1]

ياليل صمتك راحـة للموجعين أسى وكربا
خففت من آلامهم ووسعتهم رفقا وحبا
أو ما ترى حدث الزما ن أمضهم عسفا وغلبا

ياليـل ان بسم الخلا ى وسادر لهواً ولعبا
فبجنبه يبـكى الشجى ورُبما لم يأت ذنبا
هـذا ينعم باله وأخوه يصلى النار غصبا

ياليـل فارو محـدثا أخبارَنا غبـا فغبا
فلنا بذلك حاجـة ان تقضها فرجت كربا
وأبدأ حـديثك بالأولى عانوا من الآلام وصبا

فعسى بهم تأسو وعل لنـا بذلك منه طبا

ياليـل ما للبـدر يـ ـرح فى السما شرقا وغربا
يبـدو فيضحك ساخراً منا وطوراً قد تخبا
يعـلو على متن السحا ب يسوقها سربا فسربا

---

(١) من قصيدة نشرت فى كتابه أدب الحجاز دون أن تنسب اليه .

أتراه يعبث كالوليد فليس يخشى بعد عتبا

ياليل حزنك دائم أدعوك للسلوى فتأبى
ياليل هل لك موطن مثلى قضى قتلا ونهبا
ياليل مالك مطرق أبداً فقد أمضيت حقبا
ياليل هل ذقت الغرام ولوعه أو كنت صبا
سرى وسرك غامض فدع الخلائق منك غضبى

ياليل ماشأن الغزالة سيرها تيها وعجبا
سكرى ترنح عطفها دلا فلا يستطيع خبا
تخذت لها مهد السماء كمرقص فتدب دبا
طردت اليك بناتها فضممتهن اليك ربا
تلك النجوم المشرقات وجوهها بشراً وحبا

ياليل لو أن الغزالة سرها قد كان غيبا
لم تفش من مكنونها أمراً ولو لم تأت عيبا
لغدت بنا الآمال تضرب فى الورى جمعا وصحبا

قد يكون الاديب قائد جيش

كان المرحوم عمر افندى شاكر صاحب جريدة الفلاح التى كانت تصدر بمكة فى عهد الملك حسين موجوداً بجدة أثناء حصارها فرغب فى ركوب الطيارة التى كانت تجىء الى مكة لتوزع منشورات الملك على ، وكان أن سقطت به الطيارة فمات فانتقد عمله بعض الاخوان بمكة وتمثل بقول الشاعر :

وللحروب رجال يعرفون بها　　وللدواوين حساب وكتاب

فأثر قوله فى نفس الشاعر فقال :

لايلام الفتى اذا ماتسامى　　ثم أمسى على الصعيد ركاما
هكذا الروح للسموات تعلو　　(مثلما الارض تجذب الأجساما)

ليس بدعاً على الشجاع اذا أقـ　　ـدم يبغى له السماك مقاما
وامتطى أصعب المراكب حتى　　جرعته الأقدار موتاً زؤاما
كفراش يحوم حول لهيب　　أجل ساقه اليه فحاما

أيها الراحل العزيز سلام　　من بلاد تقدس الأعلاما
من عيون قد أطلقت صيب الدمـ　　ـع وفاء وأرسلته سجاما

من قلوب تفيض حباً وعطفاً ... خيم الحزن عندها وأقاما
زعم البعض أن فعلك هذا ... غير مجد ورجحوا الاحجاما

ثم قالوا علام يدخل فيما ... ليس يعنيه انه يتعامى
يا لرب اليراع قد أخذ السيـ ... ـف وخاض الوغى مثيراً قتاما

انه حلف دفتر ودواة ... انه كاتب يجيد الكلاما
لايطيق الوقوف فى ساحة الحر ... ب ونيرانها تزيد ضراما
ويحه انه غوى تردى ... فسقاه الحمام جاماً فجاما

أيها اللائم الغرور رويداً ... فمهور العلا تكون عظاما
قد يكون الأديب قائد جيش ... فترى فيه باسلا مقداما
ويكون الجندى خدن يراع ... فيحي قصورنا والخياما

عاطفة النفس

ولما كان معتقلا بمكة نظم فى السجن الأبيات الآتية :

جل الأسى وتتابعت زفراتى ... ودنا المشيب فقلت حان مماتى
فكّرت ألتمس الخلاص بحيلة ... أين المفر من القضاء الآتى

يأيها القـدر المواتى انى بادى الضنا هلا ترى نظراتى
امنن علىّ بساعة أقضى بهـا حق البلاد وخـذ ربيع حياتى
ان كان فى الأجل المقدر فسحة أولا فانك نافذ الرميات
مالى اليك وسيلة أرجو بهـا نيل المرام فجـدت بالعبرات

ويحى أيعترض القنوط عزيمتى والحزم من طبعى ومن عاداتى
والدهر طوعى والزمان مصادقى والصبر درعى والثبات قناتى
فلقد أكر على الخطوب فتنثنى جزعا أمام مهندى وشباتى
وتمر بى شتى الحوادث خشعا ويصيبها خور حيال ثباتى

لـكننى فرد ولست بأمة من لى بمن يصغى لصوت شكاتى
من لى بشعب نابه مستيقظ يسعى لهـدم رذائل العادات
من لى بشعب عالم متنور ثبت الجنان وصادق العزمات
من لى بشعب باسل متحمس حتى نقوم بأعظم النهضات
من لى بشعب لا يكل ولا ينى يسعى الى العليا بكل ثبات

ان البـلاد بأهلها فبجهلهم تشقى وتلقى أعظم النـكبات
واذا توحـدت الجهود لخيرها سعدت ونالت أرفع الدرجات

العذول

ويل أم العذول يطلب مني ما تكون السماء أقرب منه
كيف أسلو غذاء نفسي وقلبي ذاب وجداً فمن يرفه عنه

الى أبناء الغد

أيها الأبناء سمعا انني سوف أتلو لكم ذكرى السنين

* * *

كان لي مال وجاه وندى وسماح فوق وصف الواصفين
أجمع المال لكي أنفقه في مواساة العباد البائسين
فكأني حاتم في قومه أصرف الأموال في وجه قمين
يلهج الناس بشكري دائما ويعيشون بفعلي آمنين

* * *

غير أن الدهر عاداني ولم أدر ماذا يبتغي مني الخؤون
ورماني بصروف قوضت وأمادت ذلك الركن الركين
أخذت مالي وهدت قوتي وحنت ظهري تباريح السنين

* * *

ثم لما علم القوم بما كان من أمري تولوا معرضين
وانبرى البعض فأضحى قائلا انما هذا جزاء المسرفين
لا يبالون اذا ما أنفقوا أجزافا أم لمدح المادحين

أم تراث ورثوه فجأة   أم كنوز، ويح من لايستبين

***

ليس همى فى الذى قالوا فما   أبعد الشك على أهل اليقين
انما قد ساءنى أنهمُ   أسقطونى من عداد العالمين
ورمونى بظنون تركت   بفؤادى غصة الحزن الكمين
كل ذا اليوم لأنى معسر   بعذ أن كنت زعيم الموسرين

***

نفذ الهم الى قلبي وقد   كان لى درع من المال حصين
وبياض الشيب وشى لمتى   بأكاليل من الماس الثمين
بعد ماعاركت دهرى زمنا   نلت فى أثنائه الفوز المبين
خلسة الدهر تولت ومضت   ولذكراها حمى الدمع السخين

***

يابنى اصبر ولا تيأس اذا   مسك الهم وجافاك الخدين
ان فى الصبر سلاحا واقيا   من شرور الناس والداء الدفين
فى زمان أصبح المال به   سلم الخزى لبعض الفاسقين
وغدا الدينار طوعا للألى   بددوه فى تعاطى مايشين

***

حكمة المولى فلا منع لما   قد قضاه الله رب العالمين

فانهج الحق ودع طيش الصبا　　واتّبع خطو الجدود الأولين
واسكب الدمع على عهد مضى　　ان فى الدمع عزاء للحـزين

(وطنى)

أنا لا أزال شقى حبـ　　ـك هائماً فى كل واد
زعم العواذل أننى　　أسلو وأجنح للرقاد
كذبوا وحقك لست أقـ　　ـدر أن أعيش بلا فؤاد
ولسوف أصبر للمصائـ　　ـب والكوارث والبعاد
حتى أراك ممتعاً　　بالعز ما بين البـلاد

لا اصلاح مع الرياء

نقلنا هذا المقال عن كتاب أدب الحجاز الصادر سنة ١٣٤٥ .

أيها الرفاق

نحن اليوم على مفترق الطرق . فاما سعادة دائمة ، وإما شقاء واقع .

لقد تقلص ذلك الماضى على مافيه من خير وشر وأصبحنا إزاء حالة جديدة ، وتطور عظيم اذا نحن لم نسر فيه على منهج قويم وبقدم ثابتة لانأمن العثار ، ونسقط فى هاوية لا مخرج لنا منها .

ان البلاد تجتاز مرحلة لم تتعود السير فيها ، وقد ألقت زمامها فى أيدى قادتها وهاهم سائرون .

نريد الاصلاح ، الاصلاح فى كل شىء ، ولـكن لاإصلاح مع الرياء .

لقد تعود قادتنا من أبناء أبينا أموراً أصبحت فيهم بحكم العادة طبعاً خامساً .

هذه الأمور : هى الرياء فى كل شىء ، عدم الاخلاص فى القول وفى العمل ، الاغترار بالمظهر دون الجوهر ، السير مع المصلحة الذاتية ، وتضحية المجموع فى سبيلها ، العمل على انفراد ،

التعصب للرأى الأفن ، يضاف الى ذلك ضعف فى العزيمة ، ونقص فى الشجاعة الادبية ، وقصر فى الحالة الفكرية ، وغير ذلك .

فهل يرجى الصلاح من أناس هـذه حالتهم ؟ لا وربى ، يسمع الناس صراخنا وترديدنا كلمة (الحجاز للحجازيين) فيضحكون علينا ويهزأون بنا ، وهم على حق . . . أين هم الحجازيون ؟ هـل فى الحجاز علم أو تعليم ؟ هل فى الحجاز حكماء ؟ هـل فى الحجاز قادة ؟ هل فى الحجاز زعماء ؟ هل فى الحجاز صحافة ؟ هل فى الحجاز نواد أدبية ؟ بل هل فى الحجاز رابطة أدبية أو وطنية ؟ لا وحق الوطن التعس لا يوجد كل هذا اليوم . . . !

أين هى الدعامة القومية التى يرتـكز عليها هذا القول : الحجاز للحجازيين ؟ انهـا ياقوم لـكلمة أكبر ممـا تظنون وأعظم ممـا تتصورون .

دعونا بالله عليكم من هـذه الجعجعة ، وسيروا بنا فى طريق العمل : العمل النافع الذى نستطيع أن نسحق به مااستحكم فينا من رذائل العادات .

ان هذه الـكلمة أيها الرفاق ، لاينبغى أن يتلفظ بها الا من تربى فى وسط حر تحت راية الاستقلال التام ، ومن يستطيع أن يكوّن له رأياً مقبولا فى ادارة شؤون أمته .

ان هذه الكلمة أيها الأصدقاء ، معناها حرية الأمة ، وحكم نفسها بنفسها ، فهل نحن لتحقيقها من العاملين ؟

اننا اذا حرمنا منها لايكون لنا وجود فى الوجود ، فهل نعمل اليوم لاسترداد المفقود وإصلاح الموجود بقلوب ملأى بالايمان ، وعزائم تناهض الحدثان وتغالب الأيام ؟

نعم نعمل اذا أخذنا نجمع أجزاءنا المفرقة ، وأعضاءنا الممزقة ، ووحدنا كلمتنا وارادتنا الكلية والجزئية ، وسددناهما نحو سعادة الأمة الحقيقية .

وفى ذلك اليوم يصح لنا أن نقول بحق : الحجاز للحجازيين .

فى ذلك اليوم يشعر الحجازى أنه عضو عامل فى الأمة ، يسعد بسعادتها ، ويشقى بشقائها تحت لواء الاتحاد والاخاء والمساواة والعدل

فى ذلك اليوم ينفسح أمامنا مسرح الفكر ، ويتسع لنا مجال العمل ، ويكون لارادتنا وميولنا تأثير فى رقى مجتمعنا .

نخلصونا ياقوم من الرياء ، وسيروا بنا نترفع عن الدنايا وننهض الى المعالى .

سيروا بنا نخرج العقول من مضايق الشخصيات !

سيروا بنا نقوى العزائم ونهيب بالهمم !

سيروا بنا الى الاستنتاج الصحيح من المقدمات اليقينية !

سيروا بنا نصون الأعمال من الخلل !

سيروا بنا نتسابق الى الأعمال الشريفة !

سيروا بنا نتنافس فى جلب المفيد للأمة !

وحينذاك نرتقى فى مدارج الرفعة متنقلين من الصالح الى الأصلح حتى نصل الى درجة الكمال .

وذلك هو الاصلاح المنشود !



محمد سعيد العامودي

محمد سعيد العامودي

ولد بمكة عام ١٣٢٣ وتعلم فى كتاتيبها ، ثم انتظم فى سلك مدرسة الفلاح فتخرج فيها فى أواخر عام ١٣٣٨ ، وأخذ يشتغل بالتجارة بجانب والده عبد الرحمن العامودى حتى عام ١٣٤٦ وفيه توظف بادارة عين زبيدة ثم استقال منها ، ولما تأسست ادارة الطبع والنشر عام ١٣٤٧ تعين فيها ثم استقال فى منتصف عام ١٣٤٨ ، وفى عام ١٣٤٩ عين سكرتيراً لهيئة التحقيق والتفتيش وفى عام ١٣٥٠ عين رئيسا لقلم التحرير بادارة البرق والبريد العامة ولا يزال يشغل هذا المركز حتى اليوم ، وقد أشرف على تحرير جريدة صوت الحجاز عام ١٣٥٢ بضعة شهور .

من رباعيات

الشعر فن جميل   لدى الطباع الجميله
انى أراه دواما   سرّ الحياة النبيله
لكنه بات يشكو   ذوى النفوس العليله
هم صيروه مهانا   يحيا حياة ذليله

الجهل داء عضال   كما يرى العقلاء
لكنما هو داء   له لديهم دواء
فالعلم طب حديث   للجاهلين شفاء
وليت شعرى بماذا   يعالج الأغبياء ؟

أما الحياة فانى لست أفهمها   الا غناءً وألحانا وأشجانا
أرى الزهور وقدأضحت أرائكها   تغدو فتشدو عليها الطير تحنانا
وأسمع الصادح الباكى يذكرنى   عهداً من الحب فيه كان ما كانا
يومى وأمسى مجال للترنم والا   ذكرى،وهذاغدى أيضالقدآنا

وطنى أنت نعمتى مثلما أنـ   ـت شقائى فكيف هذا التناقض
اى وربى نعم فانى سعيد   بك لما قد كنت بالأمس ناهض
وشقىٌ معذب حين القا   ك وقد حل فيك هذا التمارض

حكمة الله هذه وقضاه وقضاء الاله ليس يعارَض

لاتقولوا لمن يتاجر فى مبـدئه ، كيف أنت فيه تتاجر
لاتقولوا له : لقد جئت ذنبا هو ذنب من الذنوب الكبائر
حسبكم منه فعله فهو درس لأولى الأنفس الشريفة ظاهر
حسبكم انه بغير ضمير حينما الناس يذكرون (الضمائر)

قد يضيع الحديث عند أناس **لا يكادون يفقهون الحديثا**
انما الصمت حكمة بين قوم لوثتهم عقولهم تلويثا
هم يرون الخبيث شيئاً جميلا ويرون الجميل شيئا خبيثا
عش غبيا ، وكن جماداً ، وللرا حة ياصاح فاسع سعيا حثيثا

الحب الزائل

اكثرى ، اكثرى من الاعراض واهجرينى فاننى عنك راض
اكثرى اكثرى من الصدفالصد أيا هند لايثير امتعاضى
اكثرى اكثرى فلافرق عندى الـ يوم ، بين الدنو والاعراض
اكثرى من جفاك ان جفاك الـ عذب أمسى من أقدس الاغراض

* * *

قد قضى الله بيننا بافتراق ليس دفع لما المهيمن قاضى
فسلام على الهوى وعلينا وسلام على العهود المواضى !

السياسة !

قيـل عنها بأنها بنت أفعى حية فى سباسب الأرض تسعى
تكتسى حلة من المخمل النا عم دوما ، وفى الحدائق ترعى
ويراها الراؤون تمشى الهوينا فى هدوء تحاذر الناس جمعا
وتغنى فى سيرها وخطاها انها بالغناء تطرب سمعا
هى فتانة المظاهر والاشـــكال ، جذابة كما هى تدعى !
فلها فى الحياة لحن اذا شا ءت أفاض السرور أوسحَّ دمعا

* * *

ولها فى النضال شأن عجيب يصرع النابه المحنك صرعا !
بل لها أدمع ترقرقها العيـ نان ، ان صادفت جفاء ومنعا
بل لها حكمة تشوب دهاء يتحاشى ابليس لقياه روعا
لاترى فى طريقها غير ورد كلما عممت بلادا وصقعا
لاترى غير من يقدسها بل يفتديها بالروح والنفس طوعا

* * *

قد أشيدت لها التماثيل فى الشر ق وفى الغرب ليس ذلك بدعا
انها فى جوانب الشرق قد لا قت لها مرتعا خصيبا ومرعى
وهى فى الغرب مثل سيف صقيل اصلتوه ، فجاء يلمع لمعا
فى ضفاف (التاميز) و(السين) و(الريـــن) لها الاقتدار يمتاز صنعا

ثم (روما) ويالصولة (روما) ان (روما) لها السوابق قطعا

* * *

أفليس (الرومان) من عبدوها كم اذاقوا من أجلها الناس قمعا
ان(يوليوس) مثل (نيرون) كل منهما صدع الممالك صدعا
(ميكافيل[1])الشهيرذكراًالقدصير من (ظلها) نظاماً وشرعا !
ان (روما) بالأمس واليوم قد كان لها فى شرورها شر مسعى

* * *

هكذا هكذا يقولون عن تلك التى لاعهودها اليوم ترعى
ان هذى الفتاة تنفث سحراً للبرايا لأنهـا بنت (أفعى)

* * *

ياخليـلى وقد سمعت الذى قالوه عنها قد فاق وصفا ونوعا
هـذه البضة اللعوب الا تعرفها ؟ قال لى : (السياسة) طبعا

حال المحب

زفرات ماتنقضى وشجون تتوالى وأدمع تنهال

(١) ميكافيل : ــ هو نقولا ميكافيل الايطالى الشهير صاحب كتاب (الامير) الذى كان وما زال الى اليوم والى غد (انجيل الساسة ــ ودستور السياسة) فى البلاد الاوروبية

وخفوق وحيرة واضطراب   وهموم موصولة تنثال
وجيوش من الأماني ولكن   كسراب بقيعة لاينال

* * *

ذاك حال الشقي بالحب دوما   حين تحصى الشؤون والأحوال
شأنه ان يظل نضو غرام   تنتحيه الهموم والاوجال

الزمن والانسان

كانت مجلة الهلال المصرية قدنشرت قطعة شعرية باللغة الانكليزية ، واقترحت على الادباء فى العالم العربى نظمها باللغة العربية،وقد ارسلت القطعة التالية الى الهلال اجابةلهذا الاقتراح ونشرت فىعدد (مايو سنة ١٩٣٣) وكانت من ضمن القصائد الثلاث الفائزة : ـ

أنا بالأمس حينما كنت طفلا ليس دأبى غير البكا والسهاد
كان هـذا الزمان ينسل فى بطء أمامى ، ويختفى باتئاد

* * *

ثم لما تلك (الطفولة) ولت وتلاها(الشباب) غض الاهاب
بات هـذا الزمان يمشى حثيثا غـير ماخائف ولا هيـاب

* * *

وتقضى (عهد الشباب) سراعاً تاركا خلفه (الوجود) وراء
غير أن (الزمان) أصبح يجرى هكذا ، هـكذا ، أراد وشاء

* * *

ثم لما أصبحت (شيخاً كبيراً) فاهماً للحياة فرَّ الزمان ؟
انما فهمنا الحيـاة (كمال) عيبه ان داءه (النقصان)

* * *

ولقد خلت أنني سوف ألقى   منه لى صاحبا وفياً وخلا
فأردت السير الحثيث اليه   غير أن الزمان فات وولى

الى الشباب الحجازى

هَبَّ داعى العلا ينادى الأماما   فأرونا النهوض والاقداما
واستحثوا كوامن الهمم العلـ   ـيا الى المجد واحملوا الأعلاما
حرروا الفكر من ركود جناه الـ   ـجهل فينا وحرروا الأقلاما
نحن فى عصر نهضة عمت الكو   ن وأضحت للعالمين لزاما
نحن فى عصر نهضة ليس يرجو   حلفاء الجمود فيها مقاما
نحن فى عصر نهضة أيها النش   ء فسيروا ولا تهابوا الزحاما
تلكمو النهضة الشريفة انا   ان حذونا بها نجارى الأناما
تلكمو النهضة القوية ان قمـ   ـنا بها نبلغ المنى والمراما

* * *

ياشباب الحجاز هيا الى الاصـ   ـلاح نسعى تحمسا واعتزاما
ياشباب الحجاز بالعمل المنـ   ـتج نحيا ونلحق الاقواما
ياشباب الحجاز بالعلم نعتزْ   فهلا نعيره الاهتماما
آن أن ندرأ الجهالة عنا   انها أصبحت شناراً وذاما
آن أن ندحر الجمود فحتا   مَ اليه ركوننا ؟ وإلام ؟

آن أن ننشد الحقيقة إنا قد سئمنا الخمول والأوهاما

***

ياشباب الحجاز ماعاش من يل زم نوما فأيقظوا النواما

عاجز فى الحياة من يطلب الرا حـة فيها ويبتغيها دواما

ساحة المجـد لايفوز بها غيـ ر الذى يسبق الجموع اقتحاما

فاعملوا وابذلوا الجهود على أن تحفظوا ـ أيها الشباب ـ الوئاما

نظموا السير وأفهموا الناس طراً أننـا أمة تحب النظاما

واملأونا تباهيا وارشفونا من رحيق الفخار جاما فجاما

....

التطور فى الادب

الأدب صورة من صور الحياة ، وكما أن الحياة فى تطور دائم مستمر ، وكما أن أوضاعها ومظاهرها لاتفتأ تتغير حينا بعد حين ، وتتبدل عند كل ظرف مناسب ـ وما أكثر حدوث هذه الظروف ـ فكذلك الأدب حاله كحال الحياة ، وشأنه كشأنها ، لا يفتأ خاضعا لنواميس التبدل والتحول ، وهو منذ أن وجد فى الوجود ؛ والتطور يلابسه فى كل عهد من عهوده وفى كل منحى من مناحيه .

وليس يشبه الأدب الحياة فى أنه خاضع مثلها لنواميس التبدل والتحول فحسب ، بل هو يشبهها فى أنه تابع لها ، وتطوراته تابعة لتطوراتها ، وكل مايلازم الحياة التى تحياها الأمة من تقدم أو تأخر ، وقوة أو ضعف ، يلازم أدبها بلا شك . وأنت فلتنظر الى الأدب العربى فى مختلف عهوده القديمة والحديثة ، ولتدرس الى جانب ذلك تاريخ الأمم العربية فى كل تلك العهود ، فسترى بعد قليل من النظر والدرس أن الأدب العربى ـ كسواه من آداب الأمم الأخرى ـ لم يخرج عن القاعدة ولم يشذ عن الناموس الشامل ، سترى بعد قليل من الدرس والنظر أن الأدب العربى قد كان تابعا فى جميع عهوده لأحوال الأمة العربية التى ينتمى اليها .

فليس من شك أن أدب الجاهلية انما هو صورة من الحياة فى

ذلك العصر الجاهلى كما أن الأدب فى عصر النبوة هو صورة من حياة ذلك العصر ، وقل مثل ذلك عن الأدب الأموى ، وعن الأدب العباسى ، وقل مثله أيضا عن آداب العصور التى تلت عصر العباسيين والعصور التى يسمونها (عصور الانحطاط) والتى ظلت وظل معها الأدب متأخراً جامداً لا روح فيه ولا حياة حتى أواخر القرن التاسع عشر للميلاد ، حيث ابتدأت من ثم نهضة الأدب الحديثة ، وكانت نهضته، وكانت هذه التطورات التى تشاهد آثارها فيه الآن انما هى صورة من حياة الأمم العربية الآن ، وتعبير عن آمالها وآلامها ، وتحليل لشؤونها وشجونها ، ونقد وغربلة لكل ما هو سيّئ من أحوالها وعاداتها ، وإهابة بها الى نشدان المثل العليا . . . والى النهضة والى العمل والتقدم والارتقاء .

فى الأدب العربى الحديث ، يوجد تطور ملموس يشهده الدارسون له ، والمتتبعون لآثاره . بل فى الأدب العربى الحديث (ظاهرة) يصح أن نسميها (تمرداً) لا (تطوراً) هذه الظاهرة التمردية الملموسة تكاد تشمل الأدب الحديث فى أغلب مناحيه . فنى المعانى ، وفى الألفاظ ، وفى الأساليب ، وفى المواضيع ، وفى الاتجاهات التى يتجه اليها الكاتبون ، فى كل ماسبق يشهد الذين يتابعون الحركة الأدبية فى العالم العربى آثار ذلك التمرد واضحة جلية . وليس يمنعنا من

تقرير ذلك ، وجود بعض آثار من الأدب ، تحاكى فى سيرها الأدب القديم فهذه الآثار الأدبية ، لان مصدرها التقليد والمحاكاة تخرج ـ في اعتبار كل النقدة ومؤرخى الآداب ـ عن كونها آدابا تمثل عصرها الذى يمارسها أصحابها فيه .

لماذا تطور الأدب العربى الحديث ؟

الجواب معلوم بالطبع ، فذلك لان الحياة نفسها قد تطورت ، وأصبحت غير ما كانت عليه بالأمس . . . اما لماذا توجد ظاهرة ما أسميناه التمرد فى هذا الأدب ، فذلك لان الحياة التى تحياها الشعوب العربية المختلفة اليوم انما هى حياة (انفعال) أو (تكهرب) ان صح هذا التعبير ! . حياة الشعوب العربية الآن حياة مؤلمة مريرة يتخللها القلق والارتباك ، وينتابها اليأس والالم ، ذلك لان هذه الشعوب اليوم بازاء نضال عنيف مستمر مع دول الاستعمار . . . فهى تناضل فى سبيل ماتنشده من حرية واستقلال ؛ ومن شأن هذا النضال المستمر العنيف أن يساعد على تقوية عاطفة (الانفعال) ومن شأنه أن يجعل الجو (مكهربا) على الدوام ، ومن شأنه أن يشجع على وجود التمرد حقيقة . واذاً فطبعى أن تغمر الأدب العربى هذه النزعة ، وطبعى أن يطغى تيارها الجارف ، ويتغلب على كل مايجده أمامه من التيارات ؛ لأنه التيار الأقوى .

وبعد فما شأن هـذه النزعة التمردية فى الأدب الحديث ؟ وما أثرها فيه ؟

إن شأنها لجد عظيم ، وأثرها المحمود لا يمكن أن ينكره المنكرون ، فتلك النزعة الشريفة لا شك تدل على أن روح الحياة والطموح قد دب دبيبها فى نفوس الناطقين بالضاد وهـذا هو خير ماتثلج له الصدور ، وليس احتياج العرب اليوم على اختلاف الظروف المحيطة بهم ، بل ليس احتياج كل أمة تريد أن تتقدم وترتقى ، الا الى (روح الحياة والطموح) لان وجود هـذه الروح فى الأمم هو أساس كل مجد وعظمة وتقدم وارتقاء

عصر القوة والعلم

نحن اليوم فى عصر العلم والقوة والتمدن والمدنية . فكل مظهر من مظاهر حياة الأمم ، أو حياة الأفراد ليس عليه شعار المدنية وشعار التقدم فهو مظهر غريب شاذ ، يتنافى مع الروح العصرية السائدة ، وكل مظهر من تلك المظاهر ، لا يكون مبنيا على أساس وطيد من العلم ، وعلى دعامة ثابتة من القوة فلن يكون ذلك المظهر جديراً بأى اهتمام ! ولن يكون له أى قيمة أو أى نصيب فى ميدان سباق الأمم وسباق الأفراد ، لأنه ليس الا مظهراً من مظاهر الضعف

والجهل ، وليس معنى الضعف والجهل في قاموس الحياة الا الخمول ، وليس معنى الخمول الا قحط الاحساس ، وفقدان الشعور ! وأى قيمة شخصية فى الوجود ياترى لانسان يوصف بعدم الاحساس ؟ وأى كيان - ليت شعرى - لأمة من الأمم ينعتها الناعتون بفقدان الشعور ؟!

انما نحن اليوم فى عصر مدهش عجيب حافل بكل العناصر الصالحة للحياة . . . انما نحن اليوم فى عصر السعى والعمل ، عصر البحث والاكتشاف ، عصر التطلع والطموح ، بل نحن فى عصر المجد العلمى ، والعظمة العلمية ، فالأمة المتعطشة التى تأبى أن تروى ظمأها الا من خمرة المجد ، ومن رحيق العظمة ، شعوراً منها بأن لها وجوداً فى الحياة وإحساساً منها بأن لها (كرامة) يجب أن تحترم ! هـذه الأمة الشاعرة بوجودها ، الحاسة بكرامتها ، لاتنفك تسعى وتـكدح ، متمشية مع طبيعة الحياة ، سائرة فى الطريق الوحيد ؛ فى الطريق الموصل الى تلك الغاية ، فى طريق العلم والمعرفة ؛ هذه الأمة لاتنفك مستمرة فى سيرها تجتاز المرحلة بعد المرحلة ، فاذا هى بين عشية وضحاها بين الأمم ، الأمة العلمية ! ثم هى بعدُ الأمة القوية ! ثم هى بعدُ أمة المجد وأمة التقدم ، وأمة المدنية ، الملحوظة

بعين الهيبة والرهبة والاجلال ، والتى تخطب ودها الأمم ، وتسعى لمسالمتها الشعوب !

وأما الأمة العليلة الواهنة ، أما الامة العائشة فى الظلام : ظلام الجهل الحالك ، ثم هى بعدلا تريد تغييراً ولا تبديلا ، لقحط الشعور والاحساس لديها ، وفقدان الطموح والتطلع من أفرادها ، هذه الامة لن يكون لها الا الانحلال والتفكك نصيب ، والتفكك والانحلال لا يتلوهما شيء الا ذلك الذى يسمونه الفناء !

وهكذا أيضا !

هكذا أيضا الأفراد فى الحياة العصرية ، المتعلمون منهم ، أو عشاق العلم ومتطلبوه والساعون فى سبيله . . . هؤلاء هم الناجحون، وهؤلاء هم الذين ينتفعون وينفعون ، وهؤلاء هم الذين يخدمون أوطانهم ، ويقومون فى المجتمع بأنبل الاعمال ، ويؤدون نحو العالم أشرف الخدمات !

أما غير هؤلاء . . . أما الافراد الجاهلون ، أو النافرون من العلم والراغبون عنه ، فهؤلاء هم العضو الأشل فى جثمان المجتمع الانسانى هؤلاء هم الذين لا تستفيد شعوبهم من وجودهم ، بل هم أيضا لا يستفيدون من هذا الوجود ، اللهم الا أنهم يأكلون ويشربون ويلبسون وينامون ، كما يأكل ويشرب ويلبس وينام سائر الناس

وليست غاية الحياة هكذا ، وما لهذا خلق الناس ، بل خلقوا لما هو أجل وأعظم ، خلقوا ليمثلوا في الوجود حياة الروح والعقل ، وليست الحياة المادية الا وسيلة وأداة لتلك الحياة .

وبعد فهما نوعان للحياة لاثالث لهما : مدنيـة وتقدم ومجـد عن طريق القوة والعلم ، أو خمول وذل وفناء عن طريق الضعف والجهل ، نوعان من أنواع الحياة أوحتهما فلسفة الحياة فى العصر الحديث ، وأيدهما دستور التنازع على البقاء .

فيأيها القارئ العربى الطموح ! قل لى بربك أى نوع من هذين النوعين الوحيدين ترغب وتريد ؟



محمد حسن فقي



ولد بمكة عام ١٣٣٠ وتلقى علومه الابتدائية بمدرسة الفلاح بجدة وأتم دراسته بمدرسة الفلاح بمكة وتخرج فيها عام ١٣٤٨ فعين أستاذاً بها حتى أوائل عام ١٣٥١ إذ وكل اليه أمر تحرير جريدة صوت الحجاز ، وبعد ستة شهور استقال منها والتحق بوزارة المالية فعين كاتباً للمقاولات واشتغل بتحرير جريدة صوت الحجاز طوال عام ١٣٥٤ هـ مع وظيفته .

تأوهات

أنرجو وصالا وأنت القمر بهاء وأنت أريج الزهر
وأنت نضارة ورد الربيع وأنت سعادة هـذا البشر
وأنت الذى تيم الناظرين بحسن يحار لديه البصر
وأنت الذى بسهام الجفون يصيد النفوس فـكيف الحـذر
وأنت الذى مارآك امرؤ ففارق عينيه طولُ السهر
وكم من جَحود بآى الجمـال رأى وجهك المزدهى فاعتبر
يبيت محبك من وجده يقاسى عذابا يضاهى سقر

***

أيا منتهى السؤل يامن له حياتى الفداء إلام الضجر ؟
وحتام هـذا الصدود الطويل وأنت لقلبى الحزين الوطر
أليس من الظلم أن أصطفيك وتتركنى لعوادى القـدر
فرحمـاك انى الخليل الوفى ونعماك انى الرفيق الأبر
اذا رمت عنك سلواً فـلا بقيتُ وضمت رفاتى الحفر
فهذا ولائى فأين الجزاء وهذا بلائى فأين الظفر

أنة بائس !!

كم أنة فى ظلام الليل قاتلة   أرسلتها من فؤاد كله ألم
أشكو الى الله والأخطار محدقة   بلوى تآزر فيها البؤس والسقم
ياويح دهرى ألا يكفيه مانزفت   من الدماء جراحى وهو يبتسم
أصارنى هدفا يرميه عن كثب   لا العطف يدركه حينا ولا الندم
كأننى هيكل تؤذيه رؤيته   فليس يرتاح الا حين ينهدم
كم شدت للنفس آمالا لحطمها   صرف الزمان الذى مازال ينتقم
وكم تلمست طفلا راحة بعدت   عنى فلم أرها حتى أتى الهرم
وكم تجسم لى سعدى فذ قربت   كفاى منه تولى وهو محتدم
وكم تقارعت والأيام ممتطياً   متن الشباب ولكن خاننى الخذمُ

* * *

يادهر حسبك منى الآن متربة   هذى حياتى فأين الموت والعدم
اليك نفسى عن طوع أقدمها   فارفق بها فهى نبل غائص ودم
لعل فى جيرة الموتى وقربهمُ   عزاء قلب به الأحزان تختتم

* * *

فما الحياة وان طالت سوى خدع   وما بنوها ـ وان عزوا ـ لهم ذمم

الطائر الحزين

يأيها الغريد في روضه
وأيها المحروم من غمضه
نبشت في قلبي الشقاء الدفين
فحسبك الآنا

يكفيك يا طائر هذا النحيب
لا تبك إلفاً قاسياً لا يجيب
وخل ذا النوح وهذا الأنين
فالفجر قد حانا

حتام تبكيه وتذرى الدموع
وأنت لاتأمل منه الرجوع
فكفكف الدمع الذى قد أهين
فى إثر من خانا

وقم معى نقرأ سر الوجود
فى الروضة الغناء بين الورود
وصُغ على الجدول هذا الحنين
بالشجو ألحانا

وبح بما تحمله من غرام
وما تقاسى في الهوى من سقام
فانني مثلك صب رهين
قدذبت أشجانا

لكنني ياطير لاأجزع
لحادث الدهر ولا أضرع
وأكتم الداء العياء الكمين
ما ذل من صانا

فشق في القلب ضريح الشقاء
وادفن مآسيك به والبلاء
واصبر على الكرب فنعم المعين
أو فابق حيرانا

فلسفة الطيور

قال طير لآخرٍ وهو يشدو   ببديع الألحان والنغمات
أيها الغر كل هذا سرور   وابتهاج بزور هذى الحياة
قد لعمرى أفرطت فى طلب العيـ   ـش وبالغت فى هوى اللذات
أظننت الرياض تهزأ بالدهـ   ـر وتبقى على المدى نضرات ؟

أم توهمت انما الخلد شيء   مستطاع فلم تفكر بآتى
لا ، فان الرياض تذبل والعمـ   ـر وان طال ينتهى بممات
فدع الغفلة التى أنت فيها   واحذر الدهر فهو ذو سطوات
وامش نحو الغدير كيما نصلى   والى الله نرفع الصلوات

* * *

فتعالى من صاحب الشدو صوت   يستبى اللب يذهب الحسرات
قائلا للنصيح كف فانى   غير مصغ لقول أهل العظات
كيف أغدو الى الصلاة وهذى   حسنات الربيع تحبو الصلات
كيف استمرئ التنسك والزهـ   ـر يمد الأرواح بالنفحات
فاذا مانظرت للطل يبكى   فتجيب الرياض بالضحكات
ورأيت الأشجار تبسم ريا   وتموج الاغصان بالثمرات
وتأملت فى الطبيعة قد وشـ   ـت بلألاء حليها الفلوات
فتناسى هـذا التبتل والزهـ   ـد وهيًا معى الى الشهوات
واغتنم لذة الحياة وبادر   لاقتناص السرور حين يواتى
واترك الانقباض عنك ودعنا   نتساقى تحت اخضرار النبات

✡✡✡

هكذا الخلق فى الحياة فريق   ضل والآخر اهتـدى للنجاة

هلا ترفقت ؟

ألا بلغوا الظبي النفور سلاميا — وأبدوا له عند التعطف ماييا
وقولوا له هلا ترفقت بالذى — قضى العمر لا يرجو سواك أمانيا
وهلا تذكرت الليالى التى خلت — لصبك إذ كنت الحبيب المصافيا
وإذ كنت تحبو الصب كل رعاية — وتوليه من حسن الصنيع أياديا
فلا الجفن مقروح ولا القلب مكمد — ولا الدمع مدرار يفوق السواقيا
وهاهو لا الأيام تضعف حبه — ولا العذل يثنيه وان كنت قاسيا
وهاهو لاينفك يذكر برهة — من الدهر كان السعد فيها مواتيا
وكنت له الذخر الثمين اذا عدت — عليه الرزايا والشفيق المؤاسيا
اذا شمت منه الحزن أوردته المنى — فيغدو بما أوردت جذلان راضيا
واما اشتكى جور الحياة وعسفها — اليك صرفت الهم أو صرت شاكيا
ففيم جعلت الهجر ضربة لازب — ولم ترع وداً كان بالأمس ناميا

بنفسي ليلات تقضت كأنها   من الحلم لولا انها لم تدم ليا
نعمت بهـا حينا فيارُب ليلة   نسيت بها نفسي وأهلي وماليا
وبات الى جنبي الحبيب فليتنا   بقينا وليت الحال أصبح ماضيا
يقول ألم تضجر من السهدقم بنا   وسوف غداً نستأنف العيش ثانيا
فهذا ضياء الفجر يعثو بالدجى   حثيثاً وهذا الديك يهتف داعيا
فقلت له مهلا فديتك انني   أرى سهرى فى مجلس الأنس حاليا
فدعني وآمالي النضيرة هانئاً   وكن لفؤادى من يد البين واقيا
واني من الدهر الحقود لخائف   فزدنى مناغاة وزدنى تدانيا
وهبنى بالحاح سألتك ساعة   ألم أك للحب الملح مجاريا
وكم من ليال فيك أسلست للهوى   قيادى ولم أعرف الى النوم هاديا
وبات نديمى الطير يشدو لالفه   فيسمعنى لحن الصبابة شاديا
وبات سميرى النجم يخفق تارة   كقلبي ويخبو تارة متواريا
وبات ضجيعى الهم يصخب موجه   بصدرى فيزجى راحتي وهنائيا
وبات رفيقى اليأس لا أنا آمل   وصالا ولا نفسى تطيق التنائيا
وحين حبانى الدهر منك تقربا   وأوردنى عذبا وقد كنت صاديا
تريد انتزاع الكأس منى تباخلا   فهلا وهبت النوم صبا مواليا ؟
فعاد الى الحسنى وألقى قياده   ونلت مرادى فوق ما كنت راجيا

وأرشفني من بارد الريق كوثراً   وأطلق للحب النزيه عنانيا
فيادهر لاتبخل عليّ بنظرة   تعيد لنا تلك الليالى الخواليا

يارب !!

أنر لى الطريق طريق الحياة   وكن لى المعين لدى المعضلات
ولا تدع اليأس يحتل قلبى   فانى أرى اليأس صنو الممات
وأطلق يراعى الضعيف بما   يقوى الوئام ويمحو الشتات
وباعد فؤادى بفضلك عن   مداهنـة الظالمين الطغاة
وقوّ جنانى على حرب من   لهم شيمة الذئب في ثوب شاة
وهب لى بيانا اذا صغته   تميل اليـه النفوس الأباة
وسدد خطاى الى كل ما   يعود على أمتى بالنجاة
فأنت الذى يكرم القاصدين   وأنت الذى يمنح المـكرمات

من أوصاب الحياة

لقد سئمت نفسى الحياةورابنى   من الناس خاق كالزمان ملون
فليت حياتى فى يدالموت والبلى   فذاك لعمر الله أولى وأحسن
وليت الذى يولى الوداد تملقاً   ويخدع من يهفو اليـه ويركن
أصابتهمن أيدىالحوادث لطمة   ليعرف أن الصدق للمرء أزين

أيها البدر

أنت للبائس الحزين عزاء عن هموم الحياة والاتعاب
أنت للنفس سلوة واغتباط لفؤاد ينوء بالأوصاب
أنت للمغرم المتيم خدن لك يشكو الهوى بكل اكتئاب
تتجلى فتذكر الصب بالحب فيرنو اليك فى إعجاب
بلسم أنت للجروح يزيل الـداء عنها برقة وانسكاب

***

أنت للصب بالمعالى دليل فى طريق الحياة نحو الصواب
أنت للشعر ملهم ولنفس الشاعر الحر أكبر الأصحاب
أنت موحى البيان فى روع من يبرز فكراً فى منطق خلاب
أنت لا غبت عن عيون محبيك ولا زلت فى رفيع الشباب
قائد الناس للسرور وهاد للبرايا الى الأمانى العذاب

الانسان ابن بيئته

ان الطفولة معرض لغريزة النفس الأصيله
فى نظرة الطفل البريئة ما ينم على الفضيله
لو صح أن النفس من تكوينها تهوى الرذيله

ما كان ثم فوارق ... بين الطفولة والكهوله
لكن بيئة من يجى ... إلى الحياة هي الكفيله
بقيادة النفس الصغير ... ة للحقيرة والجليله

سخرية الدهر !

من الزمن الحانى الى الزمن القاسى ... تجاريب تهدى فى الحياة كنبراس
عجبت لهذا الدهر يسكب علقما ... مريراً ويلقى شاربين من الناس
وما ظمأ قد قادهم بشرابه ... ولكنهم غروا ببهرجة الكاس
أيسدل أبراد الخداع نضيرة ... ويجذبنا طوعاً اليه بايناس
ويجثم فى قاع الضلوع فؤاده ... كرقطاء مامن سم أنيابها آسى

* * *

تداعبنى أيدى الصروف فتارة ... تفوز بتحطيمى وتحظى باتعاسى
وآونة يرتد شائك كفها ... وقد صهرت منه الانامل أنفاسى
ويا رب يوم قد طويت وليلة ... على مأتم فى النفس محتدم الباس
وقد أتلقى الناس والثغر باسم ... وقلبى قطوب لا يهش لجلاسى
وقد أحمل الداء العياء يمضنى
وليس امرؤ فى الكون يعرف إحساسى

وقد أصطلى نار الغرام وفاتِنى أمامى ولم يشعر بجبى ووسواسى
وتحسبنى شيخا وعهدك بى فتى فهل عمر البنيان واهى آساسى ؟
ختمت على الآلام ختما محصنا وموعد فض الختم ظلمة ارماسى

يا قمر !!

تمشى على صفحات علو كفاتن يسبى القلوب
وتشع بالانوار زاهيـة فتنقشع الـكروب
وتتيه كالملك المتوج لاتخاف من الخطوب
أأمنت غائلة الزمان

أم هل علمت بغاية الـكون العظيم ومنتهاه
وبمـا يسن لنا الوجود وما تريد لنا الحياه
فضننت بالغيب المحجب عن عيون لا تراه
وظللت تخطر فى أمان

أفلا يحق لساهر يرعاك فى وسط الظلام
أيان سرت رماك بالنظر الـكئيب على الدوام
متحيراً والنفس من حب الحقيقة فى أوام
أن يعرف السر المصان

قل لى بربك أين يمشى الدهر بالكون التعيس
أإلى السعادة حيث تزدهر الرغائب فى النفوس
أم انه يمشى الى الأزمات مكتئباً عبوس
أم لايقر على مكان

قل انى من يكتم السر الخطير ولا يبوح
أو لا . فقل ان الطبيعة لاتريد لك الفتوح
أو أن قانون الوجود يخيفه هذا الطموح
فاكبح من الأمل العنان

حسبي من الدنيا الحقيرة أن أراك لدى المساء
تلقى بنورك فى القلوب كبلسم يزجى الشفاء
فأعود بالذكرى الى عهد اللذاذة والهناء
وأبث ما يجد الجنان

حسبي من الدنيا بقاؤك ساطعاً فوق الهضاب
مترنحا من نشوة الحسن المسيطر والشباب
متطلعاً من عرشك العالى الى أسرى العذاب
ترنو اليهم فى حنان

مناجاة

أستلهم الشعر من وحي تجود به ... على الكئيب وطرف الكون نعسان
ياويح للحب تبليني مرارته ... والنفس مولعة والقلب هيمان
علّ الحبيب على مافيه من عنت ... يرق لى فكفانى منه هجران
أوليت ماتهجس النفس اللجوج به ... فى قلبه وعليه الحب سلطان
أفى الحياة شقى بالغرام كما ... شقيت أم لسوائى منه حرمان ؟
متى زمان يرينى الحظ مبتسما ... فتنجلى كرب عنى وأشجان

حيرة وألم

لا أنت ياقلب بالسالى فتهجره ... ولا الوصال بميسور ولا دانى
عش هكذا خافقا ياقلب مكتئبا ... فليس حزنك بعد اليوم بالفانى
أواه ! ان جحيم الحب يصهرنى ... فما الذى بجحيم الحب أصلانى
لا آخذ الله من أصمى بمقلته ... قلبى وغادرنى نهباً لأشجانى
اليه أبعث أناتى مؤججة ... ومنه أقبس أشعارى وألحانى
وفيه ألتذ بالبلوى وأحمدها ... ان كان يرضيه تعذيبى وهجرانى

مصرع العظيم

« بمناسبة وفاة فقيد الشرق العظيم جلالة الملك فيصل ملك العراق »

يأيها الناعى رمتك المنون
لقد أثرت اليوم كل الشجون
والشرق يابؤس له ماأجترم
حتى هوى الموت بجباره

أواه هذا الخطب أدمى القلوب
وأجج النيران بين الجنوب
جنوب من أذهلهم ذا الألم
فاجهشوا يبكون من ناره

يا ويح للموت ألا يكتفى
بهذه الآلاف إذ يقتفي
أخرها الأول حتى اخترم
أجدرنا خلداً بآثاره

يافيصل نم هادئاً فى التراب
فأنت فخر العُرب دون ارتياب
وأنت أنت العبقرى العلم
من غنت الدنيا بأخباره

وأنت فى التاريخ سفر جليـل
يضىء للناس ويهدى السبيل
وأنت فى المحيا وبعـد العـدم
مجـد تسامينا بأخطاره
والعُرب ان العرب لن يغفلوا
مبـدأك السامى اذا أملوا
أن يلحقوا الغرب الغشوم الأصم
الجارف الشرق بتياره
ياأمة هاجعة هل ترين
من أحـد يبقى سوى العاملين
فاسعى الى المجـد وبارى الأمم
وكافئى الساعى باكباره
وصافحى الأحرار لاتجمدى
فليس غير الحر من منجد
والأمة ، الأمة تحيي الهمم
والشعب يستعلى بأحراره
فحيهلا بالمجـــد والماجدين
وحيهلا بالموت يُعلى الجبين
وفى سبيل الله روح رسم
لنا طريقا رغم أوعاره

أمنية شاردة

ليتنى والمنى تثير شجونى جملة لفظها عليك تعسر
فأرود اللثاة أرتشف العذ ب وأستنشق الشذى المعطر

* * *

يا رفيق ألا حنانا على القلـ ب فهذى أفلاذه تتفطر
لحرام عليك أن تحطم العر ش الذى كنت فوقه تتسيطر
ان عرشا يحوطه الحب والنبـ ل حرى بأن يجل ويكبر
كيف تستمرئ النكاية والبطـ ش به وهو فى هواك مسخر
نشوة الحسن أذهلتك فحاذر ها فانى بنشوة الحسن أخبر

* * *

واذا شئت أن أبوح بما أد ريه فالحب قد أذاب فؤادك
لاتكابر فأنت جد رهين يا لداء أبادنى وأبادك
ان صابا غصصتنيه على الرغـ م وهولا أذقتنيه أرادك
هيه فالدهر لا يبالى اذا اشتط أن يصهر الغرام عنادك
وخلود الحسن النضير على الدهـ ر محال فلا تضيع رشادك
فخليق بك الندامة والعطـ ف اذا شئت أن تنال مرادك

حول رواية روفائيل

للكاتب الافرنسى الكبير لامرتين

روفائيل رواية وجدانية من أروع ماسطر قلم على قرطاس وأجمله وأخلده . انها ذوب قلب لامرتين الشاعر الفرنسى الفحل فى غرامه النبيل الفوار ، يشعر القارئ لهـذه الرواية الخالدة أنه أمام عاطفة قوية جياشة داوية تثور وتتمرد حينا وترضى وتستسلم حينا آخر ، ولـكنها فى كلا حالتيها هاتين هزازة للمشاعر ملهبة للاحساس معدية تتصل من الورق بالقلب بسرعة الشرارة الـكهربائية فتلهبه وتعمر جوه بنواز قاهرة كتلك النوازى التى كانت تغمر قلب الفنان العبقرى « لامرتين » .

يالصولة القلم واقتداره على العبث بالنفوس والتحكم فيها اذا كان له باعث نفسانى صادق ! ! لقد أرانا لامرتين كيف تخلق العاطفة القلم ، وكيف يخلق القلم العاطفة . وقد أرانا كيف يسمو الحب المتين النزيه على أدران الشهوة وأدناس الخطيئة ، وكيف يضحى الحب الانسانى العامر باللذة البهيمية المأفونة ، وكيف يرى المحب حبيبه فضيلة ماثلة وقداسة متحركة . وكيف يسخر العاشق من الثراء والجاه والمنصب والشهرة ويعدها صغائر حقيرة تتكسر تحت أقدام الحب السماوى الشامخ .

لقد صور لنا « لامرتين » العظيم كل هذا بريشته الماهرة فلمسناه وتذوقناه وشاطرنا « لامرتين » سراءه وضراءه . وهيامه ولوعته . وسايرناه فى كل أدوار غرامه ومراحل صبوته ، فأقمنا معه طويلا فى مصيفه الأول « باكس » معجبين ، مغتبطين وقفلنا معه الى ضيعة أبيه حزانى متأثرين ورافقناه الى باريس نشطين آملين ثم عدنا برفقته ثانيا الى « إكس » منتظرين متحفزين وأخيراً . . . كابدنا معه هول الصدمة وارتماض الحرقة وخاتمة المأساة .

والترجمة العمومية لهذه الرواية الرائعة وهى بقلم الأستاذ الأديب أحمد حسن الزيات نخمة غنية بالمفردات اللغوية العذبة ولكن المترجم قد يفرط فى بعض الفصول فى احترام اللفظ احتراما يكاد يخنق العواطف العميقة التى تنساب بين حفافى الرواية لولا القوة المعنوية الهائلة التى تمتاز بها والتى تكتسح وتحطم كل القيود والحواجز التي تعترضها وتخلص إلى نفس القارئ كما هي يوم أن خطتها يراعة « لامرتين » .

هذه كلمة عجلى أثبتها بمناسبة فراغى من قراءة هذه الرواية الجليلة التى شغلت لحظات مبعثرة من وقتى خلال عامين كاملين ، لقد قرأتها فى عامين ولكنها كانت وحدة قوية متصلة قائمة بذهنى لم تعتورها تلك المفارقات الطويلة التى فصلت بين قراءة حلقاتها بوهن أو مسخ .

كلمة صغيرة

فى

فلسفة التشريع

يظهر أن الشرائع السماوية بأجمعها قد بنت كثرة أحكامها على آخر ما يمكن أن يصل اليه لجاج البشر وسوء دخيلتهم وخسة أطماعهم لتسد عليهم بذلك باب التظلم والشكوى من جهة ولتتلافى من جهة ثانية تباغضهم وتناحرهم، فهى فى الواقع تشرع تشريعا صالحا لأدنى طبقات البشر ونعنى أولئك الذين لا يرضيهم الا استيفاء حقوقهم كاملة غير منقوصة ولو كان فى هذا الاستيفاء خراب وشجب ذميان لسواهم. ولو أن جمهرة من الشرفاء المحسنين استرضوهم وبالغوا فى الاسترضاء وخنعوا لهم وبالغوا فى الخنوع، ولو أن هذه الحقوق لا تزيدهم حولا ولا طولا ولا تنتج لغيرهم الا جروحا ودموعا.

هؤلاء الناس ان أجازت لهم الشرائع هذا التشبث وهذه الفظاظة فهى لا تجيزها لهم حبا لما يقترفون، ولكنها تجيز ذلك منعا لفتن ومصائب يجران الكون الى الدمار لولا هذا التجويز مادامت الأغلبية الساحقة فى الناس أنانية جشعة شرسة، وهى تجيزه ولكنها تفتح لهم مجالا واسعا ليكونوا أرق شعوراً وأنبل نفوسا وأصرح انسانية.

واذا كنا نوقن جميعا أن الزمن قُلَّب وأن الأيام دول فما لهؤلاء الناس لا يكونون أكثر تقديراً للعواقب وخشية منها ؟ وما لهم لا يفكرون فى أحكام الدهر والناس التى يمكن أن تنصبّ على رؤوسهم بحق رغماً عنهم فيتلوّون منها ويحنقون ولا يعثرون بنصير ولا راث ؟ !

الا أن الشرائع السماوية عادلة الى أبعد حدود العدل ولكنها تطرب للرأفة ويرضيها جداً أن ترى التعاطف بارزاً بين الناس بأبهى صوره وأفيدها . هى تقر العدل وتمضيه ، ولكنها لاتنكر الرحمة ولا تأبى على الناس أن يتنازلوا قليلا عن حقهم الصراح بعضهم لبعض اذا كان فى هذا التنازل شىء من المروءة ومن الحكمة والايثار الحميد ، بل هى تهتف بالناس سراً وعلانية أن يكونوا مؤثرين نبلاء راحمين .

يصدر القاضي النزيه أحكاما عادلة تنحني أمامها الرؤوس ولكن

كم يكون جميلا ومؤثراً اذا أعلن الخصم الفائز بعد أن كسب القضية وقهر خصمه أنه قد تنازل عن حقوقه حفظا لكيان خصمه المنهزم وتهدئة لروعه ـ هذا الموقف المشرف وأمثاله هو الذى تدعو اليه الشرائع فى صميمها فمتى يكون كذلك الناس ؟

الحقد رذيلة أم فضيلة

هل الحقد رذيلة أم فضيلة ؟ هذا سؤال يظهر غريبا . وقد يظن كثير من الناس أن الاجابة عليه ليست محل روية ولا تفكير ، وقد يقرر هذا الكثير فى عقيدة واطمئنان الى مايقرر أن الحقد رذيلة مستنكرة مهما كانت أسبابه قوية معقولة ومهما كان الطبع البشرى ملحا عنيفا فى الالحاح على انمائه وعلى الحرص عليه وعلى التنفيس عنه بالانتقام والتشفى .

أما أنا فأقول ان هذا رأى فائل وخطأ فاحش ، وان البشر من طبعه أن يعلن غير مايسر ، وأن يتفوه بما لا يعتقد ، وان كثيراً من المسائل يكاد الناس يجمعون عليها برأى فى قرارة نفوسهم ، ولكنهم يخادعون نفوسهم عن هذا الرأى ولا يجسرون أن يجابهوا بعضهم بعضا به وان كان حقا لاشائبة فيه ، أو أنهم لايودون الاقدام على المكاشفة به خوفا من أن يستغله الأرعن النزق استغلالا ممقوتا ويتصرف فيه تصرفا سيئا قد يفضى الى انعكاس الغرض والى تفاقم الشر والى انحلال الروابط التى تربط منافع هؤلاء الناس بعضها ببعض وتبعثهم قسراً على التعاون والسلام .

وأما أنا فأقرر أن الحقد كثيراً ما دل على صدق الاحساس ورهافته وعلى عزة النفس وحميتها ، وعلى متانة العقل ونضجه . فالحقد

على الخليع المتحكم ، وعلى الظالم الغشوم، وعلى المتلون الخطر ، وعلى الواتر الباغى ، وعلى الفاجر الوقح ، وعلى الخائن المتصدر ، الحقد على أولاء وأمثالهم هو نزوة حميدة وعاطفة فاضلة علينا أن نباركها وأن نقدسها فى النفوس الموتورة الهائجة وأن نعرف أن هاته النفوس التى تحمل أمثال هذا الحقد هى أوعية طيبة خصبة يترعرع فيها الشر الزاجر المفيد الى جانب الخير الحنون الآسر، وان تلك النفوس الضاوية العليلة التى لا يقبضها شر ولا يبعثها خير هي نفوس لا ترجو الانسانية منها نفعاً ، وهى نفوس أشبه بنفوس الحيوانات الجامدة الوضيعة منها بنفوس البشر العزيزة الشاعرة .

العوام

من يندس بين طبقة العوام غراراً يلق متعة ويلق انشراحا ويلق درسا حافلا بالعبر فياضا بالعظات حريا بالانكباب عليه وتحليله والخروج منه بفائدة تجمع الى اللهو البرىء لذة المعرفة والاكتشاف .

ان العامى يرسل نفسه على سجيتها إرسالا فطريا لا تعمّل فيه ولا اصطناع ويكاشف محدثه بدخيلته مكاشفة لا يضغطها خبث التهذيب ولا يكفها ذكاء العلم ودهاؤه .

يتنسم الانسان مع العامة فى جو ان يكن فيه جهل وفيه غباوة وغلظة فان فيه سذاجة حلوة وفيه صراحة نبيلة وفيه فوق ذلك انعاش وتطريب ونفع .

خرجت البارحة من مقر عملى وقد آدنى التعب الجسمانى والارهاق الفكرى فأخذت سمتى الىالدار علنى أجد فيها الارتياح والنشاط من ذلك العمل المضني المتواصل الذي أذبل زهرة عمري فيه بين أوراق كئيبة صامتة فبصرت أمامها بجماعة يجذب المار اليها روحها الخفيف وحديثها العذب المستساغ وجدلها الفكهالذىيحمى وطيسه حينا ويفتر حينا آخر على أسباب مضحكة تافهة يمجها المتعلم ويستسخفها العاقل ، ولكن هاته الجماعة البسيطة المدارك تأبي إلا أن ترى هذه الأسباب عنصراً خصباً لايجدب ، ومنبعا ثرا لاينضب لجدل حار ومناقشة رشيقة وخصومة مستملحة وضحكات تتفرقع فى الهواء ، وينعكس مفعولها الى صدورهم وأعصابهم فيغذيها بمادة منعشة مبهجة ذات قوة وامتاع .

اعتقد أن للرجوع الى الطبيعة والترامي فى أحضانها ونبذ تقاليد المدنية وقيودها فوائد للبشرية لاتقدر ، فاذا كانت المدنيـة تصقل الفكر وتنمى الذكاء فانها تلقى على الروح حجابا صفيقا بغيضايزيد فى مكر الانسان وخبثه وحيطته ، الا أنه يظلم آفاق النفس ويحجر

الضمير ، ويخلق من الحمل الوديع الساذج ثعلبانا ذكيا غداراً .

لقد نرى المتعلم أصوب تقديراً وأكثر حصافة وأنق تفكيراً ولكن غير المتعلم فى الغالب أنقى سريرة وأشرف نفسا . وأولى للانسان أن يكون جاهلا شريفا من أن يكون متعلما خداعا :

الحالة الادبية عندنا !

ألمح بين عدد غير يسير من الشباب ظاهرة خطرة على كيان نهضتنا الأدبية الحديثة ، هذه الظاهرة هى حبهم للظهور وتكالبهم على الشهرة الكاذبة بشكل يزرى بكرامة العقل والتفكير المتزن . ويهدد مستقبل هـذه النهضة المباركة التى نحاول تنظيم الجهود فى تنميتها وظهورها بمظهر رزين يقوم على أسس متينة فما كانت الشهرة فى عصر من العصور فى أرحب آفاقها وفى أوج انتشارها بالمقياس الصحيح لدى العقلاء للتفوق والنبوغ وليس من جيل من الأجيال أحق بأن لا يخدع بالمظاهر الخلابة من هذا الجيل الذى نعيش فيه والذى أصبح يزن الأشياء بميزان دقيق بعدأن غزى العلم فى عهده هذه المعمورة غزواً مظفراً لم يسجله تاريخ أى جيل من الأجيال الغابرة فتقومت بذلك الطبائع وغدت تفهم الأشياء فهما مستقيما يتلاءم وما

يحتاجه العقل فى تفكيره والقلب فى خوالجه واحساساته فالشهرة الصادقة سبيلها العمل المنتج لاالشعوذة العقيمة التي ان فازت باعجاب الدهماء الوقتى فانها لاتلبث أن تنصهر وتتلاشى من نظرة نارية واحدة يرسلها نظر حازم وفكر مستنير .

والواجب الأدبى الذى نساهم فى حمل اعبائه بهاته البلاديضطرنا الى الذود عن كرامة هذه النهضة وصونها من عبث العابثين الذين يحاولون بحماقتهم أن يعكسوا عليها أغراضها وأن يشوهوا من سمعتها وأن يوهنوا من تماسكها ، والا فليس بضائرنا أن يزداد عدد الأدباء فى هذا البلد الجديب وأن يضاف الى الانتاج الأدبى فيه شيء ، وانما نرمي الى أن يكون الأديب ناضجا والى أن يكون انتاجه الأدبى مختمراً سائغاً .

ان نفوسنا بطبيعتها أميل الى البناء منها للهدم فى هذا الدور التأسيسى الذى نقطعه ، ولكن ليس معنى ذلك أن نتغاضى فنسمح للعناصر السقيمة أن تنحشر فى هيكل بنائنا الأدبى فانا بذلك نضع بأيدينا لغما مبيداً فى جوف هذا الهيكل القدسى لايلبث أن يدكه دكا ويبعثر أنقاضه بعثرة خبيثة .

وانا لنبارك كل انتاج أدبى ونشجعه ونبعثه الى النمو والازدهار اذا آنسنا الحياة تدب بين أوصاله وهذه الحياة فى نظرنا هى صدق

الاحساس فكل أثر أدبى لا تنبض فيه هـذه الخالجة هو أثر غث لا دسم فيه ولا غناء .

وليس الأدب ـ كما يتخيل الكثيرون ـ لفظا ومعنى فحسب ، بل الأدب قبل أى شيء هو المظهر الخارجى للتصور الصادق الذى يصطخب فى صدور الأحياء المحسين ويجيش فى نفوسهم .

وحسب الأدب قيمة أن يكون مظهراً لهذه العاطفة الجليلة الخطر وكيف تطلب من كاتب لا يشعر هو بما يكتب ولا يدين به أن يغذى شعور قرائه وأذهانهم بتلك المادة الخشنة الجامدة التى يقدمها اليهم أو أن يهيج ذلك الشعور وهاته الأذهان وينشطها بها وهى لا تستساغ ولا تنهضم .

وبعد أفكلما عكف أديب موهوب على تصحيح المقاييس الأدبية وإسداء يد صالحة للأدب بنصح المتأدبين المتهوسين فى هـذا البلد ومحاولة تقويمهم وإرشادهم الى ماهية الأدب الصحيح ركبوا رؤوسهم وأصروا على غوايتهم وأمعنوا فى أفنهم ونقيقهم المزعج !

لقد ضقنا ذرعا بهؤلاء الذين يريدون منا أن نخرج على طبيعتنا وأن نجعل من الأدب مطية للتهاتر و الأقذاع ، ونحن زعيمون بأن نركب هـذا المركب الوعر وأن نحطم تلك الهياكل والأشباح الشريرة التى تكيد للأدب مادامت تأبى الا أن تلح فى نقيقها وهرائها .

رمضان

ما أروع هذا الرمز الديني وما أسماه !

وما أهنأ به النفوس المسلمة المنيبة وما أجذلها !

أحقا اننا على أبواب رمضان ؟ واننا بعد أيام قلائل سنصوم ، وسنحمى أنفسنا شهوة الطعام والشراب ؟ وسنزدلف الى تلك القوة العلوية المهيمنة على الكون بطاعة ووفاء ؟ وسيعضنا الجوع ، ويحرقنا الظمأ فنذكر ونتعاطف ، ونشفى من داء الجشع والحيازه ، ونصفو من درن القسوة والايلام ، ونطهر من رجس الدعارة والفسوق ؟ أجل سيشارفنا رمضان بعد أيام ، وسيغمرنا بفيض من قدسه وجلاله ، وسيدخل فى بطون وفى قلوب ، فيجيع أناساً لا يلمسون من جوانبه الخطيرة الا أظهر جانب وأحقره فيمتنعون عن الطعام وعن الشراب سحابة نهارهم كما تمتنع الدابة عن العلف ساعات لازهداً فيه ، ولا عفافاً عنه ، ولكن تحت تأثير من الرهبة أو التأميل أو الحرمان ، وجوع هذه حقيقته لهو جوع دنىء متحفز يستجمع قوى الشهية ويستنهضها لتنقض على الطعام انقضاضا حيوانيا فى السانحة الأولى .

هؤلاء الناس ليس لهم من الجوع الا قرصه وتعذيبه ، والا

خداع نفوسهم وتضليلها بباطل يتقمص ثوب الحق ، فكما أن الصلاة ليست مجرد حركات آليّة ، بل هى انصراف فى خشوع عن الدنيا ومفاتنها وأسوائها الى الله ، والفناء لحظات فى عالم الطهر والفضيلة والنور ، وانطلاق الروح من سجنها الهيولىّ الضيق الى أجواء رحيبة منعشة تفتك بالجراثيم الخبيثة التى تلصقها المادة بالروح .

كذلك الصوم ليس هو جوعا فحسب ، وانما هو فطام النفس وزجرها عن حيوانيّتها مدة من الزمن تقوى فيها الروح وتلطف وتهدأ فورة البدن وترتاض ، فتنشأ عن تعادل القوتين وتزاوجهما حياة هنيئة سامية ، وهو الى ذلك حث بليغ مسموع لأولى السعة على اشباع ذوى المسغبة والاحسان اليهم ، فمن عادة البشر أن لايقدرون الا مايحسون به ، وما يستيقنون بمبلغ ضرورته ، والجوعة الواحدة يشعر بوطأتها ولذعها الناعم الرفيه ، خير ألف مرة من الوعظ والزجر القولى اذا كانت النفس مهيأة للاصلاح والتقويم ، وكانت تنبض بشيء من الاحساس والتقوى ، أما النفس الفظة الجاحدة ففى حيوانيّتها ما يصرفها عن التفكير فى حكمة الصوم الاجتماعية وما يوحى اليها بأن عقب الجوع امتلاء ووراء المواساة والرأفة فقراً وضعفا ، فهى تجوع لان الصوم فى ظنها جوع وصبر عن الطعام وقتا محدوداً ، وهى تشح لانها تعتقد أن ليس عليها اغناء

الناس وكفايتهم ، أو بمعنى أدق ، مواساتهم والعطف عليهم ، وما تدرى تلك النفس الغبية أن عملها هذا هو الفقر والضعف بعينهما .

لقد جعل الله الناس فى هـذه الحياة طبقات أغنى بعضها وأفقر البعض الآخر لينتفع بعضهم من بعض ، ولينتظم العالم ويتدعم بسبب هذا التفاوت الحكيم الذى يحرك الخامل للمجد ، ويبعث الفقير الى الثراء ، ويعطف الجهول للمعرفة والتنوير ، ويخلق الشفقة فى قلب الموسر على البائس المحروم ، والصوم فريضـة دينية ترمى الى غرض اجتماعى نبيل ، وهى تقف الى جانب فريضـة الزكاة فتتمم إحـداهما الأخرى وتسندها وتعمل معها فى تـكوين مجتمع راق مؤتلف يعبر أصـدق تعبير عن تغلغل الدين الاسـلامى الى أغوار حقائق الحياة وأصولها ، واستخلاص تعاليمه الرشيدة الثابتـة من بينها .

وللصوم فائدة أخرى تجىء فى المرتبة الثانية بعد فائدته الاجتماعية الخطيرة ، تلك هى فائدته الصحية ، فما لاريب فيـه طبياً أن المعدة تحتاج الى الهدوء والراحة فترة من الزمن بعـد جهادها الطويل أحـد عشر شهراً حتى لا يصيبها الكسل والاعياء ، وحتى تتحلل الرواسب الضارة الـكامنة فيها بفعل حرارة المخمصة وضغطها ، فالمعدة

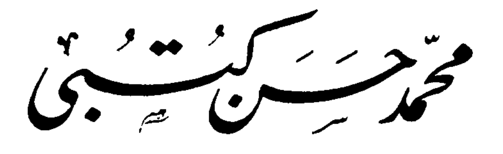
كجزء من أجزاء البدن يضنيها النصب والارهاق ، وينشطها الجموم والتخفيف ، وأنت تستطيع أن تضمن لبدنك أو لفكرك الانبعاث القوة والصفاء اذا راوحتهما بين الكد والترفيه ، ولكنك ستخفق أرذل الاخفاق اذا توهمت أنك تكسب وقتا أو تجنى منفعة من وراء نصبهما واعناتهما الشديدين ، والمعدة من أحق أجزاء البدن بالاهتمام والرعاية ، وبمجافاتها عن الاكتظاظ والنهم ، والصوم لها « إجازة » جميلة فيجب أن تتمتع خلالها بالعمل اللطيف المبهج الذي لا يسبب تخمة ولا ارتباكاً ، وإلا فما هي ثمرة هذا الصوم الدسم الحاشد لألذ الأطعمة وأشهاها ؟ االمتلهف على انحسار النهار حتى لكأنه في سجن كريه منه ؟ إن الصوم بلا استسلام ولا تقشف ، ولا عفاف ولا رقة لهو الضياع والخسار بلا مراء .

والاسلام حينما اشترع الصوم رسم له حدوداً جلية لا يتخطاها الا أرعن أو مغفل لا يبالى بنتائج أخطائه ، ولا يفقه ماهو منحدر اليه ، فالتهافت على الطعام دفعة واحدة ، ومفاجأة المعدة به وهى تقوم بعملية التنظيف والانعاش لعبة جد خطيرة وجد مسمومة تخفى فى طياتها أوخم المصائر . فحذار منها .

ان رمضان أنشودة شجية من أناشيد الدين الاسلامى ، تعمر قلوب المسلمين المخبتين بالايمان والنبالة ، وتوحى اليهم بالصبر والاخشيشان ، وتطبعهم على التراحم والاخاء ، وهذه هى مميزات الرجولة الحقة، ومميزات الأمم الشاعرة السعيدة، وهى احدى حسنات الاسلام على البشرية الغامطة .



محمد حسن کتبی



ولد بمكة سنة ١٣٢٩ وتلقى علومه الابتدائية بمدرسة الفلاح بمكة . وفى سنة ١٣٤٨ أرسل الحاج محمد على زينل التاجر الشهير ومؤسس مدارس الفلاح بالحجاز على حسابه بعثة إلى الهند لدراسة العلوم الدينية بمدينة بمباي فكان أحد أعضائها ، وفى عام ١٣٥٢ أتم دراسته ونال شهادتها ورجع الى مكة ، وفى شهر رمضان عام ١٣٥٢ عهد اليه أمر تحرير صوت الحجاز ، ثم لم يلبث أن استقال منها . وفى عام ١٣٥٣ عين أستاذاً لقسم تخصص القضاء الشرعى بالمعهد الاسلامى السعودى. وفى شهر ربيع الآخر عام ١٣٥٤ . وكلت اليه مديرية المعارف تنظيم مدرسة الطائف الأميرية ، وعينته مديراً لها فنظمها تنظيما حسناً .

ساعات من الليل !

أرقت نفسي في أعماقها بضع ساعات من ليل مكبوت الأفلاك غائم الجو ، كأنما تجلببت فيه السماء بصحراء نقية بيضاء كصحراء الغبراء ، وساد صمت الليل العميق ، وأخذ الأرق يطوف بي في عوالم الخيالات ، لأحلم في يقظتي بحلم لم تره عين ، ولا هجس في قلب ، ولا سمعت به اذن ، فقد رأيتني أتلذذ من غير ملذوذ ، وأطرب لغير مالحن ، ويتضاعف سروري في جوف ذلك الليل الضال في صحراء السماء ، وكانت تلك الأحلام في مجموعها حياة منظمة كانتظام الحياة التي يعملها الأحياء بأيديهم ، وعقولهم ، وضروراتهم . وكانت في نفسي كحياة الأمل الذي يرى ويسمع ويحس ، ويتلفت من عوالم من المعاني الى عوالم من المعاني أيضا ، وهو لم يزل في محيط النفس المؤملة ، ومحيط هذه النفوس لم يكتشف أحد بعد قراره ولا عرف منتهاه .

لقد أرقت ، ولقد كان أرقي حياة جديدة طويلة الآماد ، ملذوذة الاحساس حتى لطلبت الى نفسي (مادام في وجودنا هذا الحقيقي كائنات غير ماتراه أعيننا وتسمع به آذاننا ، وتشترك في معرفته حواسنا ، لا تحيط بها أسوار الجص ولا جبال فيها ولا رمال ولا عواصف ولا أهوال) الهجرة الى هذه العوالم السحرية التي نجومها

عرائس من فتن الجمال ، وزمنها من دورات فلك السعادة ، وأرضها الطبيعة المتبرجة ، وسماؤها شعر الشعراء ، وعبادة الزهاد ، وبراءة الأطفال ، وخفر العذارى ، وزفرات المتيمين ، وسكانها أطياف من النور لايسأل أحدهم عن مال ولا بنين ، وهو غارق فى سبحات أحلامه لاينتهى من أنشودة فى الجمال الا وتنطبع فى نفسه أنشودة أعظم أثراً ، وأبعد مغزى ، وأغزر مادة ، وأعمق صدى ، فهم فى أغنياتهم يبحثون عن نفوسهم التى أضلوها ، وعقولهم التى ترفرف فى أجواء المثل العليا تبحث عن مستقرها ، فهم فى تيه تصرفُهم السعادة ويكلأهم الجمال ، وترعاهم الفضائل التى تحكم ذلك الوجود .

أجل ـ لقد ذهب بى الأرق كل مذهب فى عوالمه فرأيت عفة فتاة طوحت بها الدناءات حائرة بجانب عزة فى النفس أذلتها الحاجة ، بجانب طهر فى القلب داسته الخيانة ، بجانب عوالم أخرى من قبيلها وجميعها حيرى غارقة فى حيرتها ، ولكنها مشمولة بحنو الطبيعة الرؤوم ومغمورة بسعادة هذا العالم النورانى .

ولقيت فى عالمى هذا الذى اشتغل فيه كل أهله بأنفسهم حورية حسناء آنست من نفسى انكسارها وحيرتها ، وأحست بما استولى علىّ من دهش الغربة فى هذا العالم السعيد الذى لايهاجر اليه الناس الا بعد أن تصهرهم آلام الحياة فتطهرهم بلهبها المقدس ، وبعد أن

يؤمنوا على الغيب بالسعادة فى كل شىء ، ويطول عليهم إضلالهم لها ، وتتلاشى فيهم نزعة المادة وخبائثها ، فينتقلون بغتة الى عالم السعادة الذى عشقوه قبل أن يروه ، وآمنوا به لأنهم لم يفقدوه لحظة من نفوسهم .

تقدمت الىّ تلك الجنةُ المتمثلة على هيئة غانية ، وأخذتْ مقامها بالقرب من نفسى، وأطلتْ على منابع تفكيرى الجارية فى طريقها ، ثم أخذت علىّ الطرق جميعها ، فتركتنى لا أكاد ألبس عليها ظنا ، ولا خيالا ، ولا هما . ولا أغرر بها فيما أرادتنى به . ثم قالت :

يا هذا !

ان عالمنا لم يجئ اليه الا من طهره اللهب المقدس ، فكيف نفذت اليه ولا تزال الرغائب والضرورات تضعف من انسانيتك ؛ وتثقل من جوهرك ؟ انك ستصبح فى غير ريبة سخرية (عالم السعادة) فوطِّن نفسك لذلك ، فهم أحوج مايكونون الى من ينتقمون منه من عالمكم الذى غادرته ملوثاً بغدره وأضاليله وبهتانه .

ألم تترك الزوج يلفق لقرينته الأكاذيب ؟ ألم تره يعسف بها ويضطهدها ولا يراعى لها كرامة ؟ الم تر الحب فى عالمكم شهوانياً تغزوه الحيوانية فى صميمه ؟ أما رأيت فلانا يزدرى والديه ويغش أصدقاءه ويغرر بالفتيات ، ويضحى بشرفهن فى حيوانيته ، ويجمع

الشقاء بين يديه ورجليه ليحثو به فى قاع داره . فلا تجد السعادة اليه سبيلا . ان حيوانيتكم لاإنسانية فيها ، وان هذا العالم الذى تنزله لا حيوانية فيه ، وبذلك فستصبح بحق مهزلة هذا العالم .

فقلت ـ بصوت أجش أرهفته تلك الكلمات النارية :

انى لم أجئ الى عالمكم هذا الا بعد أن أرقت ولجت بى الخواطر فى ملاجها وساقتنى اليه، وانك أيتها الفاتنة الجميلة ليس بكثير على جمالك هذا أن تحمينى من سخرية عالمكم . وكيف تضنين بحمايتى وأنت الضالة التى أنشدها منذ أبصرت هذا الوجود .

ألم تترائى لى فى المهد كطيف يداعبنى فأكاد أمسكه بيدىّ الصغيرتين آنئذ فتفلتين منى فأضج بالعويل والبكاء ، ثم تعودين الىّ فتقبلين جبينى اللامع يوم ذاك بأنوار الطفولة البريئة فأبتسم لقبلاتك الحية وأنتفض . وكنت أحاول أن أطير معك فى عالمك هذا منذ ذلك العهد الأول البرىء ، أنسيت ذلك ؟ أتنكرينه ؟ ألم تقبلينى قط ؟ ألم تضمينى الى صدرك الحنون مرات عديدة ؟ ألم تأخذى بيدى فى يوم من أيام طفولتى وأنت تقولين ماأضعفك على كونك هذا ، حتى اذا مااغرورقت عيناى بدموع الطفولة الطاهرة جذبتنى اليك وسرّيت عن نفسى ، وألقيت فى فمى جرعة من رضابك العذب ، هاك ! خذى من فمى أمانتك فيه . انى مازلت محتفظا بها .

هاهى ريحها الشذية وعرفها الطيب ، وهاهى ذى عذوبتها التى لم أجد مثلها فى وجودى قط ،وهاهى تلك الجرعة التى هى عقدة الميثاق بيننا جاءت بى اليك لأقول لك بدورى اننى ضعيف على كونى فزودينى بما أقوى به عليه .

لا ـ بل ان نفسي أزمعت الهجرة اليك والعكوف على مشاهدة جمالك والافتتان بك ، اننى لن أزول عنك قدر أنملة وها أنا ألصق نفسى بنفسك فزوديها جرعا من رحيقك المختوم لتقوى على نورك فهى ضعيفة عليك كما ضعفت على كونها . انك أنت التى بثثت فىّ الجبن وعلمتنى الضعف والفرار من أهواء الانسانية الجامحة سوف لاتحملين جريتى فتشوهين من جمالك .

لقد ضحكت تلك الجنة بجميع زينتها من حيرتى واستغاثاتى ثم قالت :

انكَ تتكلم بلغة عالمك ، فأنت تفترى علىَّ بدعوى حبك فى الطفولة وتبالغ فى حاجتك الىّ ، وتجعل من نزعاتك ثورة تكادُ تقلق عالمى . فلا تبعد بى عما أريد بك .

هل عرفت المرأة قط فى حياتك ؟ ؟

فصعّدت زفرة جمعت حولى أطياف عالمها جميعاً ، وشملتنا سبحات قوية من النور الوهاج المضىء ، وتعطلت أناشيد ذلك العالم ، وسادهم

الصمت ، ورجعت الى أنفسهم ذكرياتهم بى فى العالم الذى فارقوه ، وآلوا على السعادة أن لايذكروه بعدها أبداً ، لقد وجم الكل وبدأت أنوار السعداء تبهت بذكريات أحزانهم وأخذ جميعهم يهمس بينهم :

انه من هناك ، انه لم ينتقل عن نظام هذا العالم ، ان اللهب المقدس لم يطهره بعد ، انه أفسد علينا شأننا وطاف علينا بصورنا التى خلفناها منذ أحقاب . ولم يكن أحد منهم قبل تكلم قط بكلمة مع أخيه . ثم أخذ الشعراء من السعداء يتغنون بمثلهم ، وشاع فى ذلك العالم شكوى أولئك البائسين ، وكاد جميعهم يغفل أنه سعيد وفى « عالم السعادة » فكأنما استحالت جنة ذلك العالم جحيما مضطرما بحممه ، وهنا جاء السيد رسول الفضيلة وانتزعنى من بينهم انتزاعا ، فاستمسكت بحلى صديقتى فطوعت لها نفسها أن تعرف من شأنى غير ماوقفت عليه وتتبين كيف كانت هى ضالتى المنشودة ، وألقي بنا السيد المطاع في أجواء السعادة الخفيفة فأخذت تتجاذبنا مدة ثم انحطت بى المادة التى مالبثت تثقلنى فى حضن أزهار من بين أزهار تلك الطبيعة المتبرجة فهوت معى الغادة ، وأعادت علىّ قولها .

هل عرفت المرأة قط فى حياتك ؟

فما تمالكت نفسي حتى صعّدت مثل الزفرة الأولى التي أقلقت السعداء ولكننا الآن بمعزل عن مغانيهم التي رجعت الى طبعها ورجع اليها نظامها وسلامتها فلم تؤثر زفرتي الحارة الآن أثرها الأول . ثم قلت :

اى سيدتى ! لقد عرفت المرأة فى قلبي مجموعة متسقة من الفضائل ، وفى عقلى حسنات مؤتلفة من الخواطر ، وفى تفكيرى روحا لاتقوم دونها قائمة هـذا الوجود ، وفى حسى ـ لقد رأيت المرأة فى حسى كل شيء جميل : فرأيتها النبات الغض الطرى لم يقم على ساق ، ورأيتها الزهرة يجتمع عليها كمها ، ثم رأيتها وقد انفتق ذلك الكم فاذا هى عطر مسكر للنفوس ونور يذهب بالأبصار وثنى يعطف القلوب ، وفتنة ليس وراءها فتنة ، ورأيت المرأة وهى دوحة فى منقطع الصحراء المجدبة تحفظ الظل وترطب السمائم وتجمع المياه من بين عروق الأرض وتؤلف منها منبعا عذبا فيأوى اليها المنبتّ يستظل بظلها ويشرب من مائها ويستفيد من خيراتها .

ثم أجهدت وانقطع بى الحديث فقالت :

ثم ماذا ؟ ألم أنبهك أنك فى العالم الذى وصفت لك ، وانك فى عالم السعداء مثار سخرية واستهزاء .

فقلت ـ رحماك فانما بهرنى النظر اليك فخار حديثى فاسمحى لى من عينك بقبلة فاننى على وشك الهداية الى ماتريدين ، فلما أذنت

فى ذلك وتقدمت منها أدركنى سحر نظرها فلم أحر أى عمل، واستولى علىّ الخشوع وتملكنى الذهول ، ثم استغثت برحمتها أن تتلطف بى فتنقذنى من نتيجة غرورى وفتنتى ـ فالتفتت الىّ قائلة :

ها قد صدقت بأن اللهب المقدس لم يطهرك بعد ، ولو تقدمت الى زيادة على ما فعلت لاحترقت بهذا الضوء الذى تطمع أن تقبله ، انك يا فتاى ضعيف على عالمك الذى جئت منه وعالمنا الذى نزلت فيه .

فاتممت حديثى فقلت :

لا ـ ليست المرأة هى مجموعة من عمل العقل والحس والتفكير بل ... بل ... بل هى ... ثم لم أجد ما أقوله ، فقاطعتنى قائلة : انكم تعرفون المرأة كما تعرف الحيوانات اناثها ، وانكم أبعد ماتكونون علما بحقيقة المرأة ! !

ليست المرأة هى الفضيلة والحسنة

إنها القوة التى خلقت لتشذب من وحشيتكم معشر الرجال وحيوانيتكم ، ولتسموا بأذهانكم المتلبدة وأفكاركم المحدودة الى حيث تفارقون مستوى المادة المغموسين فيه ، ولتستمدوا من طبيعة خلقها بعض علومكم ولستم بالغين كل مافى طبيعة المرأة من العلوم ، ولتأخذوا عنها إلهامكم الذى ينجو بكم من عالمكم ذلك الى عالم السعداء

فتمرحوا بصفاء وتطربوا بصفاء ، ولستم ببالغين كل ما فى طبعها من الالهام ولتنطلقوا من القيد الحديدى الذى قيدتم نفوسكم به وأسميتموه الزمن والأوضاع التى استبعدتكم وأنتم واضعوها وأسميتموها العادات، و نقصكم الذى التزمتموه ودعوتموه الحاجة ولستم بمستفيدين لحريتكم – كما يجب – من طبعها .

ان المرأة هى السعادة ، وهى الكمال ، وهى الغنى ، وهى الحرية ، تهتدوا به فاستكثرتم منه

ثم جهلتموه فضللتموه ولبثتم تهتفون بالمثل الأعلى .

ثم قالت : وأنت حين تذكرنى صديقتك فى المهد وفى عهد طفولتك فأنت وحدك الذى ذكرتنى من بين أبناء عالمك .

أجل – فأنا صديقة كل مولود منكم ياأبناء عالم الدنيا ، ولكنكم فى رجولتكم لستم كمثلكم فى طفولتكم ، فأنتم فى طفولتكم على هيئة الملائكة – والمرأة تحب الطهر والعفاف وبراءة النفس – لذا فاننى ألابس كل طفل ، وأداعبه وأحضنه ، حتى اذا ما كبرتم تغلب عليكم طبعكم واستقامت فيكم جبلتكم فكان منكم الخونة والمردة والظُّلام والشياطين .

أما الجرعة التى ذكرت فانها لم يحظ بها من أبناء جيلك هذا الا أنت وحدك . وانما جدت بها عليك لعلمى بأنك ضعيف على كونك

فالآن فأغمض عينيك ، وألق بنفسك الىّ ، ثم نفثت من روحها فى روحى ، وألقت فى فمى جرعة من رضابها العذب الشهى ثم قالت : افتح عينيك فاذا أنا قوى على عالم السعداء ، ولـكن المرأة وحدها التى استطاعت أن تجعلنى سعيداً .

انقضت ساعات الليل ، وعم ضوء النهار فلقينى الناس ، فكان الرجال يقولون ـ انظروا الى نصف الرجل ، ويقول بعضهم هـذا بات رجلا فأصبح امرأة ، ويقول الآخرون لقد أفسد على الرجولة كبرياءها .

وسمعت نداء طربا من يهتف لقد كملت انسانيتك فأنت اليوم ابن المرأة بحق . وأنت اليوم السعيد بحق ، لقد تمت فى نفسك الفضائل منذ اليوم

وسمعت الفتيات يقلن : ان هذا شذ عن قانون الرجولة الفاسد .

وسمعت نفسى تقول لى : انك حسنة من حسنات المرأة .

العصمة للأخلاق وليست للعلم !

قال له صاحبه وهو يحاوره :

ولو أني خيرت بين الحياة مع العلم وبين أن أحرم من نعمتها دونه
لاخترت العدم مضاعفاً وأن تقوم جميع الأسباب المانعة فى سبيلى الى هذا العلم الذى لو ثتموه بآثامكم وأثقلتم كاهله بدعاويكم المغرورة على أن أعيش لحظة واحدة كما تعيشون .

انكم تقضون حياتكم وأنتم بمعزل من أنفسكم وكأن لكل حاسة منكم عوالم متباينة يلعن بعضها بعضاً ويكذب كل منها ماتطلبه إحداها بخرافاتكم وأضاليلكم ، ان العلم الحق هو الذى ينبع من صفاء الروح ويستمد غزارته من غزارتها وبهاءه من بهائها وحقه من حقها ، فالعلم فى النفس الطبيعية وليس فى الألسن المتلونة والأفكار المموهة والدعاوى المضللة وفنون الألحان الخطابية. ان العالم الذى يعجز علمه عن إنارة نفسه وكشف شبهاتها ومعالجة أفنها وانحطاطها فأولى به أن يعجز عن استهوائنا نحن معشر الجاهلين الذين تدعوننا كذلك ـ وانى ياصاحبي الذى لست أصحبك مغتبطا ـ لحرى بأن أهدى جيلا كاملا منكم أنتم العلماء وان جهلى بقضاياكم التى تلوكونها بألسنتكم لهو أنفذ فى النفوس وأقرب

الى الأفئدة والعقول من علمكم ذلك الأجوف الناقص من البركة الطيبة والأثر الحسن .

* * *

فالتفت اليه العالم وقد استفزت كلماته الجارحة كل قواه العلمية وأخذت نفسه تضطرب كما يضطرب المرجل وقد ختم عليه ، ثم لما نبس بالكلمة الأولى من لسانه انحدرت عليه المعاني انحداراً قويا ضاق بها نطقاً .

أجل فانه لم يعدم ألوان القول حين أراد أن يشرح مقام العالم من الكون وأثره فى الوجود الانسانى الطبيعى .

* * *

ان كل شيء يسخره العالم بفكره الجبار ومنطقه الصائب وعلمه الواسع فهو أول من برم من أبناء آدم بالحياة السائبة المنحطة . **وفكر في الانتقال منها إلى الحياة المقيدة المترفة ذات النعمة الدائمة** والسلام المقيم والطمأنينة العذبة ، وهو أول من أراح الانسانية الهائمة المروعة من شقوتها وأقامها فى مستوى التفاهم والحب والرحمة والوئام . والعالم هو الذى أسس النظم وحفظ الحقوق واستنزل بركات السماء والأرض، واستفاد من جميع هباته الفاضلة . ثم ضرب

للانسانية أفضل مثل لسموها وعزتها ، وكذلك فقد أصبح الناس منذ أن أقام لهم العالم هذا المثل الأفضل يجدّون فى سبيل البلوغ اليه وما زالوا عاجزين عن ادراكه ، فلولا تلك اليد الجلى للعالم على الانسانية لظلت مرتعا للوحشية البالغة والحيوانية الطائشة ، ولظلت مسخّرة للحياة الحيوانية التى لا تعقل خيراً ولا نبلا ولا فضيلة .

انك تجهل مغازى هذه الكلمات المثلى ، ولو عرفتها وعرفت من وضعها لاستبان لك ضلالك وانكشفت عنك حجبك ، ووضح بين عينيك أى شىء أفاد العالمُ به الانسانية بوضعه هذه المعانى العليا وبحثه عنها وتحديده لها وفتح السبل من كل صوب اليها ليقصدها الناس أفواجا فيشرفوا بأقل قسط يجاهدون فى سبيله .

ان الحياة الانسانية الراقية ، والحقوق العالمية المنظمة وأساليب العيش العامة الرافهة ، وكل نعمة ينعم بها الفرد فى نفسه وأهله وماله وكل متعة تتمتع بها الجماعات الآدمية من علم أو حكمة أو نظام هو أثر من آثار العالم الذى يسهر لراحة الانسانية وعزتها وسموها .

أرأيت لو أن جماعة من أبناء آدم لم يقم من بينهم عالم يهذب أرواحهم ويخضع شياطينهم ويؤلف بين نزعاتهم ويقضى على نزواتهم النكدة كيف تستقيم الحياة بينهم ، والى أى مدى يألف بعضهم بعضا ويتفاهمون عن أغراضهم ، وهل يأمن أحدهم أن يعيش بجوار ابنه أو

أبيه أو صاحبته أو أخيه . انك سترى الحرب العوان تقوم بينهم اذا ماحيّا أحدهم الآخر أو سأله حاجة أو حبسه عن مراد . اننا معاشر العلماء منبع كل سعادة للحياة ولكنكم أنتم الجهلة من أبناء أبينا آدم قد كنتم ولا تزالون أكفر المخلوقات بالنعمة ، وأجهلها بما يفيدكم ويضركم وبما فيه خيركم وشركم . وظل الجاهل يتضاءل عند حدة العالم حتى لقد شعر فى آخر أمره أن السماء سقطت على رأسه ، وأنه لم يعد يطيق كلمة واحدة من غضبة صاحبه ، شعر بأن روحه رهن الكلمة التى سيزيدها العالم على ما فاه به ، فقام اليه خاضعاً ذليلا وانكب يقبل قدميه ويضرع اليه ويسأله رحمته ويتوسل اليه من غضبه الذى أغضبه لئلا يحيق به مكره ، فشعر العالم كذلك بنشوة الظافر وراحة الفائز فلوى لسانه الى التجمل والتلطف والترحم حتى غمر صاحبه بنعمة الرحمة التى خشى الجاهل أن يحرَمها من مولاه فتتضاعف خسارته ويفقد رشده ويستسلم لعذاب الغلطة التى غلطها مع صاحبه العالم ولا نهاية لعذابها الأليم .

* * *

أجل يا مولاى ـ هكذا بدأ يقول اننا معاشر الجهلة لانجيد فهم الأشياء على حقائقها فيلتبس علينا الهوى فنحسبه الحق الصراح ، ونظن الغفلة فى أحضان الوساوس والأوهام يقظة فى جنان الفضيلة

والخير ، ويغمس الفرد منا نفسه فى الحمأ المسنون على ظن أنه نهر الحياة العذب .

أجل يا مولاى بهداكم اهتدينا ، وبنوركم رأينا الطرقات المستقيمة ، وبرشدكم نحيا وبرشدكم نموت . ومن حرم منا هدايتكم فقد خسر عقدارها من الحياة الممتعة المستنيرة . وارتكس بمقدارها أيضا فى الفوضى والاضطراب والعماية !

وانى - يا مولاى - منذ الآن سأكون عبدك الطائع وتابعك الشكور ، وسأثنى عليك فى السراء والضراء لقاء ماتمدنى به من هدى وحكمة وعلم ! !

* * *

لقد اغتبط العالم بانتصاره الأول وتضاعفت غبطته بانتصاره الأخير ، فقد ذلل عدوه المستكبر وقضى على وساوسه المتمردة . واستخدمه لنفسه عبداً لقضاء حوائجه واطاعة أوامره وبلوغ أغراضه .

* * *

. لبث العبد فى طواعية سيده ردحا من الزمن يراقبه فى جميع ما يأتيه ويتركه ، ويلتمس رضاه فى كل لحظة من اللحظات ، ويبيت طوال لياليه يقدس بحمد سيده ، ويسهر على تربية حبه فى قلبه ومضاعفة

إشفاقه من غضبه . وكان له صحب من الجاهلين يلاحظونه فى كل يوم ينقص فى انسانيته وينحط فى ادراكه ويجبن عند الخير ويستسلم للمنكر حين يراه ، وحماسه يزداد فى كل يوم هبوطا واضمحلالا ، فنسى الرحمة فى طبعه والتمسها فى المعاجم اللغوية والحدود العلمية ، وعبارات البلغاء وأوصاف الشعراء ، وأصبح يحن للشكلى فى القصيدة البارعة ويصد عنها ، وهى تتمسح بأقدامه وتبثه أحزانها . وكذلك فقد استحالت مشاعره عند كل فضيلة من قلبه الى رأسه حتى أصبح يباهى بذلك الرأس الجديد المملوء بالتفكير الحاد والنظر القيِّم . فيقدم أول مايقدم لمن يحتفى به أعز شىء لديه ألا وهو رأسه العزيز ! الذى لو استطاع لَنبشه بين عيون العالمين وأسماعهم ليريهم نفائسه ويشرح لهم ذخائره . وظل كذلك أمداً طويلا لاينغص عليه سروره وراحته غير صوت متهدج ضعيف يساوره الفينة بعد الفينة فيقلقه بما لا يفهم معناه الا أنه صدى لحياته الأولى فيزداد تحاملا عليه ونفوراً عنه حتى صار يخرج فى بعض أحيانه الى الصحارى جاداً فى الهرب من هذا الصوت المقلق الضعيف ، وكم ود أنه ينجو منه لتتم له سعادته الجديدة التى ماحلم بها قط فى حياته الأولى :

* * *

أصبح فلان الجاهل ضليعا بالعلوم التى يصرفها على لسانه ، ولكنه

مازال ينشد أمراً خفياً . لقد قال له صاحبه العالم فى حواره القديم (اننا معاشر العلماء منبع كل سعادة فى الحياة) ولكنه لم ير نوعامن أنواع السعادة جاء على يده وهو عالم . وقد كان مع جهله يقرى الضيف ويعين العاجز ، ويقوم على الأرامل، وكان يشعر لكل عمل يعمله من هذه الأعمال ببرد فى أعماق نفسه وسعادة فى قرارة ضميره لم ير أثرهما منذ انقطع للعلم الذى أقنعه صاحبه بأن فيه كل سعادة فى الحياة .

* * *

أجل لقد كان صاحبه عالما بكل مافى كلمة العلم من معنى ، يجتمع عليه الناس ليأخذوا شتى المعارف ويغترفوا بأوسع السجال . ولكنه كان لا يكرم اليتيم ولا يحض على طعام المسكين ويأكل التراث أكلا لماً ، ويحب المال حباً جماً . وكان الشره بلذائذه يحول بينه وبين كل خير يوفق اليه ، وكان عبده الطائع ومقلده الأعمى ، يسأله رأيه عن أعماله فيؤولها له تأويلا حسناً يأخذ بمجامع قلبه، فهو لا يطعم المسكين لأن الحكيم فى صنعه لم يجعله مسكينا الا لأنه ليس أهلا للنعمة فاطعامه تناقض مع الحكمة . ولأن الأرملة المنغمسة فى الرذيلة بسبب العدم والفاقة شرك نصب ليتبين العابدون المخبتون من العاصين الضالين . فهو لا يحاول انقاذها إبقاء على هذه الفتنة ليتميز

الخبيث من الطيب، ولأن المال حُببَ الى النفس فاخراجه متى شق على النفس ساقط بحكم رفع التكليف بما لا يستطاع ، ولأن الفقير الذى يئن عند رأسه قد كتب له أن يموت جوعاً فهو لا يتصدق عليه بما يرد روحه،ولأن الكذب مباح للمصلحة فهو لم يتكلم بالصدق الا عند عدم الحاجة الى الكذب . وكذلك ظل العبد يقلبه صاحبه فى بؤرة الفساد فيطاوعه على ذلك ، ولبثت رأسه تتضاءف عن كبرها ونفسه تتضاءل فى انحطاطها حتى اجتمع عليه لفيف من رعيله الجاهل وأخذوا بتلابيبه وناشدوه الحق أن يقضى معهم مجلساً مختلساً من عبوديته لسيده وبدأوا يذكرونه بماضيه الماجد المبارك بالحسنات والصالحات وحاضره السيئ المشين . وما زالوا ينثرون عليه من أقوالهم الصريحة الفعالة فى النفس ماتركه فى حالة أشبه بالذهول .

* * *

لقد احتجز صاحبنا عن سيده وعن صحبه وأخذ يستعرض ماضيه وينقب عن نفسه الفاضلة العظيمة كيف أضلها ؟ وكيف تطور بها الزمن ؟ وبعد أزمة من نفسه وضيق فى قلبه بدا له بصيص من نور الهداية الحق فاستعان على إذكائه بعلمه الذى اكتسبه من سيده . فاذا به يرى أن الغفلة كل الغفلة والشر كل الشر فى التأويل واساءة الفهم واستخدام الهوى فى تحديد العلم والفضيلة وكل شيء .

ووضح له أن أصدق الحق ما كان أشد قرباً من الباطل وأشبه به . وان الجهل مع الأخلاق علم فوق كل علم يحتكم فيه الهوى . وان العلم الحق النافع هو مااستمد من صفاء الروح وغزارتها وبهائها وحقها صفاؤه وغزارته وبهاؤه ، وحقه وإن أفتك الوباء بالإنسانية هو المنطق الذرب فى النفس السافلة .

فرجع من تجربته هذه الموفقة بغنم الحقائق السالفة فاتصل بماضيه النقى وأنكر العبودية لصاحبه وكشف للناس عن أباطيل المدعين من العلماء أشباه صاحبه ، وما لبث بعد أوبته المحمودة من جهاده العنيف مدة حتى استحال ذلك الصوت الخافت الذى كاد يموت فى نفسه الى قوة هائلة تُلزمه الفضيلة وتزجره عن الشرور .

ظلت اللغة العربية وادعة أمينة لاتعرف التعمق فى أعماق الحقائق ولا تتجاوز الفطرة الا بمقدار حاجة الفطرة عينها ، ثم تطورت مع الأمة العربيـة ، وكانت تتـكلف أحيانا لمجاراة الحياة ولـكنها تنشط بعد جهد وتقوى بعد ضعف وتسير مع الزمن سيرته بقـدر وسعها فهضمت السياسة والرفاهة بجميع ألوانهما فى العصور الأولى ، ودخـل عليهـا من الأساليب الفارسـية والرومانيـة ما صقل حواشيها وجعلها لغة حضارة اسلامية راقيـة ، وفى العصر العباسى الثالث بدأت تجتاز عقبة أصعب من كل ما صادفت من قبل ، تلك العقبة هى الفلسفة . فهى لاتحتكم للفظ بقدر ماتحتكم الى الحقائق ، والألفاظ لاتتسع بسهولة للمعانى الشاسعة التى لا نهاية لها أو التى تـكون بعيدة المنال ، والشعر لاتتسع القافية فيه لأكثر من الوزن ، والشعراء يكونون عرضة للعنة التاريخ اذا لم يهذبوا أساليب الشعر ليـكون صورة لعصره فـكانت اللغة بحاجة شديدة لعبقرى ناضج المواهب قوى النفس مصقول الحس بعيد الخيال معتلج العواطف نافذ النظر عليم بأساليب اللغة ضليع بها مضطلع بأعبائها، فـكان المتنبي هو ذلك الفذ المنشود الذى استطاع وحده أن يبدأ تلك العملية الشاقة المضنية عملية إدماج الفلسفة فى الشعر واشراب الشعر روح الفلسفة ، وكان

الى جانب هذه المهمة القاصمة مهمة أخرى بيد أنها ثانوية فى نظر علم الأدب وهى نقع غلة السياسة اللاهثة ، فقد كانت الدول الاسلامية مفتقرة لجيش لجب من الشعر الرصين تنتصر به الواحـدة منها على الأخرى ، فالدولة الفاطمية فى مصر ، والبويهية فى العراق ، والحمدانية فى حلب تتنافس فى مدائح الشعراء وتجزل فى عطاياهم ليرفعوا من رأسها على غيرها ويمجدوا من تاريخها ، وكان الامراء والوزراء مبتلين بما ابتلى به رؤساءهم ، والغرض بذلك الثناء استدامة الدولة وتوسيع سلطتها ، واستمالة القلوب اليها ، فكانت السياسة كاللغة محتاجة الى ذلك العبقرى عينه ليفى بحاجة التنافس ويرفع ويخفض ويعز ويذل ويقدم ويؤخر فى الشعر ، فيرجع صدى مايقوله كل أديب وعالم وتابع وعامى ويختلف فيه الجميع باختلافهم فى نزعاتهم وأهوائهم ، فكان المتنبي هو ذلك العبقرى الناضج الذى يقول فى مدح سيف الدولة :

ورب قافية غاظت به ملكا

ويصف وقع شعره ومقامه بين شعراء عصره :

ان هذا الشعر فى الشعر ملك   سار فهو الشمس والدنيا فلك
فاذا مر بأذنى حاسـد   صار ممن كان حياً فهلك

فكان المتنبي إماماً للفلسفة الشعرية وكان قائداً للحملات السياسية فى الشعر يتصل بسيف الدولة فتتوجه اليـه نفوس الملوك غيره ، ثم

يفارقه فيتحبب إليه الحسن بن طغج وطاهر العلوي وكافور فيذل بنفسه وشعره عليهم . واذا كان الملوك فى التقرب اليه يعملون شتى الأسباب والأساليب ، فكيف بالمتنبي بين العامة ممن يغبطونه ولا يسمون اليه ، ومن يعتدون بنفوسهم ولا يفوزون بمثل مافاز به ، فنشأ من هذا الانقسام اللازم بضرورة الحال ، فكان الناس فيه بين مادح مغال وقادح مفرط ، وكذلك كان أثر المتنبي من الأدب العربى أثر التجديد القوى والتوجيه السديد ، والأدباء وراءه يشقون طريقه التى يسلك لهم الى حيث أرادت به ملكاته القوية وأدبه الراسخ المكين ، وبلغ من أثر شعر المتنبى فى أدب المتأدبين من معاصريه ومن خلفهم أجيالا بعد أجيال أن لاتجد أديبا من بينهم لايحفظ الشىء الكثير من شعره ويتنغم به فى خلوته ويتشبه بأسلوبه ويقتبس من معانيه ويأخذ المعنى الواحد فيضم اليه سوابق ولواحق ليزين به مقاله ويفاخر به بين كله ، ومن الأمثلة التالية يتبين مقدار شغف الأدباء بمعانى المتنبى وانكبابهم على دراسته فقد أخذ الصاحب البيتين من شعر المتنبى :

حتى أتى الدنيا ابن بجدتها فشكى اليه السهل والجبل

تذكرت ما بين العذيب وبارق مجر عوالينا ومجرى السوابق

وجلها فى وصف قلعة افتتحها عضد الدولة ، فقال :

« وأما قلعة كذا فقد كانت بقية الدهر المديد ، والأمد البعيد ، تعطس بأنف شامخ من المنعة، وتنبو بعطف جامح على الخطبة، وترى أن الأيام قد صالحتها على الاعفاء من القوارع ، وعاهدتها على التسليم من الحوادث ، فلما أتاح الله للدنيا ابن بجدتها ، وأبا بأسها ونجدتها ، جهلوا بون ما بين البحور والأنهار ، فظنوا الأقدار تأتيهم على مقدار ، فما لبثوا أن رأوا معقلهم الحصين ومثراهم القديم نهزة الحوادث وفرصة البوائق ومجر العوالى ومجرى السوابق »

وكتب أبو العباس الضبى الى أبى سعيد الشيبى : « وقد أتانى كتاب شيخ الدولتين فكان فى الحسن روضة حزن بل جنة عدن ، وفى شرح النفس وبسط الأنس برد الأكباد والقلوب وقميص يوسف فى أجفان يعقوب » وهو من بيت أبى الطيب :

كأن كل سؤال فى مسامعه   قميص يوسف فى أجفان يعقوب

وحل أبو بكر الخورازمي بيتى أبى الطيب :

تنشد أثوابنا مدائحه   بألسن ما لهن أفواه
اذا مررنا على الأصم بها   أغنته عن مسمعيه عيناه

فقال : « وكيف أمدح الأمير بخلق ضن به الهواء ، وامتلأت من ذكره الارض والسماء، وأبصره الأعمى بلا عين ، وسمعه الأصم بلا أذن » وكقوله : « ولقد تساوت الألسن حتى حسد الأبكم ،

وأفسد الشعر حتى أحمد الصمم » من قول أبى الطيب :

(قد أفسد القول حتى أحمد الصمم)

وليس تهافت الكتاب على انتحال معانيه وتزيين كتاباتهم بها بأعظم من سرقات الشعراء لها وادماجها فى شعرهم . وهو دون الحصر ، ولا يبلغه العد ، وكيف يمكن أن نحصر سرقات الشعراء وهم يفاضلون بتراث المتنبى ويدعون فيه الاختصاص بهم دون غيرهم، غير أن الذى يلفت النظر فى ذلك هو أن يكون اللفظ عين اللفظ والمعنى عين المعنى من غير تصرف الا ما يقتضيه التركيب ولا يؤثر فى روح المعنى الذى أراد المتنبى كقول الببغا :

يامن يحاكى البدر عند فراقه ارحم فتى يحكيه عند محاقه

من قول أبى الطيب :

وقد أخذ التمام البدر فيهم وأعطانى من السقم المحاقا

وكقول الصاحب :

تجشمتها والليل وحف جناحه كأنى سر والظلام ضمير

من قول أبى الطيب :

وكنت اذا يممت أرضاً بعيدة سريت فكنت السر والليل كاتمه

وقول الصاحب :

لبسن برود الوشى لا لتجمل ولكن لصون الحسن بين برود

من قول أبي الطيب :

لبسن الوشي لا متجملات   ولكن كي يصن به الجمالا

ولو انتهينا لجمع هذه السرقات لأعيانا الاستقصاء ولا ندعى أنها معانى لايعلق لها مثيل ، ولكن المتنبى فتح بأسلوبه وتصرفه فتحاً مبيناً حتى نمق من الأفكار العادية والتشابيه المبتذلة مايصلح لأن يحلى به جيد الزمن .

وقد كان المتنبى يغير على غيره ، ولكن إغارته تلك إغارة المتفضل يطالع الناس بمقدرة ابتكاره وتقليده كقوله :

ما زال كل هزيم الودق ينحلها

والشوق ينحلنى حتى حكت جسدى

مسروقاً من قول مخلد الموصلى :

يامنزلا ضن بالسلام   سقيت رياً من الغمام

ماترك الدهر منك الا   ماترك الشوق من عظامى

وكقوله :

تتبع آثار الرزايا بجوده   تتبع آثار الأسنة بالقتل

من قول أبي نواس :

وكلت بالدهر عيناً غير غافلة   بجود كفيك تأسو كلما جرحا

وكقوله :

شاعر المجد خدنه شاعر اللفـ ـظ كلانا رب المعانى الدقاق

من قول أبى تمام :

غربت خلائقه وأغرب شعره فيـه فأبدع مغرب فى مغرب

فاستعانته بمعانى الشعراء ليس استعانة المعوز الذى لايجد من ثروته الذاتية مايستقل به وانما هى تفنن وبر بالفن.

كان المتنبى عظيم الأثر فى الأدب العربى على الوجه الذى قدمنا من الابتكار والتحسين والاختراع ، وليس هذا كل مايشرّف المتنبى ، وان الذى يشرف به حقاً هو سموه فى الكثير من شعره الى ذرى الفلسفة وارسالها فى صدى موسيقى ملحن يدعو للغبطة ويسمو بالنفس الى آفاق المعرفة فى الحياة العامة . ولعل أعظم ما كان يرفع من قدر المتنبى لدى الملوك والامراء هو ابتداعه فى هذا الفن وتأليفه بما لم يسبقه أحد الى مثله حتى لقد همّ بعضهم بالتوفيق بين فلسفة المتنبى وأرسطو . وجاءفى كتاب لأبى على الحاتمى من شعراء العربية : « لما رأيت أبا الطيب قد أتى فى شعره على أغراض فلسفية، ومعان منطقية أردت الموافقة بين ماتوارد به فى شعره مع أرسطو فى حكمه لأنه ان كان ذلك عن فحص ونظر فقد أغرق فى درس العلوم ، وان يكن ذلك منه على سبيل الاتفاق فقد زاد على الفلاسفة

فى ذلك وهو فى الحالين على غاية الفضل » وليس ببعيد أن تكون فلسفة أبى الطيب نتيجة درس متقدم وبديهة حاضرة ، والنظر الفلسفى متى قويت ملكاته واستقام طبعه لم يعد يتقيد بالدرس والتقليد . وقد كان يتمثل بأبطال الفلسفة اليونانية فى شعره :

من مبلغ الأعراب أنى بعدهم شاهدت رسطاليس والاسكندرا
وسمعت بطليموس دارس كتبه متملكاً متبدياً متحضرا
ولقيت كل الفاضلين كأنما رد الاله نفوسهم والأعصرا

ونسرد شيئا من شعر المتنبى الفلسفى لندلل على مبلغ نجاحه فى فنه ومقدار سبره لأغوار الحقائق كقوله :

وكلام الوشاة ليس على الأحـ ـباب سلطانه على الأضداد
انما تنجح المقالة فى المر ء اذا صادفت هوى فى الفؤاد

وقوله :

وأسرع مفعول فعلت تغيراً تكلف شىء فى طباعك ضده

وقوله :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدواً له ما من صداقته بد

وقوله :

تبخل أيدينا بأرواحنا على زمان هى من كسبه
فهذه الأرواح من جوه وهذه الأجسام من تربه

لو فكر العاشق فى منتهى   حسن الذى يسبيه لم يسبه

وقوله :

وغاية المفرط فى سلمه   كغاية المفرط فى حربه

وقوله :

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله   مخافة فقر فالذى فعل الفقر

وقوله :

أرى كلنا يبغى الحياة بسعيه   حريصا عليها مستهاما بها صبا
فحب الجبان النفس أورده التقى   وحب الشجاع النفس أورده الحربا
ويختلف الرزقان والفعل واحد   الى أن يرى احسان هذا لذا ذنبا

وقوله :

لولا المشقة ساد الناس كلهم   الجود يفقر والاقدام قتال

وقوله :

بذا قضت الأيام ما بين أهلها   مصائب قوم عند قوم فوائد
وكل يرى طرق الشجاعة والندى   ولكن طبع النفس للنفس قائد

هـذه ألوان شتى من فلسفة المتنبى فى الحياة العامة والطبيعة الانسانيـة والعلاقات البشرية والأخـلاق والحقائق الوجودية ، وليست هى بحاجـة لأن يشرحها شارح الا اذا شاء أن يحللها الى جزئياتها الدقيقة ويركب عليها من فلسفتها فلسفة تقوم عليها . ولا

يفوتنا أن نلاحظ التعمق الذى كان يصاحب نظرياته فى تكوينها على شكل قضايا مبرهنة لايضيق بها المنطق الصحيح والتعليل المعقول وأكثر ما كان يستمد البرهان من الحقيقة ذاتها والواقع المحسوس لذلك كانت حكمه على الألسن وفى الصدور ، ولا تجد عامياً من العوام لايستشهد لك بالكثير من حكم المتنبى .

وبعد ـ فأثر المتنبى فى الأدب العربى هو مايصفه المتنبى نفسه :

وما الدهر الا من رواة قلائدى
اذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا
ودع كل صوت بعد صوتى فاننى
أنا الصائح المحكى والآخر الصدى

شكر

لقد كان للسيد الأديب الأستاذ الشاعر على احمد با كثير أكبر الأثر فى الاشراف على طبع هذا الكتاب وملاحظته . فقد ضحى بالثمين من وقته وساهم بقسط وافر من العناية فى سبيل انجازه . خدمة للأدب وحباً لنشر الثقافة العربيــة . فاليه نتقدم شاكرين فضله وهمته مقدرين له عمله ؟

بلخير . ابن عبد المقصود

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة





عبد الله عمر بلخير

- ولد عام ١٣٢٢هـ ، وتلقى تعليمه بمكة المكرمة ، وتخرج في مدرسة الفلاح عام ١٣٥٢ هـ .
- أكمل دراسته بالجامعة الأمريكية ببيروت .
- التحق بالشعبة السياسية بديوان المغفور له جلالة الملك عبد العزيز آل سعود .
- عمل مترجماً مرافقاً للملك عبد العزيز خلال لقاءاته السياسية بزعماء الدول كما استمر عمله مع الملك سعود .
- رافق جلالة الملك فيصل في رحلاته لحضور اجتماعات الأمم المتحدة ولقاءاته مع زعامات دولية عديدة .
- أسندت إليه أعمال عديدة منها شؤون الجامعة العربية والمؤتمرات الدولية بالديوان الملكي .
- عمل رئيساً لديوان إمارة الرياض .
- أول وزير للإعلام في المملكة .
- بدأ الشعر من حداثته بداية قوية وبروح دينية وقومية متفجرة لفتت إليه الأنظار .
- تفرغ لعمل مجموعة من الملاحم الكبيرة الرائعة عن تاريخ الإسلام وهي ضمن ديوان مخطوط لم يطبع بعد .



محمد سعيد عبد المقصود خوجه

- ولد بمكة المكرمة عام ١٣٢٤هـ .
- تلقى تعليمه الابتدائي على يد والده وفي حلقات الدرس بالمسجد الحرام ثم بمدرسة الفلاح
- لازم الشيخ ابراهيم حلواني الخطاط المشهور ودرس الخط والحساب وأجادهما .
- عين عام ١٣٤٥هـ مديراً لجريدة أم القرى ومطبعتها .
- أسهم في إثراء الحركة الأدبية وفي المشاركة بقسط متميز في تشجيع الأدباء ونشر إنتاجهم .
- أول من فكر في طباعة المصحف الشريف بمكة المكرمة .
- عرف بإقدامه وجرأته في الحق .
- قام بطباعة كتاب «تاريخ مكة للأزرقي» طبعه في ثلاثة أجزاء بتحقيق رشدي ملحس .
- انتقل إلى رحمة الله في منتصف ربيع الثاني ١٣٦٠هـ .

مطابع سحر